خلاصة تاريخ العرب

تهذيب ترجمة

كتاب العالم سيديو

SEDEILLOT

أمر

بترجمة وتهذيبه وطبعه

سعادة

على باشا مبارك

ناظر المعارف العمومية

سابقا

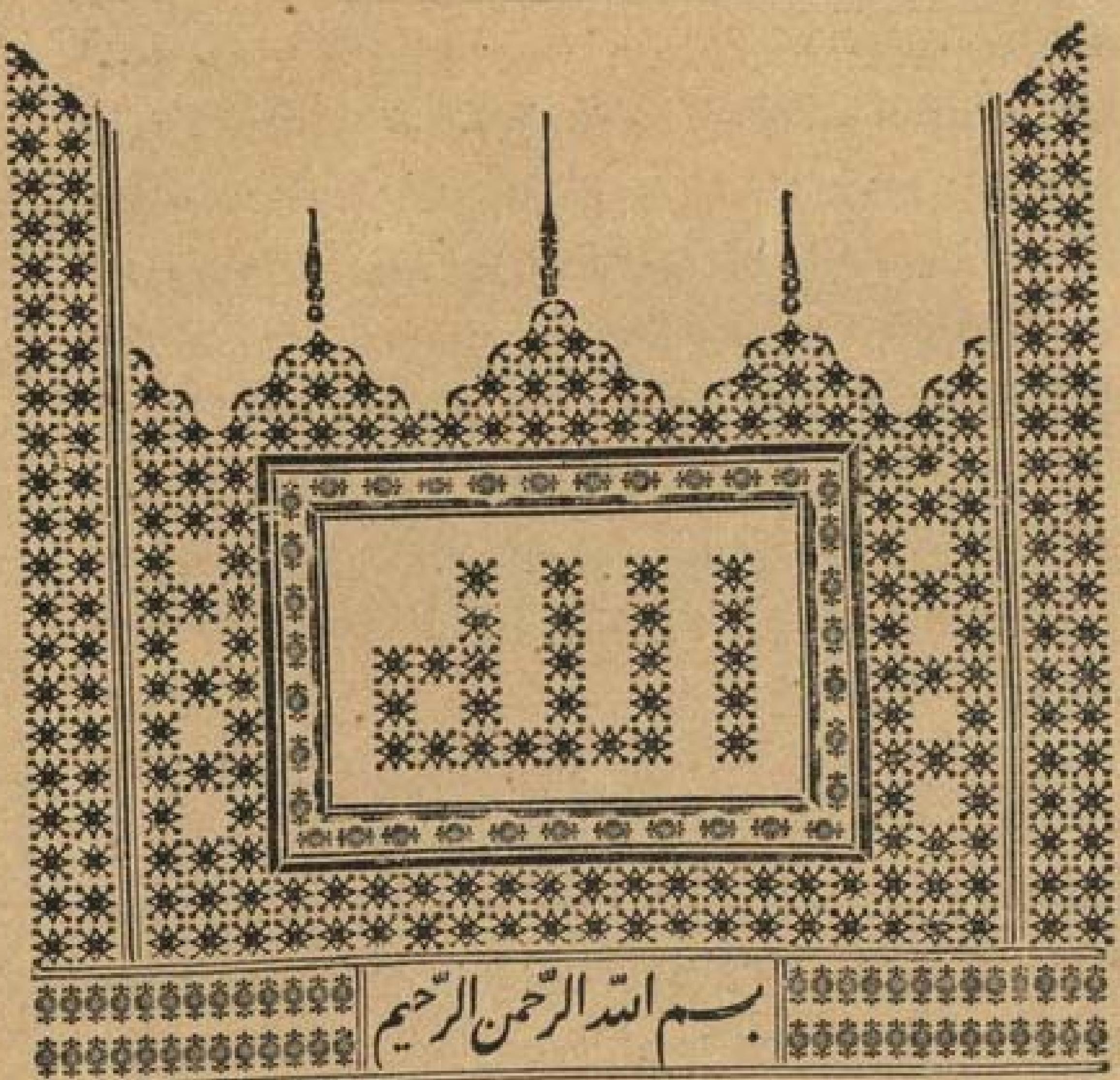
الطبعة الاولى

بمطبعة محمد أفندى مصطفى

بحوش قدم

سنة ١٣٠٩

هجرية



بسم الله الرّحمن الرّحيم

حمدا لمن أرشد الانسان الى اقتناص شوارد الأخبار وشوّقه الى الاطلاع على محاسن ومساوى الآثار والصلاة والسلام على سيدنا محمد المنزل عليه نحن نقص عليك من أنباء ماقد سبق وعلى آله وصحبه الفائزين بالسبق ﴿أمابعد﴾ فيقول الفقير الى الله تعالى ﴿على باشا مبارك﴾ كل انسان مشغوف بمعرفة حوادث سلفه لاسيما حوادث قومه وعشيرته ونحن أبناء الامة العربية مشغوفون بمعرفة ما كان للعرب من الأعمال والنتائج التى مهدت للنوع الانسانى طرق السعادة باتساع دائرة معلوماته وارتقائه الى ذروة الرفعة والثروة بعد أن كان بحضيض الضعة والفاقة وأما مازعمه ناس ودوّن فى كتب قديمة وحديثة بلغات متنوعة من أن العرب لم يأتوا بشئ يذكر نائين عن التمدن المرفوعة أعلامه زمن

الرومانيين

الرومانيين الوارثين له عن الروم بل كانوا سببا فى اخماد نار الغيرة واطفاء نور العلم حتى خيم الجهل وعم التوحش بقاع الارض وفى فقد الحرية الانسانية بتوالى غاراتهم وعدم مبالاتهم بالحقوق فهو أراجيف مبتدعة دعاهم اليها حب اطفاء نور الحق ويأبى الله الا أن يتم نوره ويظهره كالشمس فى رابعة النهار فانتشر والحمد لله ببقاع الارض حتى تمسك به نحو سدس سكان المعمورة من غير محرض لهم على اتباعه ومازال فى ازدياد حتى تمسك به فى هذا الزمان فرق من الفرنج فبنوا مساجد فى المدن الشهيرة ومما يدل على أن هذه مفتريات ماقاله المؤرخون العارفون بحقائق الحوادث التاريخية من أن العرب لم يقصدوا بأعمالهم غير نشلة الخلق من قبضة الظلم وتخليتهم من التوحش والعوائد الذميمة والمحافظة على حقوقهم بقوانين العدل الموافقة للقرآن الناطقة آياته بالحث على اكتساب الفضائل والاخذ بالعزم فى اتساع دائرة العلم ولم يعلم ذلك من قبل الامم الغربية وغيرها فان تواريخهم تدل على أنهم كانوا قبل أن يسطع نور الاسلام وتمتد الشوكة العربية غرقى فى بحار الجهالة والظلم مكبلين بقيود الاسترقاق لا يدرى أحدهم حقه بل يتصرف فيه الظالم حسب ماسولت له شهواته وكان أكثرهم يعيش فى الاكواخ والكهوف أو يهيم فى الغابات ومازالوا على ذلك حتى دخل العرب فبثوا فيهم العدل والعلم والفضائل والاكتسابات الزراعية والتجارية وفن العمارة وسائر الصنائع والحرف فعرفوا التمدن والسياسة المنزلية والمدنية وبالجملة فضل العرب على سائر نوع الانسان كفضل هذا النوع على سائر الحيوان لا يمكن جهله بل تجاهله لمن ضل سواء السبيل

وقد كتب السلف من رجال الامة العربية كتبا كثيرة فى المسائل الاعتقادية والعلمية وتواريخ أسهبوا فيها الكلام على الحوادث التاريخية وما لاهلها من العوائد والاخلاق ولم يقتد بهم الخلف فى ذلك مع أنهم جديرون بنشر فضائل العرب والشريعة الغراء لتمام درايتهم باللغة العربية بل سكتوا فأسند الامر الى غير أهله وهم الفرنج الذين ظنوا معرفتهم أساليب اللغة العربية فأضاعوا فضائل العرب وأخذوا يركبون متن العمياء ويخبطون خبط العشواء فكم من حكمة

حوّلوها عن حقيقتها وكم من آية ترجوها على غير المقصود منها فشاعت الاباطيل المضرة بشباننا فى دينهم ودنياهم ولم أجد من المؤرخين من تصدى لتبديد هذه المفتريات سوى العالم (سيديو Sedillot) أحد مشاهير علماء الفرنج المولود بباريس فى ٢٣ يونيو سنة ١٨٠٨ الموافقة سنة ١٢٢٣ هجرية فقد جمع فى عشرين سنة تاريخا فى سفر من مؤلفات من يوثق بهم من العرب والفرنج وبث فيه الفضيلة المحمدية والمآثر العربية وأثبت ذلك ببراهين أدحض بها ماادعاه المبغضون من نسبتها اليهم فتحوّل الناس عما رسخ فى أذهانهم وأخذوا يقدرون الكتب العربية وعلماء العرب حق قدرهم وظهر فضل العرب لدى الفرنج وأنشؤا فى ممالكهم مدارس لتعلم اللغة العربية وأخذوا يسارعون الى حيازة الكتب العربية فى سائر الفنون والمعارف ويبذلون فيها النفيس ولم يقتصروا على ذلك بل رغبوا أيضا فى الاستحواذ على صور مبانيهم وجميع ما كان لهم من نحو الزينة والزخرفة وآلات الملاهى والمطاعم والملابس ولذا أخذ السياحون يجوبون البلاد الدانية والقاصية ليعثروا على ذلك غير مبالين بما يلقون من المشاق الهائلة فحصلوا على ما فى بيوت التحف والآثار من الامثلة المتنوعة بقدر تنوع الحرف والصنائع وعلى ما فى خزائنهم من الكتب التى فى جميع ما كتبه الانسان من هزل وجد

وقد رتب هذا الكتاب على سبع مقالات تتضمن أبوابا مشتملة على مباحث * فالمقالة الاولى فى جغرافية بحيث جزيرة العرب وتاريخهم قبل البعثة وفيها بابان فى طباع العرب وميلهم الى الوحدة السياسية واجتماعهم بسوق عكاظ للتفاخر بالقصائد الشعرية * والثانية فى الكلام على النبى صلى الله عليه وسلم وما تضمنه القرآن المجيد من الآداب والفضائل وفيها ثلاثة أبواب * والثالثة فى الامة العربية الفاتحة وفيها خمسة أبواب فى الخلفاء الراشدين ومحاربة العرب البلاد الاجنبية عن بحيث جزيرتهم والحالة السياسية ببلادهم وقت وفاة النبى صلى الله عليه وسلم واغارتهم على غربى آسيا وعلى مصر وفارس وأفريقية واسبانيا وفرنسا وآسيا الصغرى وشواطئ نهر السند * والرابعة فى قوة شوكة العرب واضطاطها بالمشرق وفيها أربعة أبواب فى حدود مملكة العرب وقتال

الاموية

الأموية والعباسية وخلافتى المشرق والمغرب ورفعة وانحطاط الشوكة العباسية والدولة الفاطمية والسلجوقية وغارة المغول والاتراك وزوال حكم العرب من آسيا * والخامسة فى رفعة وانحطاط سلطنة العرب فى الاقطار الغربية وطرد النصارى للغاربة من اسبانيا وفيها أربعة أبواب فى الملوك الاغلبية والادريسية والفاطمية بشمال آسيا والاموية باسبانيا وفى توقيف حزبى المرابطين والموحدين تقدم نصرات النصارى على مسلمى اسبانيا وتحكم الدولة العلية على مدينتى الجزائر وتونس وانشاء سلطنة الاشراف فى مراكش * والسادسة فى وصف التمدن العربى فى الزمان الاول وفيها ثلاثة أبواب فى أن مدرسة بغداد خلفت مدرسة الاسكندرية وفيما كان عند العرب من العلوم الطبيعية والفلسفية والالهية والفقه والمعارف الادبية ومخترعاتهم * والسابعة فى أحوال العرب فى هذا الزمان (زمن مؤلف الاصل) وفيها بابان فى الكلام على عرب المشرق وأفريقية وبلاد مراكش وايالة الجزائر

وبالجملة هذا الكتاب على صغر حجمه جمع زبد التواريخ المتفرقة فى خزائن الاقطار الدانية والقاصية بعبارة سهلة سالمة من الزخرف والحشو الذى ملئت به تلك التواريخ فصعب فهم خلاصتها التاريخية على أن بعضها لا يمكن تحصيله لكثير من الناس فضلا عن كلها لتباعد أقطارها مع احتياجها الى أثمان باهظة قل من يقدر عليها

ولنفاسة هذا الكتاب أردت نشره بين أبناء الوطن فأمرت بترجمته وأنا ناظر على ديوان المعارف سنة ١٢٨٥ هجرية المرحوم محمد أفندى ابن أحمد عبد الرزاق أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمى اللغة الفرنساوية بالمدارس الملكية المصرية فترجمه ثم أمرت أساتذة بقراءته فقرؤه وأعلنوا بفائدة طبعه فأمرت بطبعه ثم تخليت عن نظارة الديوان فوقف الطبع وحفظت الترجمة فى الكتبخانة الخديوية ثم عدت الى نظارة الديوان سنة ١٣٠٥ فوجدت به أبوابا لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها فى الترجمة فترجمنا ذلك وصححنا الكتاب وقابلناه على الاصل كله ثم كلفنا به العالم النحرير الشيخ عبد الرحمن ابن العلامة المرحوم الشيخ السيد الشرقاوى الشرشيمى المتوفى سنة ١٢٨٨ وأمرناه أن ينشئه انشاء عربيا فصيحا فأخذ

ينشئ و يقرأ علينا ما كتبه بخطه ثم صححنا أسماء البقاع والرجال وقابلناها على أصلها الافرنجى وسميناه ﴿ خلاصة تاريخ العرب ﴾ فجاء بحمد الله كتابا مبارك الطالع ترتاح له المسامع كأن شموس النجاح عليه طوالع لم يدع كبيرة ولا صغيرة من تاريخ العرب الا أحصاها ولا شاردة من شوارد فضلهم الا ردها لاهلها وكشف القناع عن محياها مع النزاهة عن وصمة العيب والتبرئة عن مثل ما يأتى به الكثير من المؤرخين رجما بالغيب ورجائى به أن يكون لابناء الشرق وعلى الخصوص المصريين دليلا مرشدا يروى لهم من محاسن آبائهم الاولين حديث مجد لا يزال مدى الايام مخلدا فى عز أمير البلاد المحفوف من الرحمن بالامانى سمو خديوى مصر ﴿ عباسنا الثانى ﴾ من لا يزال طالع سعده كوكبا دريا ومجد سموه بين الملوك مرتفع القدر عليا أدام الله عدله وأيد بالنصر والتعزيز فعله وقوله هذا ولما كان المؤلف مصدرا كتابه هذا بمقدمة جليلة بين فيها مأخذ كتابه ومابنى عن علو شأن الامة العربية مع اقامة البرهان على صدق قوله وصحة صوابه قد جعلناها صدرا لهذا الكتاب حرصا لما فيها من الفوائد لذوى الالباب

﴿ مقدّمة ﴾

مازلت منذ نيف وعشرين سنة أبين ما للعرب من توسيع نطاق العلوم والتقدم فى القرون التى بين عصر يونان اسكندرية مصر وأعصر الدولة الحديثة الافرنجية ورأيت أن أذكر مجمل أخبار هذه الامة المحتقرة لدى الفرنج من أمد بعيد وأن أضاهى ما جمعته بما أذاعه غيرى لاكون أول من دون تاريخا عاما فى أخبار العرب وهو ميدان واسع المجال ربما كان فوق طاقة الواحد من الرجال

ويلزم قبل الشروع أن أذكر ما يوجب التفات القارئ الى علو شأن هذه الامة العربية الفاتحة للممالك الاجنبية بدون أن يتغلب عليها أجنبى مع اتصافها منذ أربعة آلاف سنة بما انفردت به من جميل الاخلاق والعوائد فنقول

كانت منذ نشأة أقدم الدول مدبرة لأمورها متأهبة للاغارة على مجاورها أخذت مملكتى مصر وبابل قبل الميلاد بتسعة عشر قرنا ثم أخذ منها ما ملكته

من

من البلاد الاجنبية وانحصرت سطوتها فى بلادها العربية فأخذت تقاتل الفراعنة وملوك العراق ونجت من تسلط (كيروش Cyrus) ملك الفرس واسكندر Alexandre (بن فيليبش ملك اليونان) وبقيت على استقلالها زمن أخذ الرومان الدنيا القديمة ثم أتى النبى (صلى الله عليه وسلم) فربط علائق المودة بين قبائل بحيث جزيرة العرب ووجه أفكارها الى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت سلطنتها من نهر التاج (المار باسبانيا وبرتغال) الى نهر الكنج (أعظم أنهار الهندستان) وانتشر نور العلوم والتمدن بالمشرق والمغرب وأهل أوروبا اذ ذاك فى ظلمة جهل القرون المتوسطة وكأنهم نسوا نسيانا كليا ماوصل اليهم من أحاديث اليونان والرومان واجتهد العباسية ببغداد والأموية بقرطبة والفاطمية بالقاهرة فى تقدم الفنون ثم تمزقت ممالكهم وفقدوا شوكتهم السياسية فاقتصروا على السلطة الدينية التى استمرت لهم فى سائر أرجاء ممالكهم وكان لديهم من المعلومات والصنائع والاستكشافات مااستفاده منهم نصارى اسبانيا حين طردوهم منها كما أن الاتراك والمغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم وأدوا اليهم مرتبات ولما انحصرت العرب فى بحيث جزيرتهم وصحارى أفريقية عادوا الى عيشتهم البدوية مستقلين عمن عداهم حتى ألزمتهم الدولة العثمانية الانقياد وأجحفت بهم فانقادوا منتظرين فرصة أراد الوهابية انتهازها فى غرة هذا القرن التاسع عشر من الميلاد لعتق رقاب الامة العربية من تسلط الاجانب عليهم فلم ينجعوا ولبثوا مستعدين للعصيان باشارة من كبرائهم ولامانع من حصول ذلك فى ممالك تونس ومراكش وكذا الجزائر التى حكمتها الفرنساوية فان جميعهم على غاية من الاستعداد لاجابة رؤسائهم

والمؤرخون من الفرنج اقتصر بعضهم على أخبار ماقبل الاسلام كالمؤلف (بوكوك Pococke) (وشولتنس Schultens) وغيرهم وبعض آخر على السيرة النبوية ومعانى القرآن العظيم وبعض كالمؤلف (ملس Mills) على تاريخ الاقوام

التركية والتتارية وطرف وجيز من سيرة الخلفاء المشرقية والمغربية وبعض كالمؤلف (كند Conde) على تاريخ عرب اسبانيا وبعض ألف فى تاريخ العرب العام أنموذجات بقيت ناقصة كتأليف (أكله Ockley) البالغ آخر سنة ٧٠٥ ميلادية وتأليف (ماريني Marigny) (ودسورجرس Desvergers) الواصلين الى آخر سنة ١٢٥٨ ولم يتم تاريخ المؤلف (ويل Weil) وبالجملة كان من علماء الفرنج جم غفير دونوا أخبار جميع الممالك التى تغلب عليها العرب فخلفوا لنا من مدوناتهم أنفع المواد التاريخية المتعلقة بآسيا وأفريقية وكذا أوروبا التى ساعدتنا كتبها على تدوين هذا الملخص العام لاسيما تأليف (جستاوهبرد Gustave Hubbard) أحد تلامذتنا وأصدقائنا الاقدمين فقد سهل لنا اتمام هذا الملخص بتأليفه الاولى فى التاريخ الذى طبعه سنة ١٨٥٢ ميلادية وضمنه تنظيم جمعيات تعاون الاحسان والتبصرة فى تدارك أمر من اعتدت عليه محن الزمان والمستمدات الاصلية المشتملة على سير العرب لم تزل الى الآن كنوزا مغلقة فانا معشر الفرنج وان وقفنا على حقيقة تواريخ ابى الفداء وابى الفرج والمسين (النصرانى المعروف بين أهل المشرق بابن العميد) لكن ليس عندنا الآن الا تراجم قطع من تواريخ ابن خلدون والمقريزى وابن الاثير وتواريخ كثير من المؤرخين من العرب والفرس ولعلنا نحوز جميعها مترجما باللغة الفرنساوية ومع ذلك يكفينا مالدينا من تواريخ السلف فى ضبط الحكايات الكاذبة وتحقيق الحق فيها بل نقتدر بها على فهم ما كان عليه النبى (صلى الله عليه وسلم) غير مغترين بما اعتاده المؤلفون من ستر خلقه الباطنى كالقائل انه كان رجلا مجذوبا محتالا طماعا يتعذر حصر هواتفه والقائل انه كان ذا قريحة لانظير لها وانه من نوادر الوجود التى يحدثها الله لاصلاح الدنيا فان هذين القولين لايلتفت اليهما بل يجب رفضهما والمعول عليه فى وصفه (صلى الله عليه وسلم) ماقاله العلامة (أولسنير Œlsner) فانه فهم حقيقة الرسول وحكم دين الاسلام على جميع الممالك التى انتشر فيها على ما قاله فى تذكرته التى وقعت موقع القبول سنة

١٨٠٩

١٨٠٩ ميلادية لاشتمالها على المأمول لدى أرباب مدرسة العلماء المشتغلين بالعناوين والكتابات على الآثار القديمة ثم بالعلوم الأدبية

وأما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الأموية فى دمشق وقرطبة والعباسية ببغداد والفاطمية بمصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية المشرقية التى أغار عليها الاتراك ثم المغول فدونها الفرنج تدوينا حسنا وأضفنا اليها ماتركوه من أصولها وهو وصف التمدن العربى الذى تمكنت أصوله فى آفاق الدنيا القديمة أقوى تمكن ولانزال الى الآن نرى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادى مانحن عليه من المعلومات الاوروباوية فان العرب فى غاية القرن الثامن بعد الميلاد فقدوا الحمية الحربية وشغفوا بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقة وأصفهان وسمرقند تفاخر بغداد فى حيازة العلوم والمعارف وقرئ ماترجم الى العربية من كتب اليونان فى المدارس الاسلامية وبذل العرب همتهم فى الاشتغال بجميع ماابتكرته الافهام البشرية من المعلومات والفنون وشهروا فى غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من أوروبا ابتكارات تدل على أنهم أئمتنا فى المعارف ولنا شاهدا صدق على علو شأنهم الذى تجهله الفرنج من أزمان مديدة الاول ماأثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الرحل والأسفار وقواميس مااشتهر من الأمكنة والرجال والمجاميع الشاملة لكثير من الفنون الفاخرة والثانى ماكان لديهم من الصناعات الفائقة والمبانى الفاخرة والاستكشافات المهمة فى الفنون وماأوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبيعى والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التى مارسوها بغاية النشاط من القرن التاسع الى القرن الخامس عشر من الميلاد (من سنة ٢٨٨ الى سنة ٩٠٧ هجرية)

وزعم المؤلف (شليجل Schlegele) سنة ١٨٣٢ ميلادية (الموافقة سنة ١٢٤٨ هجرية) أن الهنود والصينيين أعلم من العرب وأخبر أنه سيقف على كنوز معارف هاتين الأمتين مع انه لم يحصل بعد دعواه بعشرين سنة أجل الفوائد الفلكية

والرياضية والجغرافية الا من الكتب العربية القديمة نعم ألف الفرنج الباحثون عن الأمور الهندية كتبا كثيرة لكن لم يحصل منها أدنى تقدم فيما هي بصدده كأن الفرنج المستفرجين فوائد من تواريخ المملكة الصينية التي هي أقدم الدول لم يجمعوا الا في اشهارهم الصينيين بانهم أجهل أهل الارض كالترك كما قاله المؤرخ أبو الفرج وأما المدرسة البغدادية المدونة للعلومات التمدنية في الفترة التي بين عصر يونان الاسكندرية والاعصر الاخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ أهل أوروبا من رقدة الجهالة ونشر أنوار المعارف في جميع ممالك آسيا فقد انتشر علم العرب (الفلك) في الهندستان بواسطة العلامة البيروني المغمور بمكارم السلطان محمود الغزنوي حين انتقل اليها سنة ١٠١٦ ميلادية (الموافقة لسنة ٤٠٧ هجرية) كما نشره بين السلجوقيين العلامة عمر خيام سنة ١٠٧٦ ميلادية (الموافقة لسنة ٤٦٩ هجرية) وبين المغول العلامة نصير الدين الطوسي مؤسس الرصد خانة بمدينة المراغة سنة ١٢٦٠ ميلادية (الموافقة لسنة ٦٥٩ هجرية) وانتشر بين العثمانيين سنة ١٣٣٧ ميلادية (الموافقة سنة ٧٣٨ هجرية) ونشره بين الصينيين العلامة (كوشيو كنغ Co-Chéou-King) تلميذ الاستاذ جمال الدين سنة ١٢٨٠ ميلادية (الموافقة سنة ٦٧٩ هجرية) في عهد السلطان كوبلاي خان كبير عائلة الملوك اليوانية وشيد (أولوغ بغ Oloug Beg) لعلم الفلك رصدخانة بسمرقند سنة ١٤٣٧ ميلادية (الموافقة سنة ٨٤١ هجرية) وانتهى اشتغال المشرقيين بالعلوم والفنون عقب زمان الوغ بغ ثم اطلع أهل الغرب من أوروبا على أسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جددوا في البلاد الافرنجية التمدن واللغة العربية وفنونها الادبية التي أخذت كل يوم في زيادة الانتشار بين الفرنج ومازلنا الى الآن نستكشف أمورا مهمة من الكتب العربية القديمة وان عزى ابتكارها زورا الى بعض المتأخرين من الفرنج ولا شك ان فتح أمتنا الفرنساوية ايالة الجزائر المغربية وكثرة علاقتها بسائر افريقية (ممالك المغرب) يزيد فيما اهتم به الفرنج المولعون باللغات

والآثار

والآثار المشرقية من البحث عن كتب المعلومات العربية التى لم يحسن سلف الفرنج استخراج مافيها من جواهر المعارف الثمينة
وما أعظم اشتغالنا بتلخيص جميع تاريخ الأمة العربية التى ظهرت أخبارها أعجب مظهر وبهرت أنباؤها دون غيرها من التواريخ كل من قرأ وتبصر ولذا تسلفت أبناء أوروبا على ممر الزمان الى تلك الآثار الجليلة التى خلفتها هذه الأمة

﴿ المقالة الاولى ﴾

﴿ فى جغرافية بحيث جزيرة العرب وفى تاريخ العرب قبل البعثة وفيها بابان ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ فى جغرافية بحيث جزيرة العرب وفيه ستة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى آراء القدماء فى حقيقة بحيث جزيرة العرب ﴾

بلاد العرب واسعة سطحها ضعف سطح مملكة فرنسا تقريبا قدره علماء هذا العصر من أوروبا بمائة وستة وعشرين ألف فرسخ مربع محاطة بالماء فى ثلاث جهات ومتصلة فى الجهة الرابعة بافريقية وآسيا وحدودها فى الشرق والجنوب والغرب الخليج الفارسى وبحر الهند والبحر الاحمر وفى الشمال الغربى برزخ السويس (كان ذلك قبل فتح القنال) وخط نهايتها من الشمال مبدؤه غزة ويمر بجنوب بحيرة البحر الميت وبشرق نهر الاردن ويمتد من دمشق الى نهر الفرات حتى ينتهى الى الخليج الفارسى ولم يعرف القدماء صفة داخل بلاد العرب بل لم يكن لليونان والرومان دراية تامة بتقسيمها ولذا اقتصر على عبارات قليلة فى بحيث جزيرة العرب المؤرخ (هيرودوطوس Hérodote) اليونانى الذى ساح وجمع فوائد فى أخلاق المصريين وأهل أذربيجان وأتى بعده (ايراتستينس Eratosthéne) (واغاتارشيد Agatarchide) (وبلينياس Pline) (وأريان Arrien) (واسترابون Strabon)

(وديودور السيسيليانى Diodore de Sicile) فدوّنوا فى فوائدها أكثر مما قاله ذلك المؤرخ لكنهم نسبوا الى بلاد العرب فى غالب عباراتهم ما يجلب اليها من الهندستان للتجارة

ويظهر أن (بطليموس Ptolémée) الفالوذى كان أعلم القدماء بحقيقة بلاد العرب ومع ذلك لم يكن تقسيمه لها الا اجتهاديا ولذا لم يعتمده علماء الجغرافية من العرب قسم بلاد العرب الى ثلاثة أقطار كالحجاز ونجد واليمن وجعل الحجاز شاملا لجزيرة التى بين الخليجين المتفرعين من البحر الأحمر فى نهايته الشمالية وجعل نجدا ممتدا من شرقى هذين الخليجين الى حدود الشام وجزيرة دجلة والفرات ومن الجهة الشرقية من مبدا طول الخليج الفارسى الى بحر الهند وجعل اليمن الجزء الجنوبى من بلاد العرب وعدّ فيه من الاقوام ستة وخمسين ومن المدن والقرى والمينيات ستا وستين ومائة منها ست مدائن كبيرة وخمس مدائن ملوكية ولم تتفق كلمة المؤلفين فى تحديد امتداد هذا القسم الثالث فقد بالغ فيه بعضهم بما يخرج عن حد القياس وحصره آخرون بين الجبال المجاورة للاقيانوس الهندى وآراء العرب فى تقسيم بحيث هذه الجزيرة أحسن لموافقتها شكل البلاد وجميع مادوّن من تواريخ العرب فى سائر الاعصر

وأما حدودها العامة فهى التى أسلفناها الا أنها لاتشمل على رأيهم بحيث جزيرة طور سينا ولا صحارى كلدة والشام كما يعلم من ترجمة جغرافية الادريسى

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فيما اختاره العرب فى تقسيم بلادهم وفى بحيث جزيرة طور سينا وصحارى الشام وكلدة وغيرهما و بلاد العرب الحقيقية﴾

بحيث جزيرة طور سينا منحصرة بين خليج السويس وخليج أيلة وتمتد فى الشمال الى البحر الميت سكن العبريون براريها الرحبة بعد خروجهم من مصر ثم صارت اقليما رومانيا يسمى فلسطين الثالثة وكرسى حكومته مدينة بتره وجبال

طور سينا وخور وغريب محال لوقائع وحوادث ذكرت فى التوراة وصحارى الشام والجزيرة وكلدة المعروفة بصحارى دمشق وحلب وبغداد وبصرى تمنع سكان آسيا الصغرى وبلاد الفرس من الوصول الى بحيث جزيرة العرب وقفارها تزهد فيها الملوك الفاتحين لو لم تكن طريقا مختصرا للمتاجر الآتية من الهندستان الى أوروبا ومن اليونان وايطاليا الى المشرق فان المسافر من مصب نهر الفرات على طريق مستقيم الى دمشق يصل بسهولة الى مينيات البحر الابيض المتوسط بخلافه اذا صعد فى هذا النهر الى جهة جبال أرمينية فانه يجبر على اجتيازها والمرور بطول جميع الاناضول وبذا يتكبد مشاق ومصاريف جسيمة وهذا هو السبب الاكبر فى أن مدينة تدمر المبنية بتلك الصحراء كانت ذات أهمية لحمايتها القوافل التجارية ثم خربتها الجيوش الرومانية فحكم العرب بالتدريج على تلك الطرق التى بين المشرق والمغرب ولتعودهم على المعيشة البدوية من الحط والترحال ومعرفتهم بقواهم الحربية صاروا ملوكا يتصرفون فى تلك البقاع بلا منازع ثم ظهر فى تلك الاقطار تدريجا مملكة الحيرة والأنبار وقبيلة النبط وقبائل غسان

وفى خلف تلك البرارى من الجنوب بلاد العرب الحقيقية المنقسمة ثمانية أقاليم * الأول الحجاز الواقع فى الجنوب الشرقى من بحيث جزيرة طورسينا وفى طول ساحل البحر الاحمر * الثانى اليمن الذى فى جنوب الحجاز * الثالث حضرموت الواقع فى ساحل بحر الهند وفى شرق اليمن * الرابع اقليم مهرة فى شرق حضرموت * الخامس اقليم عمان المتصل فى الشمال بالخليج الفارسى وفى الجنوب والشرق ببحر الهند وحده من الجنوب الغربى اقليم مهرة * السادس الحساء المسمى أيضا بالبحرين لاهمية الجزائر التى تجاوره ولا متداده بطول الخليج الفارسى من ابتداء اقليم عمان الى نهر الفرات * السابع نجد فى جنوب صحارى الشام شاغل جميع الجزء الأوسط من بحيث جزيرة العرب وهو مابين الحجاز والحساء واقليم اليمامة أو العروض الذى كانت به مدينة هجر وغالبه هضاب رملية * الثامن

اقليم الاحقاف بين عمان والحساء ونجد وحضرموت ومهرة

وانا نعرف الآن وصف جميع هذه الاقاليم على السواء وأما السياحون من الفرنج فخططوا بعض تلك الأقاليم ولم يجدوا سبيلا الى تخطيط البعض الآخر وعملوا فى أيامنا هذه لبلاد الحجاز واليمن رسوما خالية عن مواطن كثيرة وجهلوا فى هذا العصر بلاد عسير التى تتصل بهذين الاقليمين وبحرها قوم ألو عزم واقدام فى الحروب وإذا كان هذا حال معرفتهم بسواحل البحر الاحمر الذى يسهل الدخول فيه بسبب وضعه الطبيعى فما بالك بداخل بلاد العرب الذى لم يطلع على جميع طوله الافرنجى واحد مرة وهو الخواجا (سيتزان Seetzen) جابه من الخليج الغربى الى الخليج الشرقى أى من سواحلها الجنوبية والشرقية التى شرع الانكليز الآن فى رسمها

﴿ المبحث الثالث ﴾

(فى تخطيط الحجاز)

وصفه يجذب النفوس لاشتماله على أعظم مدائن العرب وهما مكة المشرفة والمدينة المنورة فأما مكة ففيها مولد النبى (صلى الله عليه وسلم) وكانت تسمى قديما مكورابة وهى منذ قرون تحجها الناس وتقصدها للسجود فى الكعبة وأمام الحجر الاسود كما حجتها الملائكة على ماقيل وأما المدينة فتسمى قديما يثرب ولا بد من أن تكون مقارنة لمكة وليس لهاتين المدينتين من الارض المحيطة بهما مايكفى سكانهما ولذا استمدت المدينة من ينبع ومكة من جدة وبخلال أرض الحجاز كثبان رمال وآكام خصبة وهى مساكن القبائل وحولها قرى وضياع وفى تلك الآكام قلاع يلجأ اليها عند هجوم الأعداء وبحدراتها بعض حبوب وثمار وكلا للمواشى وعيون ماء وبقرب أحد تلك الآكام مدينة الطائف وهى بستان مكة ولفوا كهها شهرة ويلحق بالحجاز أرض تهامة وهى البلاد الممتدة من سفح الجبال الى البحر وفيها مدينة قنفذة وعلماء الجغرافيا لايطلقون تهامة الا

على

على الساحل لمقابلته بنجد الذى معناه المحل المرتفع ويقولون تهامة الحجاز غير تهامة عسير وتهامة اليمن الممتدتين من خولان الى عدن

﴿ المبحث الرابع ﴾

(فى وصف اقليم اليمن)

سمى بذلك ليمنه وبركته وهو الجزء الجنوبى من جزيرة العرب وفى شماله بلاد عسير وسكانه يسمون لدى القدماء بنى حمير خالطوا المصريين والأثيوبيين والفرس وجميع الأمم التى تسافر فى بحر الهند فانتظمت حكومتهم منذ أحقاب ولم يكن لهم اشتغال بالفلاحة والتجارة وزرعوا البن آخر الزمان ولم يمهروا فى الفلاحة وطريقة رى الارض والا لزاد البن الذى هو ينبوع غناهم خصوصا مع اعتدال ذلك القطر وارتفاع أراضيه ورطوبته المساعدة على نمو تلك الشجرة وفيه الآن عدة مدن رفاهيتها من تجارة البن وهى مخا وجديدة ولدية وعدن ومن هذا الاقليم مدينة سبا المسماة أيضا مأرب ومدينة صنعاء المنافسة لمكة عدة قرون فى التلقب بتخت جزيرة العرب ولذا اتخذها التبابعة ومن خلفهم عليها من عمال الفرس والحبشة دار اقامة وهى الآن دار اقامة أقوى أمراء اليمن شوكة وكان ينقل من جزيرة العرب الى البلاد الاجنبية تبر ومواد عطرية وتستمد العرب من جزائر بحر الهند معظم المعادن النفيسة والبهارات الذكية التى يبعثون بها فى الخليج الغربى والخليج الفارسى الى البلاد الاجنبية

﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ فى وصف أقاليم حضر موت ومهرة وعمان والحساء والاحقاف ونجد ﴾

اقليم حضر موت الذى منه مدينتا ظفار وشيبان متصل باليمن ومشابه له فى المزاج والمزايا الطبيعية ومنه العود القاقلى واقليم مهرة أقل منه خصبا ولذا استمد سكانه وسائل معيشتهم من البلاد الأخر والبحر عندهم كثير السمك

يقتاتون بهم ومواشيهم واقليم عمان تجاه الهندستان وبه قليل من النحاس والأسرب والتمر والبقول ولذا حرم من المظهر التجارى ولم يجلب اليه محصول الهندستان لعدم شئ فيه يصلح للتبادل واقليم الحساء شامل لجميع ساحل الخليج الفارسى من ابتداء أرض عمان الى بصرى ويبدو للمسافرين فى البحر كآبة وخراب سواحله حتى يجئ فصل غوص البحر لاخراج اللؤلؤ فيتغير منظره ويصير مركز تجارة لوفود الناس الى سواحل البحر ليعاملوا سكان السواحل وجزائر البحرين وينزل اذ ذاك أفواج من ذوى الحاجات والهرج وقلة النظام فى بلاد القطيف والحساء والقطا وجريب ثم يذهبون بعد ذلك الفصل بمتاجرهم الى أسواق الهندستان وبلاد الفرس فيصبح اقليم الحساء بلقعا رحبا

والى هنا تم الكلام على الاقاليم الستة البحرية من بحيث جزيرة العرب وهى الحجاز واليمن وحضرموت ومهرة وعمان والحساء وبقى اقليمان ممتدان فى داخلها وهما اقليم الاحقاف وهو ايالة مقفرة يلحق به فى بعض الكتب أرض اليمامة وحاله مجهول عند الفرنج واقليم نجد وفيه كثير من الواحات ومراع نفيسة وخيله وجماله مشهورة بالقوة ولم يصفه أحد من السلف وصفا تاما

المبحث السادس

فى وصف المنظر العام لبحيث جزيرة العرب وريح السموم
ورمال الصحراء والندى والأمطار الدورية
ومعيشة العرب البدوية

يعلم من التقسيم السابق ان بحيث جزيرة العرب كواد مثلث الشكل زاوية رأسه تنتهى بجبل طورسينا بين نهرى اللاذقية والفرات وله ثلاثة أضلاع أحدها سلسلة جبال تمتد وسط الشام وفلسطين وهى المسماة جبل لبنان ثم ترجع الى داخل بحيث جزيرة العرب فتمتد على ساحل البحر الاحمر الى بوغاز باب المندب وثانيها سلسلة أخرى توازى مجرى نهر الفرات والخليج الفارسى وتنتهى الى بوغاز هرمز وثالثها ممتد بين البوغازين ويتم بخط من أراض مرتفعة وأما داخل ذلك

الوادى

الوادى فسهل فى غاية الانخفاض حره أشد ضررا من حر السواحل لمقاومة حرها بالامطار بخلافه وجوه مملوء فى الغالب بالابخرة والعفونات المتصاعدة من البحر الميت (بحيرة اسفلتيت) ومن بحيرات أخرى ملحة وتهب فيه ريح السموم التى تعرفها العرب برائحة كبريتية تفوح منها فتتلف النبات الذى لم يتم يبسه بأشعة الشمس وتخنق الانسان وسائر أنواع الحيوان عند عدم الاحتراس منها وتغطى جثث الموتى بالرمال ولا وجود لها قرب سواحل الاقيانوس الهندى لاسيما فى اليمن فان الهواء هنالك نقى دائما وفصل الحرارة عين فصل الامطار التى ان عدمت خلفها ندى غزير والارض مرتفعة تدريجا من ابتداء شواطئ البحر وبحسب تفاوت الارتفاع يتنوع مزاج الحر ويسهل رى المزارع وأشعة الشمس التى تسقط فى الصيف عامودية تتلطف بعوارض كثيرة أرضية وهذه الفوائد الطبيعية قاضية بان يتوطن سكان بحيث جزيرة العرب هذه السواحل اليمانية دون غيرها لكن معيشتهم البدوية لما فيها من المحاسن جذبت قلوبهم الى هذه الصحراء ذات الرمال المحرقة التى لا تنبت ذرة شامية ولا أرزا ولا براو بها مراع ونخيل سريعة النفاد وصهاريج وآبار يغيض ماؤها كل وقت قال المؤلف (هردر Herder) ان بحيث جزيرة العرب التى هى من أشهر الايالات على الكرة الارضية يترا آى منها أنها معدة بالفطرة الالهية لان تكسب أقوامها طبعا مخصوصا فان صحراءها الكبرى المشابهة لبلاد التتار الجنوبية والممتدة من حلب الى نهر الفرات ومن مصر الى الشام تبدى كثيرا من الفلوات الواسعة والقفار الرحبة لأقوام البدو والرعاة الرحالة النزالة ولم تزل من منذ أقدم الاحقاب يسكنها عرب دأبهم الحط والترحال واذا تأملت فى عيشة هذه الامة التى ترى كل مدينة سجنا وفى تكبرها المؤسس على أقدمية أصلها وعلى عظمة الهها وسعة لغتها وأشعارها وخفة خيلها وعلى بارق شواكيها وسمهرى رماحها التى تعتقد أنها متوارثة لديها وأنها كالامانة المقدسة عندها قلت ان جميع هذه الاشياء قد أعدتها قديما لان تظهر بالمظهر العظيم فى ثلاثة أقسام من الدنيا ظهورا مغايرا لظهور التتار من شمال آسيا انتهى

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ فى العرب قبل البعثة وفيه مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى طباع العرب وأخلاقهم وطبقاتهم وانقسامهم الى قبائل ﴾

العرب أسسوا زمن الجاهلية ممالك صغيرة فى العراق والشام وانتشروا خلف بحيث جزيرتهم ساكنا بعضهم بوادى مصر مالكين بالارث جميع صحارى أفريقية منفصلين عن أعلى شمال آسيا برمال كالبحار أمنوا بها من دهمات الملوك الفاتحين وانفردوا بحريتهم وتكبرهم لجلالة أصلهم وشهامتهم وفصاحة لغتهم الباقيـة على نقائها واتجروا مع من يأتى الى مركزهم من تجار الجنوب والمشرق واكتسبوا معارف من جاورهـم من الأمم فوجـد عندهم ممارسة عقلية حـدث بها فى لغتهم العبارات المجازية والحكم التهذيبيـة التى لم يظهر مثلها فى جبال (أورال Ourals) ولا جبل (التاى Altaï) وعلى جبلهم المسمى بطور سينا نزلت ألواح الشريعـة على موسى بن عمران المبعوث للعبرانيين الذين سكنوا مع قبائل العرب فى أغلب الازمان

وكان قدماء العرب محافظين على أخلاق أجدادهم الدينية ولكنهم وهبوا شبيبة مؤيدة واقـتدارا على أعظم الامور فتغـيرت طباعهم فكانوا سريعى الغضب أقوياء الجراءة سفاكين للدماء معتقدين الأوهام الكاذبة كثيرى المشاجرة كراهية فى مطلق الحكم عليهم لما جبلوا عليه من حب الاستقلال الذى يظنونه الخير الوحيـد من بين ما متعوا به مع ما هم عليه من كثرة السعى والجهـد فى الضرورات المعاشية المصحوبة بصعوبة المعاملة وقسوة القلب وشدة الحرص على الانتقام الا أنهـم كانوا ذوى حرية وعـزة نفس وكرم بل كانوا يعتـبرون قرى الضيف قانونا جامعا لقوانين الانسانية ولذا كانوا يفخرون به مع السيف الكفيل باثبات حقوقهم والفصاحة المستعملة فى فصل خصوماتهم التى لا تنهيها المحاربات

وكان

وكان تحت حكم كل رئيس يسمى الشيخ أو السيد قبيلة أوعدة قبائل تنفد معيشة بعضها بالحروب فتنضم الى قبيلة أخرى قادرة على حمايتها فيكونان قبيلة واحدة تحت رياسة كبير القبيلة ذات الشوكة وبذا يعلم سبب أن كثيرا من أسماء القبائل لم يبق ذكره الى الآن وكان سائر مشايخ القبائل تحت حكم شيخ قائد للجيش ملقب فى بعض الاحيان بالامير موكل بجميع مصالح القبائل لا يقدر على تمييز مصلحته عن مصالحها لان سائرها منسوب اليه وهو الذى يباشر بت الحكم فى جميع الدعاوى العظيمة بعد اصغائه الى آراء المشايخ ولذا كان مقيدا فى حكمه لاينجو من الاقتصاص منه بمثل جنايته على ماعرف فى القوانين القديمة من القضاء بقتل القاتل أو تغريمه الدية

ولم تزل العرب على هذا النظام ماألفوا العيشة البدوية وان أنشؤا ببلادهم مدائن لاطلاق تصرف المشايخ فيها بدليل أن من دخل منهم المدائن لم يتغير عن حالته الاصلية

المبحث الثانى

فى الروايات القديمة

من ابتداء القرن المتمم للعشرين الى القرن العاشر قبل الميلاد العيسوى

اعلم أن العرب يعزون أنفسهم الى ابراهيم الخليل (عليه السلام) وقد عمر شمال بحيث جزيرة العرب بنو اسمعيل وجنوبها بنو قحطان الذين سكنوا اليمن وأسسوا فيه عائلتين ملوكيتين عائلة ملوك سبا وعائلة ملوك بنى حمير وهذان غير العرب العرباء الذين بقى لسانهم وهو اللغة العربية الحقيقية مستعملا الآن فى الحجاز ونجد تتكلم به سكان البيد والفلوات الآن سكان مدائن اليمن تكلموا باللغة الحميرية التى تعلمها بنو قحطان من آبائهم الأولين

وكان وجود بنى اسمعيل بعد بنى قحطان بزمن مديد وقد أوحى الله الى الخليل (عليه السلام) أن يبنى فى مكة معبدا فرحل اليها من الشام وبنى الكعبة التى تعظمها العرب من أمد بعيد بأنواع التعظيم الدينى ومكث فى بنائها سنين

طويلة وعاونه فى البناء ابنه اسمعيل (عليه السلام) المولود فى أرض مكة والذى جاء اليه جبريل بالحجر الاسود الذى لم يزل موضوعا فيها من قديم الزمان وسيشهد يوم القيامة لمن عبد الله أمامه والدته هاجر هى التى عثرت على بئر زمزم

و ورد فى الروايات القديمة التى حفظتها العرب آيات أخر تدل على رعاية الله لهم وعنايته بهم وأقل ماثبت فى عقولهم أن نسلهم كنسل بنى اسرائيل فى الامتياز على الغير

وكان فى بحيث جزيرة العرب غير بنى قحطان و بنى اسماعيل بقايا قليلة من الاقوام الاولية ولايوثق بما ورد فى حقهم من الروايات المبهمة وغاية مايعلم بل غاية مايفرض أن قوم عاد جابوا بلاد العراق والهندستان تحت قيادة شداد ولقمان قبل الميلاد بأكثر من ألفى سنة وأنهم استولوا على مدينة بابل سنة ٢٢١٨ قبل الميلاد وتغلبوا على مصر فى ذلك العصر وكانوا يسمون برعاة الابل أوالاكسوس (بكسر الهمزة) وذهب بعضهم الى انهم حين طردهم بعد ذلك بنو قحطان من أرض اليمن ذهبوا الى الحبشة تاركين آثارا تدل على مرورهم من بلاد العرب ولايزال يشاهد فيها الى الآن أبنية منسوبة لقوم عاد تشبه أبنية الصقالبة فى الاحقاب الخالية

(وطبقات العرب ثلاث عاربة ومستعربة وتابعة للعرب

فالعاربة شعوب منها عاد وعبيل وعبد بن ضخم وثمود وجديس وطسم (١) والعمالقة وأميم وجرهم وحضرموت وحضورا والسلف

فاما عاد بن عوص بن ارم بن سام فأول من ملك من العرب ومواطن بغيه بأحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر عبدوا الاوثان فبعث لهم هود عليه السلام فكان لهمعهم ما فى القرآن الكريم وغلبهم على الملك يعرب بن قحطان فاعتصموا بجبال حضرموت حتى انقرضوا

وعبيل اخوان عاد أوأبيه ودیارهم بالجحفة بين مكة والمدينة أهلكهم السيل

(١) فى القاموس وطسم قبيلة من عاد اه مصححه

وعبد

وعبد بن ضخم بن ارم مسكن بنيه الطائف وهم أول من كتب الخط العربي وثمود بن كاثر بن ارم ديار بنيه بالحجر ووادى القرى فيما بين الحجاز والشام طالت أعمارهم فنحتوا بيوتا فى الجبال و بعث لهم صالح عليه السلام فكان ماقصه القرآن العظيم

وجديس لارم بن سام وديارهم باليمامة وطسم للاوذ بن سام وديارهم بالبحرين وقيل هما معا للاوذ وديارهم اليمامة)

والعمالقة بنو عمليق بن لاوذ بن سام المضروب بهم المثل فى الطول والجثمان والمعدودون عند بعض المؤرخين من جملة رعاة الابل أو الاكسوس الذين أغاروا على مصر كما سلف ومنهم أهل المشرق وأهل عمان البحرين وأهل الحجاز وفراعنة مصر وجبابرة الشام والمسمون بالكنعانيين ومع انتشارهم ببلاد العرب وملكهم للديار المصرية لم يؤسسوا مبانى مخلدة البقاء وآل أمرهم الى انحيازهم فى شمال بلاد العرب واختلاطهم بالايدومية والموابية والامونية ومنعوا حين نزولهم بسهول الحجاز ونجد العبرانيين من دخول كنعان فدام الحرب بينهما حتى غلبهم طالوت ملك اليهود ثم أدخلهم داود (عليه السلام) فى حكمه السارى فيما بين البحر الميت والخليج الايلانيتى (لعله خليج أيلة) وخلفه ابنه سليمان (عليه السلام) فلم يكتف بحكمه البحر الاحمر الطائفة أساطيله بسائر جهاته بل جمع بين تجارتى الهند والهندستان بالزامه العرب المتنقلة فى برارى كلدة أن يؤدوا له الجزية ثم توفى سنة ٩٧٦ قبل الميلاد (قبل الهجرة بألف وخمسمائة وثمانية وتسعين سنة) فانفصلت مملكة يهودا عن مملكة اسرائيل وانقطع الارتباط بين القدس ومدائن العراق وأبت العرب أن تؤدى الجزية وأخذت العمالقة والايدومية والموابية فى الاستقلال عن اليهود

ولقوة شوكة سليمان (عليه السلام) وعظم ملكه فى جميع بحيث جزيرة العرب اعتبرت سلطنته مبدأ تاريخ للحوادث المهمة من تاريخ العرب ولذا جاءت ملكة سبا لتحقق ماسمعته من قوة شوكته فوجدت فخامة ديوانه فوق مااشتهر من الأخبار فازداد عجبها من علو شأن سليمن (عليه السلام) الذى خاف منه العرب على

جرہم ثم اطمأنوا عليها بضعف شوكة خلفائه وعدم كفاءتهم للسلطنة

(وأميم بن لاوذ أخو عملاق وديارهم بأرض فارس وهم أول من بنى البيوت والآطام من الحجارة وسقفوا بالخشب

وجرهم وحضورا وحضرموت والسلف من بنى أرنخشذ بن يقطن يسمون العرب البائدة لعدم بقائهم وجرهم أمة كانت على عهد عاد وحضورا ديارهم بالرس وهم عبدة أوثان بعث اليهم شعيب عليه السلام فكذبوه وهلكوا وحضرموت منها الملوك التبابعة

وأهل التوراة لايعرفون أخبار أحد من العرب العاربة لانهم انما يعرفون أخبار من ذكر فى عمود النسب بين موسى وآدم ولا ذكر فيه لاحد من آباء هؤلاء الاجيال الذين علمت أخبارهم من مهاجرة بنى اسرائيل لانهم أقرب اليهم عصرا وأما من كانوا قبل هؤلاء العرب فلا طريق لعلم أخبارهم الا القرآن المجيد لتطاول الاحقاب وانقطاع السند

﴿ والعرب المستعربة ﴾

بنو قحطان أبى سائر اليمنيين بن عابر بن شالخ بن أرنخشد بن سام ظاهر بنوه العرب العاربة على أمورهم وكانوا مبعدين عن رتبة الملك والترفه التى لأولئك حتى كثرت أفخاذهم وعشائرهم فاخذ يعرب بن قحطان اليمن من عاد والحجاز من العمالقة فولى اخوته جرهما على الحجاز وعادا على الشحر وعمان على بلاد عمان وحضرموت على جبال الشحر وهؤلاء غير جرهم وعاد وحضرموت السالفة فى العاربة)

ولم يزل بنو قحطان على حضارتهم باليمن الاجرهم فهاجرت الى مكة وهى بيد اسمعيل (عليه السلام) فخالفته ونزلت بها ثم اقتضى الحال أن يعينوا رئيسا يدخل تحت لوائه جميع الرجال عند هجوم العدو ومركزا من المدن تدور عليه أمور الامة العربية فاختار بنو اسمعيل أن تكون الرياسة لهم والمركز مكة

مكة لشرفها بالبيت المطهر وبنو جرهم أن يكون الرئيس منهم والمركز صنعاء لغنى اليمن وأقدميـة أهله فقام بذلك بين الفريقين حرب امتدت الى القرن السادس بعـد الميلاد كانت النصرة فيها لبنى اسمعيل وذلك زمن استعداد النبى (صلى الله عليه وسلم) لتأسيس الوحدة الدينية

﴿ والعرب التابعة للعرب ﴾

من ولد اسمعيـل (عليه السلام) تزوج بنت مضاض سيد جرهم فاتت منه بأولاد وكانوا قبيلة تحت رياسة واحد حتى كثروا فتفرقوا قبائل ذهب أكثرها الى البادية تحت الخيام فاعتادوا المعيشة البدوية واعتادوا فى أسفارهم حمل أحجار من الحرم يطوفون بها اذا نزلوا تبركا بأثر البيت حتى أفضى بهم ذلك الى عبادة الاحجار واعتادت مشايخهم عند تملك مرعى أن يستنبحوا كلابهم ليكون مدى صوتهم المعلم بالحيازة كراسم دائرة على المرعى تمتنع بها مواشى القبائل المجاورة من النزول فيه

(وفى زمنهم كان تدويخ بختنصر للعرب وقتلهم وذلك ان الملك استفحل أمره فى الطبقة الاولى للعمالقة وفى الثانية للتبابعة وانتشروا باليمن والحجاز والعراق والشام وقتل أهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيبا عليه السلام فأوحى الله الى أرمياء وبرخيا أن ينقلا عدنان الى بلادهما وأن يأمرا بختنصر بقتل ماعدا عدنان من العرب ويعلماه ان الله سلطه عليهم فقبض على من ببلاده من تجار العرب وأنزلهم الحيرة ثم نظم مابين أيلة والابلة خيلا ورجلا خرج بهم فانقاد اليه من العرب قبائل أنزلهم على شاطئ الفرات فبنوا الأنبار وسار الى الباقين وقد اجتمعوا للقائه بجزيرتهم فهزمهم بذات عرق وقتلهم أجمعين ورجع الى بابل بالغنائم والسبايا فالقاها بالانبار ومات عدنان عقب ذلك وأخرج بختنصر من أسكنهم بالانبار الى الحيرة وبقيت بلاد العرب خرابا حقبا من الدهر حتى مات بختنصر فتراجعت العرب من الشواهق الى أماكنهم وخرج معد بن عدنان وأنبياء بنى اسرائيل فحجوا جميعا وأخذ معد يسأل عمن بقى من ولد

الحرث بن مضاض الجرهمى فقيل له بقى جرهم بن جلهة فتزوج بنته وولدت له نزار ثم كثر نسل معد فى ربيعة ومضر واياد وتدافعوا الى العراق والشام ثم كان لهم بالعراق والشام والحجاز دولة بعد التبابعة ودروس الاجيال السابقة فكانت الدولة فى يد اليمانية أزمنة وآمادا وأحياء مضر وربيعة تبع لهم فكان الملك بالحيرة للخم فى بنى المنذر وبالشام لغسان فى بنى جفنة وبالمدينة لغسان فى الاوس والخزرج ابنى قيلة وماسوى هؤلاء ظعانون بالبادية فى بعضهم رياسة بدوية ترجع فى الغالب الى أحد هؤلاء ثم نبضت عروق الملك فى مضر وظهرت قريش على مكة ونواحى الحجاز أزمنة دانت فيها الدول لتعظيمهم ثم جاء صبح الاسلام واختص الله بالنبوة مضر فكانت فيهم الدول الاسلامية)

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى تهديد الفاتحين من آسيا للعرب بالتغلب عليهم من ﴾
﴿ سنة ٩٧٦ الى سنة ٣٢٣ قبل الميلاد ﴾

لتوسط سهول نجد والحجاز بين مصر وكلدة كانت مطمح أنظار هاتين الايالتين المريدتين فى آن واحد التسلطن على كل من نهرى الفرات والنيل بل طمحت اليها أنظار الملوك النماردة أصحاب نينوى وبابل المتشوفين كل التشوف الى سعة ملكهم والاقتراب من سواحل البحر الابيض المتوسط فلم يبادر لصدهم الا العرب فقاوموهم أنجح مقاومة ومنعوهم التغلب على بنى اسرائيل ولم يهجم عليهم بعد ذلك كيروش ملك الفرس لعلمه انهزام من قبله من الملوك بل صد عن حدود ممالكه من هدده من العرب بالاغارة ثم سار ابنه قمبيز للتغلب على مصر فعقد مع عرب الحجاز معاهدة واقتدى به من بعده فبقى العرب موفين بالعهد معافين من الجزية حتى انقرضت دولة الفرس من اذربيجان وأغار اسكندر ذو القرنين على مملكة دارا الثالث الملقب بقزمان فانتصرت العرب

لدارا

لدارا بل رتب (بطيس Bétis) محافظ غزة دراهم لجمع حالفوا دارا ومنعوا جيوش اسكندر من دخول غزة ومنعها آخرون من الدخول الى مصر فسار بجيوشه الى بلاد كنعان ومن منها الى وادى مصر محاذيا لساحل البحر الابيض ثم رجع الى بابل وتفكر بعد وصوله الى خلف نهر السند فيما صنعه العرب معه ورأى أن فتحه بحيث جزيرة العرب يحقق له السلطنة بسائر الممالك الغربية من آسيا فبعث ضباط أساطيله لاستكشاف سواحل الخليج الفارسى والبحر الاحمر حين تجهيز قواد عسكره الجيوش بمصر والشام ثم بجئه الموت وله أربع وثلاثون سنة تقريبا فنجت العرب منه ومن رؤساء عسكره لاشتغالهم بعده بمصالحهم الخصوصية ثم وجه (انتيجون Antigone) و (ديمتريوس Démétruis) وكل من البطالسة والسلجوقية والرومانين هممهم الى دخول العرب تحت طاعتهم فعجزوا ثم بايعهم الرومانيون

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى الكلام على قبيلة النبط ﴾

هم من ولد ارم (خامس أولاد سام) أوشاميون أتوا من شواطئ دجلة والفرات فسكنوا مدينة أو بترة زمن بختنصر الثانى ولم يكن لهم ذكر زمن محاربة بنى اسرائيل العرب بل كان مبدأ ظهورهم فى ميدان الوقائع بعد غزوة اسكندر الاكبر حكموا بالقتل على من يزرع منهم قمحا أو يغرس شجرا مثمرا أو يبنى بيتا محتجين بضياع الحرية بحفظ تلك الامتعة فسكنوا البرارى مشتغلين بما يرد لهم على سواحل البحر الاحمر من متاجر المر والبخور والعطر فينقلونه الى مينيات البحر الابيض المتوسط وكانوا اذا دهمهم عدو أقوى منهم أدخلوه بسياستهم براريهم المنفردة ثم صعدوا صخرة عظيمة منيعة مشهورة وكأنها التى شيدت عليها مدينة أو بترة فلايزالون عليها حتى يكون لعدوهم من الجوع والعطش ما يحمله على طلب السلم وكانوا مهرة فى فن تعبئة الجيش فلذا قاوموا جميع أعدائهم

وقاسى الرومانيون فى فتح اليمن أهوالا شتى فقد سار اليها سنة أربع وعشرين قبل الميلاد (اليوس جالوس Ælius Gallus) بأمر القيصر (أغسطوس Auguste) ومعه دليل نبطى تاه به فى القفار فعاد بعد نصرات قليلة قوبلت بأتعاب كثيرة أيست بها الرومانيون من فتح بحيث جزيرة العرب ثم غزاها (قسيوس Cassius) تحت قيادة (ماركوريل Marc-Aurèle) سنة ١٧٠ بعد الميلاد وابنجع وكذا انهزمت جيوش القيصر (قومود Commode) ثم غزاها (مكرين Macrin) سنة ٢١٧ بعد الميلاد وأخذها بعد سفك دماء كثيرين من رجاله فانضمت الاقطار المجاورة الى الدولة الرومانية وجعلت فلسطين الثالثة (١) واتخذت مدينة أو بترة ذات الابنية الفاخرة والملاعب والهياكل مركزا تجاريا ثم آل أمر النبط الى السقوط بعد قليل حتى فقدت أسماؤهم من الكتب التاريخية

﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ فى أن قتال الرومانيين للبرطيين كان نافعا للعرب ﴾

كان الرومانيون متسلطين على البحر الاحمر مسافرين فيه عاجزين عن الاضرار بالعرب خاشين من البرطيين أن يسطوا على العرب فألهوهم بحرب انتهز العرب فى زمنها الفرصة لتأسيس مملكة الحيرة أو الأنبار سنة ١٩٥ بعد الميلاد ومملكة غسان سنة ٢٩٢ بعد الميلاد وهما فى الحدود الشمالية من بحيث جزيرة العرب

ولتوضيح حالة بحيث جزيرة العرب قبل بعثة النبى (صلى الله عليه وسلم) أردنا أن نذكر كل انقلاب على حدته من الانقلابات الاصلية التى طرأت فى شمال بلاد العرب وجنوبها ووسطها فنقول

(١) قال المترجم أما فلسطين الاولى فعلى شواطئ نهر الاردن وقاعدتها سيتوبوليس وفلسطين الثانية على ساحل بحر سفيد المتوسط وقاعدتها قيسارية اه من قاموس بوليه

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ فى الكلام على شمال بلاد العرب من ابتداء القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن السابع بعده الذى هو زمن البعثة وعلى مملكة الحيرة والانبار والغسانيين ﴾

كانت البلاد المجاورة لجميث جزيرة العرب منذ وفاة الاسكندر الاكبر الى زمن الرومانيين والبرطيين خالية عن حكومة قاهرة فان المملكة السلجوقية نهكت بالفتن الداخلية فلم تستطع أن تمنع نشأة الممالك المستقلة فى الاناضول ولاان تنقذ ملوك اليهود من اتلافات العرب المتعودين اذ ذاك العدوان على ممالك أكبر الملوك وكانوا لايتمكنون من الاغارة على المملكة السلجوقية من جهة الفرات لقرب مدينة هؤلاء السلجوقية وأخذوا يرتقبون كل سنة اشتغال جيوش السلجوقية بالحروب فى البلاد القاصية فيسيرون من جهة الشام شاهرين السيوف ثم يعودون بالغنائم الجسيمة بلا انتقام ولا قصاص وما زالوا على ذلك حتى عدمت سلطنة السلجوقية فاجتهد الرومانيون والبرطيون فى ازالة ذلك التعدى بتشييد القلاع والحصون بحدود البلاد وترتيب عساكر لملاحظة حركات هؤلاء بل استمال الرومانيون جمعا من مشايخ العرب بالعطايا وتلقيبهم بأمراء العرب فكفوهم عدوان تلك القبائل

وانضم الى البرطيين من مشايخ العرب جمع منهم (اريامنس Ariamnes) الذى أظهر للقائد (كراسوس Crassus) الرومانى انه محب ومنتصر لهم حتى حوّل ذلك القائد جيوشه من البلاد الجبلية التى يودّ التمنع بها الى سهول واسعة خالية عن الشجر والماء فحمل اذ ذاك البرطيون بخيلهم ورجلهم وظفروا بهذا القائد كل الظفر

وليس ذلك بأول وآخر دخول للعرب بين فريقين فقد فعلوا مثل ذلك فيما اتقد من القتل فى مدينة رومية التى بالمدائن مع بعد المسافة بينهما وانضموا الى الملكة الزباء المتسلطنة بعد زوجها أذينة زمن محاربتها الرومانيين من سنة ٢٦٧

بعد الميلاد الى سنة ٢٧٢ وتعدوا على سكان آسيا الصغرى وتولى منهم فيليبش القيصرية سنة ٢٤٤ بعد الميلاد لابسا ملابس القيصر الارجوانية (١) فنسى وطنه ولم ينفعه بشئ وأتى اليهم (أو ريليان Aurélien) بالجيوش الرومانية سنة ٢٧١ بعد الميلاد فدمر مدينة تدمر وحل بالعرب من المصائب مالم يقم لهم بعده جاه ولا سطوة

ومن أمراء العرب الذين ملكوا الجهة الشرقية من الشام وجزأ من جزيرة دجلة والفرات الملوك الاذينية المعاصرون لاوائل ملوك الحيرة والانبار وزعم بعض الفرنج أن آخرهم أذينة زوج الزباء الذى قتل سنة ٢٦٧ بعد الميلاد فى معركة بينه وبين جذيمة بن الابرش أحد ملوك الحيرة التنوخيين فخلفته الزباء فى السلطنة وقتلت جذيمة الذى خلفه عمرو بن عدى أول العائلة الملوكية اللخمية أو النصرية فبعث الى الزباء قصير بن سعد المعروف عند الفرنج بزبيرا الثانى فهجم عليها فى قصرها فهمت بالفرار وعبرت سردابا صنعته تحت اخدود الفرات فقتلها فولت الرومانيون سنة ٢٧٢ على عرب الشام تنوخية ثم صالحية أزال حكمهم الغسانيون سنة ٢٩٢ بعد الميلاد

وكان الفرع الاصلى من بنى قضاعة الذين هم ملوك الحيرة التنوخية متوطنا بتهامة والبحرين ملكوا الحيرة وأغاروا على العراق سنة ١٩٢ بعد الميلاد ثم على بلاد الانبار وكان رئيسهم سنة ٢٢٨ جذيمة بن الابرش المعترف بتبعيته لاردشير بن ساسان ملك الفرس خلفه فى الملك كما سبق عمرو بن عدى أول العائلة الملوكية اللخمية أو النصرية التى امتد حكمها الى سنة ٦٠٥ بعد الميلاد الذى لم يساعد عرب مدينة حضر المؤسسة بين دجلة والفرات بصحراء سنجار قاوم أهلها القيصرين (تراجان Trajane) سنة ١١٦ (وسيوير Sévère) سنة ٢٠١ والملوك الساسانية سنة ٢٢١ بعد الميلاد وأخذها من ملوك الفرس سابو ر الاول سنة ٢٤٠ بعد الميلاد

وكان بين الفرس واليونان فى حكم الفرات تنازع أدى الى اتقاد نار الحرب بينهما كما كان بين البرطيين والرومانيين مع عناد شديد اغتنم به ملوك الحيرة اتساع مملكتهم بسواحل الفرات وكانوا لجيوش الفرس طلائع تغلبوا سنة

(١) الحمراء نسبة الى الارجوان بضم فسكون وهو الاحمر اه مصححه

٢٧٢ بعد الميلاد على جزيرة دجلة والفرات وتوغلوا فى التغلب حتى بلغوا مدينة انطاكية لكن تعذر عليهم ادارة الحكومة فيما فتحوه من البلاد فلزموا المقاتلة للنهب والسلب وكانوا مدبرين فى الحروب يطمعون العدو بفرار بعودمنه فى الغالب الظفر بسبب رخاوة اليونان واستقلوا بمحاربتهم حتى حولوا جميع خزائن الاناضول الى تخت ملوك الحيرة فساغ لهم أن ينافسوا بالزينة والزخرفة ملوك المدائن وقياصرة القسطنطينية الذين نقموا منهم هذه الغزوات حتى انتقموا من العرب سكان شمال بحيث الجزيرة المسمون عندهم بالشرقيين فقد قاتلوهم بعد الميلاد فى سنى ٢٨٩ و ٣٥٣ و ٣٦٣ التى أخذوا فيها الانبار و٣٧٣ و ٤١١ وهزموا سنة ٤٢١ الملك المنذر الاول هزيمة سفكت فيها دماء كثيرة لمساعدته الملك بهرام جور فى عوده الى الجلوس على سرير سلطنة الفرس وأغرقوا على ما قال المؤرخ سقراط مائة ألف من العرب فى الفرات سنة ٤٤٨ لكن القيصر (انسطاس Anastase) انهزم سنة ٤٩٨ وجدد العداوة والحرب مع الفرس فكادت جزيرة دجلة والفرات تذهب منه بأسرها سنة ٥٠٢ وشارك النعمان الثالث الفرس فى محاربة الرومانيين وصد عنهم من وسط بلاد العرب سنة ٥٠٣ القبائل التغلبية أو البكرية مع رئيسهم الحرث بن عمرو المقصور على ملك الحيرة المتظاهرة بنصرة ديانة مزدك المانوى الذى عزل المنذر الثالث من السلطنة سنة ٥١٨ ثم قتله كسرى بعد خمس سنين وأعاد المنذر الثالث الى سلطنته وسائر حقوقه الملوكية ونقل أن هذا المنذر مكث سلطانا من سنة ٥١٣ الى سنة ٥٦٢ بعد الميلاد نافذا لكلمة على العرب التابعين للفرس يشن الغارات من سائر الجهات على اليونان فلا يستطيعون رده فظهر رونق المملكة الحيرية حتى كان ذلك العصر أزهر أعصرها ومازالت كذلك حتى ملك النعمان الخامس من سنة ٥٨٣ الى سنة ٦٠٥ بعد الميلاد فكان آخر ملوك العائلة اللخمية وتولى سائر المملكة بعده الملوك الساسانية فلم يكتفوا بأخذ جزيتها ولا بعلامات تفيد تبعيتها لهم ونصرت القبيلة البكرية السابقة سنة ٦١٠ بعد الميلاد على الفرس فى واقعة ذو قار فاستقلت بالبحرين وولى مملكة الحيرة من حينئذ عمال

من قبل ملوك الفرس وفى ذلك الزمن ظهر النبي (صلى الله عليه وسلم) بما جاء به من الجهاد وتأسيس الدين

وقد اعترف عرب العراق وجزيرة دجلة والفرات بحكم ملوك الحيرة والانبار عليهم منذ سنة ٢٧٢ بعد الميلاد وانقاد عرب الشام فى ذلك الزمن لملوك بنى غسان وأما الازد اليمنيون فرحلوا من اليمن ونزلوا سنة ثمان عشرة ومائة بعد الميلاد ببطن مر (١) قرب مكة ثم تفرق شملهم بعدمائة سنة وسكنت عدة قبائل منهم قرب عين ماء تسمى بركة غسان فسموا الغسانية ثم توالت عليهم نصرات اتسع بها حكمهم فتوطنوا فى برة وتقلد منهم ثعلبة الامارة على عرب تلك الجهة من قبل الرومانيين وخلفه فى الحكم جفنة الاول أصل العائلة الغسانية التى آخرها جبلة السادس الذى امتد حكمه الى سنة ٦٣٧ ميلادية وأسلم فى ذلك العصر ومن الغسانية ملكتان شهيرتان (ماوية Mawia) التى نصرت زوجة القيصر (ولنس Values) بعد موته حين حاصرها فى تخت ملكها قوم (الويزيغوط Wisigoths) (ومارية Maria) الملقبة بذات القرطين لاهدائها الى الكعبة حين تنصرت لؤلؤتين لا تعرف قيمتهما وكان الغسانيون فى تلك المدة مساعدين لقياصر القسطنطينية على الفرس وبعد تنصرهم فى نصف القرن الرابع تحاربن لملوك الحيرة تلقب منهم الحرث الخامس الاعرج ابن أبي شمر بلقبى البطريق والملك من طرف القيصر (يوستينان Justinien) وشهد سنة ٥٣١ واقعة قالينيقة التى انهزم فيها القائد (بليزير Bélisair) الرومانى أمهر قواد يوستينان الثانى وكذا انهزم من المنذر الثالث سنة ٥٣٩ الا أنه عوض خسارته فى سنين قلائل وغزا بعد ذلك بلاد العرب غزوة انتصر فيها على يهود خيبر وسافر الى القسطنطينية سنة ٥٦٢ ومات سنة ٥٧٢ وساعد الغسانيون أيضا القيصر (موريق Maurice) المتعاهد معهم من سنة ٥٨٤ الى سنة ٥٨٨ والقيصر هرقل المتعاهد معهم من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٤١ وقاتلوا فى واقعة مؤتة سنة ٦٢٩ وانهزموا فيمن انهزم فى واقعة اليرموك سنة ٦٣٤ وانقادوا للخلفاء

(١) هو المعروف بمر الظهران على مرحلة من مكة اه مصححه

الراشدين

الراشدين بعد ذلك بثلاث سنين

وكان شمال بلاد العرب منحصرا فى ابتداء القرن السابع بعد الميلاد بين مملكة الفرس واليونان المتغلبين على مصر وفلسطين وبحيث جزيرة طورسينا وبين مملكتين تدفع احداهما الجزية الى الرومانيين بالقسطنطينية والاخرى الى ملوك المدائن وكان لهاتين المدينتين تغلب كلى على صحارى الشام والعراق وجزيرة دجلة والفرات

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى بلاد العرب الجنوبية من سنة ١٦٧ قبل الميلاد الى سنة ٥٩٧ بعده وفى التبابعة وملوك الحبشة ﴾

بعد انقراض ملوك سبا المؤسسين لمدينة مأرب وظفار وعدن ونجران وغيرها أحدثت الحميرية من بنى قحطان التابعون لسلطنة الملوك التبع عمارات كثيرة فى جنوب بلاد العرب وأولهم الحرث الرائش المتسلطن سنة ١٦٧ قبل الميلاد على ما يظهر وأما ما زعمه بعض متأخرى الفرنج أن هذه العمارات لم تحدث الا بعد سنة ٧٩٤ قبل الميلاد فتوهم لا يسعنا الحكم بصحته وقد تغلب هذا الملك على حضرموت ومهرة وعمان زيادة على اليمن وبقيت سلطنة التبابعة حتى تغلب عليهم ملوك الحبشة سنة ٥٢٥ بعد الميلاد

ونقل ان الخط القديم الحميرى المسمى مسندا كان يتركب من حروف متقطعة ولا مانع أن يعتبر ما استكشفه بعض الفرنج من العنوانات القديمة نموذجا لذلك الخط

وكان التبابعة ذوى شوكة مكينة وأرضهم خصبة مع طيب الهواء وكثرة الماء واشتغال الرعية بالفلاحة والتجارة فيما ينقل من بلادهم من البهار والعطر والبخور وحسن طرقهم فى توزيع مياه الرى المستمدة من سد مأرب وهو جسر جسيم بين جبلين تجتمع اليه الامطار المنحصرة بينهما حتى يتكون ما يكفى رى زراعتهم فيصرفوه من منافذ ذلك الجسر على حسب احتياج زراعتهم ثم

غلبت المياه الجسر سنة ١٢٠ بعد الميلاد فاتلفته وأغرقت مزارعهم ولم يصلحوا الجسر فبقيت بلادهم معرضة كل سنة للغرق بتلك المياه الدورية فرحل أغلبهم عن اليمن فأسس بعضهم مملكة الحيرة وبعض آخر مملكة غسان وصرفت التبابعة هممهم فى ادخال ماخرج عن بحيث جزيرة العرب فى ملكهم فعجزوا فحافظوا على حدود مملكتهم حتى انقرض ملكهم سنة ٥٢٥ بعد الميلاد التى أغار فيها ملوك الحبشة والفرس على اليمن فنزلوه بلا صعوبة ووجدوه خاليا عن الحكم والثروة الاصلية لارتحال الزارعين بعدان كان لملوكه أعصر معروفة بالفخار والعز حتى غالى مؤرخو العرب وجعلوهم نموذجا للدول العظيمة حيث ادعوا أن أحدهم سلك مسلك اسكندر ذى القرنين وفتح مثل فتوحاته وان افريقش المنتصر سنة خمسين قبل الميلاد العيسوى على البربر الذين هم أصل المغاربة سار الى غرب أفريقية حتى بلغ سواحل الاقيانوس الاطلنطيق وان منهم شمرا المؤسس لسمرقند وغير ذلك من الترهات الناشئة عن توالى نصرات العرب زمن البعثة المحمدية الذى هو عصر عظمتهم وشوكتهم فان ذلك بعثهم على دعواهم ان آباءهم الاول كانوا ملوكا فاتحين متسعى الممالك اعلاء لنسبهم الاصلى وحفظت تلك الدعوى ببلادهم ونقلها المؤرخون مع ان آباءهم ربما لم يخرجوا عن بحيث جزيرة العرب ولم يوقعوا الاسلسلة حروب وسطوات على العرب الاخرى داخل بلادهم وقد نسبت اليهم حوادث أخرى بعيدة عن الصواب غير مطابقة للحوادث التاريخية التى بين قطع سد مأرب واغارة ملوك الحبشة على اليمن وأعظمها ماقيل من أن التبع أبا كرب غزا الفرس سنة ٢٠٦ بعد الميلاد فغلبهم ورجع بوافر السلب والغنائم ثم استولى على الحجاز وحاصر المدينة ثم حج الكعبة ودخل فى دين اليهودية ونقل التدين به الى اليمن وأغلبه وتبعه ثم بعث الامبراطور قسطنطين سنة ٣٤٣ بعد الميلاد (تيوفيل héophilTe) ليدعو أهل اليمن الى دين النصرانية وتهود أبو نواس المتسلطن على الحميرية آخر القرن الخامس ودعا الى دين اليهودية نصارى

نازلين

نازلين بنجران سنة ٥٢٤ بعد الميلاد فأبوا فأمر بقتلهم و وصل هذا الخبر الى العاهل (١) (جوستين Justin) الاول فأمر النجاشى صاحب الحبشة المتدين بدين النصرانية بالانتقام من أبى نواس فبعث القائد (ارياط Aryat) بسبعين ألف مقاتل فدخل اليمن بلا مشقة وانهزم أبو نواس فألقى نفسه فى البحر سنة ٥٢٥ بعد الميلاد ومات خليفته (علس ذوجدن) (٢) فتولى ارياط اليمن نيابة عن النجاشى ونفذت كلمته فغار منه الضابط المسمى أبرهة الاشرم فقتله غدرا وتولى بدله نيابة عن النجاشى بعد أن جعل سائر الحبشة تحت قيادته وحارب عدة حروب كان له فيها الظفر وكتب بأمره (غريجنطيوس Gregentuis) أسقف مدينة ظفار قوانين نسختها الاصلية المدونة باليونانية محفوظة بكتبخانة ويانة

و بنى أبرهة بصنعاء كنيسة فى غاية الزخرفة ليصرف العرب الى حجها بدل الكعبة المشرفة التى سار بعد الى هدمها فخذل ومات عقب هزيمته وخلفته أولاده فعسفوا وجاروا وعجز اليمنيون عن كفهم فاستغاثوا بقيصر القسطنطينية فأبى حيث كانوا وثنية وهو نصرانى واستغاث ملك الحيرة بكسرى أبرويز فتوقف ثم أجابه و بعث سنة ٥٧٥ بعد الميلاد اسطولا هزم الحبشة وأجلاهم من اليمن سنة ٥٩٧ بعد الميلاد فانقاد اليمنيون للفرس كما كانوا منقادين للحبشة غير ان الفرس لم يجبروهم على أعمال دينية ثم تغلبوا على حضرموت وعمان والبحرين

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى الكلام على وسط بلاد العرب من سنة ٢٠٩ الى سنة ٦٢٠ بعد الميلاد وعلى مكة والمدينة وشوكة قريش﴾

كانت بلاد العرب فى القرن السابع من الميلاد فى أخطار عظيمة من الامبراطور اليونانى وملك الفرس المتمكنين بحدودها فان كلا منهما أخذ اقليما

(١) الملك الاعظم اه

(٢) فى القاموس وذوجدن علس (بالتحريك) بن يشرح بن الحرث بن صيفى بن سبا جد بلقيس وهو أول من غنى باليمن اه

ألحقه بمملكته فالتجأت الامة العربية الى نجد والحجاز السالمين من تغلب الاجانب عليهما لتظهر بعد على البلاد الاخرى مع خلو هذين الاقليمين عن دولة منتظمة كدولة التبابعة بل هما فى ذلك الوقت وما قبله فى قبضة قبائل متحدة الاخلاق والعوائد تخاطر باتلاف أموالها وأنفسها حفظا لحريتها فبقى منظر وتاريخ هؤلاء الاقوام الكثيرون مدة قرون كمنظر وتاريخ جماعات قليلة متحدة الكلمة لما بينهم من الترتيب السياسى المؤدى الى اتحادهم على غيرهم وان كان بعضهم منفصلا عن بعض بما يقع بينهم من المنافسات والمشاجرات المقرونة بسفك الدماء وكانوا متساوين تقريبا فى الاموال لتماثلهم فى وسائلها الحربية ومن استغنى منهم بالتجارات الجأته العلائق والمخالطات الى أمور عادلوا بها غيرهم فى الغنى

وأعظم تلك القبائل رتبة ذو والسطوة فى أعظم مدائن الحجاز وهما المدينة ومكة

وكان المهاجر الى الحجاز عدة عشائر من بنى قحطان اليمنيين فنزلت جرهم ببطحاء مكة وعاهدوا اسمعيل (عليه السلام) ثم غلبوا ولده فاخذوا منه سدانة الكعبة زمنا طويلا حتى طردوا عن بطحاء مكة سنة ٢٠٦ بعد الميلاد لعبادتهم الاوثان المخالفة لما لولد اسمعيل من عبادة الاله التى اهتدى اليها الخليل (عليه السلام) ونزلت قضاعة فى شمال المدينة ونزل الازد فى منزلة بطن مر التى أسسوها سنة ١٨٠ بعد الميلاد ثم نزلوا البحرين والعراق وخلفت خزاعة التى هى فرع من الازد بنى جرهم فى سدانة الكعبة سنة ٢٠٧ بعد الميلاد فاحدثوا بمكة أوهاما باطلة منها عبادة هبل أحد ٣٠٦ صنما داخل الكعبة حتى ارتحلوا ونزلوا فى منزلة بطن مر حين ظهرت قريش وتولى الحكم رئيسهم قصى سنة ٤٤٠ بعد الميلاد فجمع القبائل القرشية تحت يده وجعل الحكومة فى أيدى جمهور من العرب وقسم الوظائف المتعلقة بسدانة الكعبة بين فروع العائلة القرشية وخص هاشما بالرفادة والسقاية اللتين هما أكبر تلك الوظائف واشتهر بتوزيعه على العرب كل يوم الدشيشة المعروفة بالشربة واتسعت مكة فى زمنه ثم خلفه المطلب ثم عبد المطلب جد النبى (صلى الله عليه وسلم)

ونقل أن العمالقة بنوا المدينة فكانت فى حيازتهم ثم فى حيازة أقوام من اليهود منهم بنو النضير

النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع ثم نزلها قبيلتان من الازد سنة ثلثمائة وأخذاها سنة ٤٩٢ بعد الميلاد وقاوما تبابعة اليمن حين هجموا عليهما ثم تفاشلا وضعفا بحروب داخلية فى سنى ٤٩٧ و٥٢٠ و٥٨٣ و٦١٥ بعد الميلاد ثم تحابا بعد ذلك بخمس سنين وبايعا النبى (صلى الله عليه وسلم)

وكانت قبائل اليهود بالمدينة مشتغلة بالتجارة مع الجد والاهتمام حتى كانت المدينة منافسة فى ذلك العصر لمكة التى حجت اليها العرب واحترمتها لاختصاصها بالبيت المقدس حتى بنى أبرهة الاشرم بصنعاء الكنيسة السابقة وأطاع تبالة (١) والطائف وأغار على الحجاز لهدم الكعبة باربعين ألف مقاتل فخذلوا فتوغل القرشيون حماة مكة اذ ذاك فى الاوهام الفاسدة ونسبوا نجاة مكة من ابرهة الى الاصنام التى يعبدونها فازداد احترامهم مكة وصارت اذ ذاك التخت الحقيقى للبلاد العربية الا أن الاحكام السياسية لقريش لم تسر حينئذ الى عرب نجد والحجاز الحاكمين أنفسهم بلا اهتمام بالمصالح الوطنية العامة مع علمهم بما وقع من القرشيين للنبطيين والحيريين من الاساءة التى لم يروا طريقا للنجاة منها سوى اتحادهم التام

﴿ المبحث التاسع ﴾

﴿ فى ميل العرب الى الوحدة السياسية وفى اجتماعهم بسوق عكاظ ومنازلاتهم بالقصائد الشعرية ﴾

كان بين الاسماعيلية والقحطانية تنافس المعاصرة المؤدى الى اختلاف الكلمة ثم مالوا الى الوحدة السياسية لتوفر أسبابها من اغارة الحبشة عليهم بمكة واتحادهم فى الاخلاق والعوائد فان سائرهم غسك باوهام العبادة الوثنية والعوائد الجاهلة كمعاملة النساء معاملة الرقيق ووأد البنات مع التكبر الوحشى وحب الانتقام والمقاصة واجازة النهب بعد الانتصار واقامة القوة مقام الحق وقرى الضيف مع حرمان النفس تشوقا الى السمعة بين القبائل وحب شرف النفس الموجب

---

(١) فى القاموس وتبالة بلد باليمن خصبة استعمل عليها الحجاج فأتاها فاستحقرها فلم يدخلها فقيل أهون من تبالة على الحجاج اهـ

البسالة والحماسة والمحاماة عن المظلوم وتقديم الوفاء بالوعد على الحياة ويزيد على ذلك شهواتهم النفسية فانها أكبر تلك الخصال غلبة وظهورا ومن ذلك يعلم انه متى اتجهت عقولهم الهائجة المخاطرة الى شئ وثبوا اليه وثبة واحدة وذلك يوجب الوحدة فى اللغة المتيسر بعضها بواسطة اختلاط القبائل

ورأوا الاشعار وسيلة لانتشار نخارهم فى بحبث جزيرة العرب وسبيلا لوصول أعمالهم العجيبة ومآثرهم الى ذراريهم فأحبوها وعكفوا عليها لكن كلام مؤلفى نجد والحجاز لم يفهمه مؤلفو اليمن بل لم تتفق قبائل بلد واحد على لغة واحدة الا أن شعراء العرب الموكول اليهم اختراع لغة أعم من تلك اللغات رويت أشعارهم فى كل جهة فتعينت الالفاظ المعدة للدلالة على الافكار والتصورات فان العشائر المستعملة للعبارات المختلفة للدلالة على فكرة واحدة متى سمعت قول الشاعر اختارته فى ذلك الموضوع وفهمت مع ذلك فوائد التمدن فلذا قابلت الامة العربية هذه الابتكارات العقلية بالاعتبار وانشؤا فى عكاظ والمجنة وذى المجاز الفاخرة بالشعر مجالس حافلة خالية من التحكم على النفوس يقوم أمامها شجاع يمشى مشية المتكبر والابصار شاخصة اليه حتى يقف على مرتفع من الارض فينشد مع انصاتهم قصيدة بصوت رنان يستعين فيها بروية حافظته الواسعة الاقتراح فتارة ينشد أعماله العظيمة ووقائعه الجسيمة وشرف قبيلته وطورا يصف لذائذ الانتقام وتارة لطائف اكرام الضيف وطورا الشجاعة وفى كل لا يغفل عن مدح شرف النفس والعرض وقد يقتصر على وصف العجائب المشاهدة والعزلة عن الناس فى الصحارى وخفة عدو الظباء والسامعون فى كل ذلك ناظرون الى فه مستحسنون جميع الاخلاق التى يود أن يوزعهم اياها مرتسما على وجوههم مايقع بنفوسهم من تعظيم الشجاع واحتقار الجبان عند النزال حتى اذا أتم قوله أظهروا ماعندهم من الاستحسان أو الاستقباح فاذا شهدوا له عاد الى قول أبدع مما أبداه بحماس جديد

ولاعتماد أخبار الشعراء وسداد رأيهم كانوا المدونين لتاريخ بلادهم قبل البعثة والرافعين أو الخافضين شأن القبائل المختلفة كما يستصوبون ولذا كانوا مهابين

محترمين

محترمين عند الجميع وكان المقبول من قصائدهم يكتب بالذهب على نفيس القماش ثم يعلق على الكعبة ليحفظ حتى تطلع عليه الذرية فوصل الينا المعلقات السبع لامرئ القيس المتوفى سنة ٥٤٠ بعد الميلاد والحرث بن حلزة المولود فى هذه السنة وطرفة المتوفى سنة ٥٦٤ وعنترة بن شداد المتوفى سنة ٦١٥ الذى فاق غيره فى اتقان جميع أنواع الشعر الجاهلى وعمرو المتوفى سنة ٦٢٢ التى كانت فيها الهجرة وزهير المتوفى سنة ٦٢٧ بعد الهجرة بنحو خمس سنين ولبيد المتوفى سنة ٦٦٢ التى هى عام ثلاث وأربعين من الهجرة

وكانت العرب تجتمع كل ليلة بخيامهم ليسمعوا هذه المعلقات الجامعة بين محاسن الترنم وحلاوة التوقيع بلا تكلف مع اشتمالها على السجايا العربية المثيرة للحماسة

وكان هؤلاء الشعراء السبعة وآخرون كالمرقشين والنابغة الذبيانى ودريد بن الصمة وحاتم والاعشى يشيرون فى أشعارهم الى وقائع القبائل الساكنة وسط بلاد العرب وأولها واقعة البيضاء سنة ٤٥٣ بعد الميلاد التى منعت غارات ملوك اليمن ثم فتوحات ملوك كندة الاوائل وفتوحات الحرث ملك الحيرة سنة ٥١٨ ثم نصرات سلان سنة ٤٨١ ونصرات خزاز (١) سنة ٤٩٢ التى فاز بها ربيعة وابنه كليب على العرب الحميرية وحرب البسوس بين آل بكر وتغلب الممتدة من سنة ٤٩٤ الى سنة ٥٣٤ ونصرات زهير أمير غطفان على هوازن سنة ٥٦٧ وحرب داحس الممتدة من سنة ٥٦٨ الى سنة ٦٠٨ بعد الميلاد بين عبس وذبيان اللتين هما أعظم قبائل غطفان وحرب بنى تميم وبنى عامر سنة ٥٧٩ والقتال المشهور بعركة الرقم والنبعة واللوى وسلى وحوراء الممتد من سنة ٦٠٩ الى سنة ٦١٥ بعد الميلاد بين بنى عبس وبنى ذبيان مع هوازن وبعض قبائل من نسل خصفة وحرب بنى تميم وبنى بكر المنتهية سنة ٦٣٠ بعد الميلاد التى أسلم فيها هاتان القبيلتان

ومن عادة عرب البادية التى وجدت باشعار العرب أن يعقدوا بعد مقاتلاتهم منازلات للفخار والتظاهر بالكرم يسمونها المنافرة كما وقع لعلقمة

(١) كسحاب بطن من تغلب اه

وعامر بن الطفيل من بنى عامر سنة ٦٢٠ فانهما كانا شاعرين شجاعين يزعم كل منهما استحقاقه المشيخة فحكما فى تنازعهما شيخا على غير عشيرتيهما فأجل الحكم الى سنة أظهرا فيها شجاعتهما وفضائلهما ثم حكم ذلك الشيخ فى مجمع حافل على العادة باستحقاق كل منهما الرياسة على العشيرة فاشتركا فى الحكم واتحدا كل الاتحاد ومن ذلك ما كان فى بنى طىئ من التنافس بين حاتم وزيد الخيل المضروب بكرمهما المثل فى ابتداء القرن السابع من الميلاد فى سائر بحيث جزيرة العرب

﴿ المبحث العاشر ﴾

﴿ فى الحركة الدينية التى ظهرت فى بحيث جزيرة العرب ﴾

كانت آلهة اليونان والرومان موجودات معنوية مصورة بصور جسمانية و آلهة العرب كقدماء المصريين بهائم ونباتات وغزلانا وخيلا وجمالا ونخلا وأعشابا وأجساما معدنية غير منتظمة الاعضاء وصخورا وأحجارا وأصناما كهبل واللات والعزى ونجوما كالدبران والشعرى اليمانية وسهيل ومازال العرب على ذلك حتى نبغت فيهم الشعراء فبينماهم يعودونهم على الاتحاد فى استعمال اللغة العربية اذ أشرقت بعقولهم تفكرات دينية ترك بها بعضهم عبادة الاوثان فتجدد ببلاد العرب عدة أديان غير عبادة الاوثان واشتهر بها دين اليهودية فان السريانيين واليونان طردوا اليهود من بلادهم فقابلهم بنو اسمعيل بالترحيب وتهود منهم كثير لما رأوه فى كتب اليهود القديمة من التعظيم للاله الذى اهتدى الخليل (عليه السلام) الى عبادته (سبحانه) وانتشر هذا الدين بالجهات لاسيما الحجاز ونواحى خيبر والمدينة بين قبائل قريظة والنضير ذوات الشوكة المتأصلة هناك من زمن مديد كما اشتهر بجزء عظيم من قبائل اليمن بعد أن نقله التبابعة الى ممالكهم فى سنى ٢٢٥ و ٣٠١ و ٤٩٥ بعد الميلاد واشتهر فى ذلك العصر دين البراهمة فى سكان عمان وتمسك بدين النصرانية بنو غسان من سنة ٣٣٠ بعد الميلاد وعدة

قبائل من عرب العراق والبحرين وصحراء فاران ودومة الجندل وجزيرة دجلة والفرات وتعاون النجاشي وقيصر القسطنطينية على نشره فانتشر وثليت أناجيله في اليمن وتمسك به عدة من ملوك الحيرة وساعدوا على انتشاره في سني ٣٩٥ و٥١٣ و٥٨٢ بعد الميلاد ثم جاء ابرهة وفعل ماسلف ومع ذلك كان الغالب في العرب عبادة الاوثان الا أنهم كانوا يعبدونها لا لأنها الاله الفرد بل لتقربهم الى الله زلفى وكانوا يعتقدون الجن والغيلان والسحر والكهانة والقربان للآلهة وهواتف الاصنام وكانوا يقرعون بسهام لاسن لها تسمى القداح أو الازلام ومع تفرق أهوائهم اتفقوا جميعا على اعلاء قدر الكعبة على سائر هياكل عباداتهم ورأوها هدية من الله اليهم اعلاما بفضلهم وضعوا فيها الثلثمائة والستين صنما فصارت عندهم بمنزلة (البنثيون Panthéon) عند قدماء اليونان وأظهرت الصابئة واليهود وسائر العرب تعظيمها وبذلوا جهدهم في زخرفتها بل رغبوا فوقانها سائر مباني الدنيا ولذا كانت روايات شرفها أحب الاحاديث عندهم وعلقوا عليها المعلقات السبع رغبة في أن يعلق عليها سائر أنواع الشهرة

وكان لقريش سدنة الكعبة ضرب من الحكم الديني اعترف به سائر العرب ولذا كان لهم الحق في تعيين الاشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال بين جميع قبائل العرب ويلقي امامهم السلاح من يحضر سوق عكاظ قبل الدخول للجلوس لئلا يقع بينهم سفك الدماء

وكان عبد المطلب بن هاشم المولود سنة ٤٩٧ بعد الميلاد ممارسا للحكومة العظمى في مكة من سنة ٥٢٠ الى سنة ٥٧٩ خلص وطنه من غارة الحبشة وأقرع بين أولاده حين بلغ عددهم ١٨ سنة ٥٦٩ لذبح أحدهم قربانا لاصنام الكعبة وفاء بنذره فوقعت القرعة على عبد الله أحبهم اليه وعمره اذذاك خمسة وعشرون سنة تقريبا فهم بذبحه فانكر عليه قريش وأجمعوا على مشاورة كاهنة تعرف بالعرّافة فأخبرت أن يفتدى بعشر جمال دية النفس بعد عمل قرعة أخرى فكتب على سهم عدد عشر وعلى آخر اسم عبد الله واقترعوا

فوقعت القرعة على عبدالله فزادوا عشرا فى عدد الجمال ولم تزل الرواية ترعون ويزيدون كل مرة عشرا حتى بلغوا تسع مرات وقعت فيها القرعة على عبد الله ثم وقعت على الجمال فى العاشرة فذبحوا مائة جمل فدية فاعتبر هذا العدد من ذلك الوقت مقدارا للدية بين قريش وتزوج عبدالله بعد نجاته بقليل السيدة آمنة بنت وهب شيخ بنى زهرة فأتت منه بالنبى (صلى الله عليه وسلم) فى ثانى عشر ربيع الاول الموافق اغسطس سنة ٥٧٠ بعد الميلاد

﴿ المقالة الثانية ﴾

﴿ فى الكلام على النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن وفيها ثلاثة أبواب ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

﴿ فى حالة بلاد العرب آخر القرن السادس من الميلاد وفيه مبحثان ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى المجددين الاول لامور العرب ﴾

كان تنافس المعاصرة بين عشائر العرب فى بحبث الجزيرة حتى هجم عليهم اليونان من الشمال والفرس من المشرق والحبشة من الجنوب فاتحدوا وصاروا أمة واحدة وأخذوا يضعفون قوى أعدائهم باغراء بعضهم على بعض فأغروا الفرس المالكين للدائن واليمن والبلاد التى بشواطئ الخليج الفارسى على صد الحبشة المحالفة لليونان المتغلبين على أرض الحجاز ثم ساعدهم حسن حظهم على بلوغ أربهم فصدوا أبرهة وسعى عبدالمطلب فى ربط العلائق بين القبائل المستقلة بحكمها وبين أهل مكة وذهب الى صنعاء ليهنئ الملك الحميرى الذى أعاده جيش الفرس الى الجلوس على سرير الملك نيابة عن بنى قريش وكان العرب اذ ذاك متحابين مكتسبين الوحدة اللغوية دون الوحدة الدينية الا أن عقائدهم القديمة اضمحلت وكره بعضهم عبادة الاوثان والتزوج بزوجات الآباء ووأد البنات وأشرف على الزوال غير ذلك من الاوهام الفاسدة ولم يميلوا الى النصرانية

لانقيادهم

لانقيادهم الى أنفسهم فيما تأمرهم به من الشهوات الجسمانية مع تأسس آداب الانجيل على عصيانها وقد تحصل كل من ورقة بن نوفل وعثمان بن حريث وعبيد وزيد بن عمرو وغيرهم على معلومات استفادوها من مخالطات اليهود والنصارى فاجتهدوا فى ابطال دين الجاهلية ودعوا الى التمسك بشريعة الخليل وادعوا أنهم مجددون للدين فعجزوا فاخبروا أن رسولا سيظهر وينصر على الشيطان وحزبه

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى انحطاط الدول المجاورة للعرب فى ذلك العصر ﴾

بينما العرب على التعاب والميل الى الاختلاط العام اذ حدث بين كسرى وهرقل حرب عظم أمرها فى ابتداء القرن السابع أخذ فيها كسرى جزيرة دجلة والفرات والشام وفلسطين ومصر ثم أخذها هرقل ملك القسطنطينية وانقضت الحرب بصلح بينهما بعد ذهاب شوكتى الدولتين وتهدم القلاع والحصون وتضعضع حال الرعايا بالافراط فى الخراج وغيره وتمادى بهم العجز حتى نبغ دين الاسلام وكتب النبي (صلى الله عليه وسلم) الى كسرى من محمد بن عبد الله نبى الله الى كسرى بن هرمز ملك الفرس وكسرى اذ ذاك دهش بفخامة سلطنته وجلالة قدره يرى نفسه ملك الملوك مع غلبة هرقل اياه يصدر باسمه فى سائر الكتابات اليه ومنه اعلانا بشرفه على ما اعتاده المشرقيون ولذا كره قراءة كتاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ومزقه وداسه برجليه حين رأى تأخر اسمه وما زال فى ملكه متعجبا من سرعة تقدم الدعوة الاسلامية حتى ذهبت دولته عن قرب

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ فى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من سنة ٥٧٠ الى سنة ٦٣٣ ميلادية وفيه ثلاثة عشر مبحثا ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى مولده وبداية أمره ﴾

توفى والده عبدالله قبل مولده (صلى الله عليه وسلم) بشهرين تاركا خمسا من الجمال وبركة الحبشية المكنية بأم أيمن ثم توفيت أمه آمنة وعمره ست سنين وكفله جده عبد المطلب قائلا ليكونن لابنى هذا شأن حين ولد مختونا مسرورا مات سنة ٥٧٩ فكفله عمه أبو طالب ثم خرج به حين بلغ ثلاث عشرة سنة فى تجارة له الى الشام حتى بلغ بصرى فلقيه الراهب بحيرى فقال ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فسيكون له شأن عظيم فرجع به الى مكة حين فرغ من تجارته وأحضره معه وله أربع عشرة سنة حرب الفجار بعكاظ بين قريش وكنانة وبين هوازن

وشب صلى الله عليه وسلم حتى بلغ فكان أعظم الناس مروءة وحلما وأمانة وأحسنهم جوابا وأصدقهم حديثا وأبعدهم عن الفحش حتى عرف فى قومه بالأمين وبلغت أمانته وأخلاقه المرضية خديجة بنت خويلد القرشية وكانت ذات مال تاجرة كسائر قريش فعرضت عليه خروجه الى الشام فى تجارة لها مع غلامها ميسرة فخرج وربح كثيرا وعاد الى مكة وأخبرها ميسرة بكراماته فعرضت نفسها عليه وهى أيم لها أربعون سنة فاصدقها عشرين بكرة وتزوجها وله خمس وعشرون سنة فبقيت معه حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين وكان قومها تجارا ذوى رفعة وشأن

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى خلقه صلى الله عليه وسلم ومقاصده ﴾

كان صلى الله عليه وسلم أميا أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا دائم البشر مطيل الصمت لين الجانب سهل الخلق يكثر الذكر ويقل اللغو يستوى عنده فى الحق القريب والبعيد والقوى والضعيف يحب المساكين لايحقر فقيرا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه يؤلف أصحابه ولا ينفرهم ويصابر من جالسه أو

قاومه أو صافحه ولا يحيد عنه حتى يكون الرجل هو المنصرف يتفقد أصحابه يجلس على الارض ويخصف النعل ويرفع الثوب وضع الحجر الاسود فى موضعه بيده الشريفة حين هدم قريش الكعبة سنة ٦٠٥ لقصر بنائها و بنوها حتى بلغوا موضع الحجر واختصموا فيه فحكموا أول داخل من باب الحرم فكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أول داخل فحكموه فأمر أن يضعوا الحجر فى ثوب تمسك كل قبيلة بطرف منه ورفعوه حتى بلغ موضعه فوضعه فى موضعه وعمره ٣٥ سنة

وكان عمه أبو طالب كثير العيال وأصابت قريشا أزمة شديدة فقال (صلى الله عليه وسلم) لعمه العباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال فانطلق بنا لنأخذ من بنيه مايخفف به عنه فأتيا أبا طالب فقال اتركا لى عقيلا واصنعا ماشئتما فاخذ العباس جعفرا والنبى صلى الله عليه وسلم عليا سنة ٦٠٦ فقام بتربيته واشترى زيدا مولاه وأعتقه ناهز الاربعين وليس له مايشهره عند العرب سوى تأليفه من أشراف قريش حزبا يسمى حزب الفضول لدرء المظالم

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى مبعثه صلى الله عليه وسلم وتبليغه الرسالة سنة ٦١١ ميلادية﴾

حبب اليه (صلى الله عليه وسلم) الخلاء فاخذ يخلو شهرا من كل سنة بغار حراء حتى نزل عليه الوحى وبعث حين بلغ الاربعين وكان من أمره مافى حديث بدء الوحى ودعا الى الاسلام فأسلمت خديجة فعلى فزيد مولاه فابو بكر الذى دعا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الرحمن وأتى بهم الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأسلموا ثم أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وعبيدة بن الحرث وسعيد بن زيد بن عمرو وابن نفيل بن عبد العزى وعبدالله بن مسعود وعمار بن ياسر وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاسلام سرا ثلاث سنين ثم أمر باظهار الدعوة ونزل وأنذر عشيرتك الاقربين فقال لعلى بن أبى طالب اصنع طعاما

واجمع بنى طالب لأبلغهم ماأمرت به فحضر أربعون أو واحد وأربعون فيهم أبو طالب وحمزة والعباس وكذا أبو لهب الذى ابتدر بعد الاكل بقوله أشد ماسحركم صاحبكم فتفرق القوم وصنع علي في الغد طعاما جمعهم عليه ثانيا وأكلوا فقال (صلى الله عليه وسلم) ماأعلم انسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله ان أدعوكم اليه فأيكم يوازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصيي وخليفتى فيكم فأحجم القوم جميعا قال علي فقلت وانى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا وأعظمهم بطنا وأحمشهم ساقا أنا يانبي الله أكون وزيرك عليهم فاخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) برقبة علي قائلا ان هذا أخى ووصيي وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون و يقولون لابى طالب مستهزئين قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ثم عاب (صلى الله عليه وسلم) آلهتهم ونسبهم الى الكفر والضلال فعادوه الامن عصم بالاسلام وقالوا لابى طالب ان ابن أخيك قد عاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل أبناءنا فانهه عنا أو خل بيننا وبينه فردهم ردا حسنا حتى عظم عليهم أمر النبي فأتوه ثانيا قائلين ان لم تنهه نازلناك واياه حتى يهلك أحد الفريقين وأخبر أبو طالب بذلك النبي فظن أن عمه خاذله وقال والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى ماتركت هذا الامر وولى فقال عمه أقبل يابن أخى وقل ماأحببت فوالله لاأسلمك لشئ أبدا فاخذت كل قبيلة تعذب من أسلم منها وحفظ الله رسوله بعمه أبي طالب

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى أذى قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وتزوجه ﴾

أخذ قريش يعذبون من أسلم بمكان أعدوه لذلك و يسمعون النبى (صلى الله عليه وسلم) السب والوعيد عند طوافه بالبيت و يعاقبون من أصغى لقوله أشد العقاب و يقولون ان جابرا النصرانى بمكة يعلمه آيات من القرآن فنزلت آية ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا

لسان

لسان عربي مبين واشتد الاذى فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن ليس له عشيرة تحميه بالهجرة الى الحبشة فتتابعت جموع مجموعها ثلاثة وثمانون رجلا وثماني عشرة امرأة سوى الصغار فبعثت قريش عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدية الى النجاشي ليمكنهما من المهاجرين فأبى فقال له ابن العاص سلهم عما يقولون في عيسى فسألهم فقالوا ما في القرآن من أنه كلمة الله ألقاها الى مريم العذراء فلم ينكر النجاشي ذلك وأبقاهم في جواره آمنين وأعادهذين بالهدية فعلمت قريش أن الاسلام أخذ في الازدياد فتعاهدت على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بالكعبة وأسلم حمزة عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وشج بالقوس أباجهل لشتمه النبي (صلى الله عليه وسلم) ثم أسلم عمر فارتاعت قريش وعزبه الاسلام بعد أن كان شديد العداوة للنبي (صلى الله عليه وسلم) وقدم من مهاجري الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا بلغهم خبر ايمان أهل مكة وعلموا كذبه حين قربوا فدخلوا مستخفين ومازال أبو طالب يدافع عن رسول الله حتى مات في شوال سنة عشر من النبوة ثم توفيت السيدة خديجة هذه السنة فتتابعت على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عوتهما الشدائد ونالت منه قريش خصوصا أبو لهب والحكم بن العاص وعقبة ابن أبي معيط فانهم كانوا جيرانه يؤذونه بالقاء القاذورات عليه وقت صلاته وطعامه وسافر الى ثقيف بالطائف ودعاهم الى الاسلام فأبوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى ألجؤه الى حائط وعادوا فقال (صلى الله عليه وسلم) اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي على من تكلني ان لم تكن علي غضبانا فلا أبالي ثم قدم الى مكة وقومه على أشد مما كانوا عليه من الخلاف

وتزوج (صلى الله عليه وسلم) قبل الهجرة بعد وفاة السيدة خديجة السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق ودخل بها بعد الهجرة بثمانية أشهر ولها تسع سنين وكانت نساؤه خمس عشرة دخل باحدى أوثلاث عشرة وأولاده من خديجة

الا ابراهيم فمن مارية القبطية ولدته فى ذى الحجة سنة ثمان من الهجرة وتوفى سنة عشر وأولاده الذكور من السيدة خديجة القاسم وعبدالله الملقب بالطيب والطاهر ماتا صغيرين والاناث فاطمة زوج على (رضى الله عنهما) وزينب زوج أبي العاص فرق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بينها وبين زوجها بالاسلام ثم ردها اليه بالنكاح الاول حين أسلم ورقية وأم كلثوم المتزوج بها عثمان بعد الاولى

﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ فى معجزاته (صلى الله عليه وسلم) المختلف فيها بين أهل السنة والمعتزلة وتكسير الاصنام واسلام عمر ﴾

أسرى بجسده أو روحه (صلى الله عليه وسلم) قبل موت عمه أبي طالب أو بعده فى سنة اثنتى عشرة من الهجرة وأشهر معجزاته القرآن الكريم لاشتهار البلاغة والفصاحة فى زمانه عند قريش الذين كانوا يفتخرون بحسن الكلام ويتغالبون فيه كما كان احياء الموتى لعيسى زمن اشتهار الطب والثعبان لموسى زمن اشتهار السحر والنفس الطيب لداود زمن اشتهار الموسيقى

وتلا صلى الله عليه وسلم على عباد الاصنام أول سورة فصلت وبلغ آية قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا الى أن قال ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وكان من أراد الله هدايته يسمع القرآن فيسلم كعمر (رضى الله عنه) فانه توجه بسيفه لقتل النبى فقيل له لا تفعل لئلا يقتلك بنو عبدمناف ولكن اردع خبابا وأختك وابن عمك سعيد بن زيد فانهم أسلموا فقصدهم عمر وهم يتلون سورة طه فسكتوا فسألهم عما سمعه فانكروه فضرب أخته فشجها قائلا أريني ما كنتم تقرؤنه وخافت على الصحيفة فعاهدها على أن يردها اليها فدفعتها وقرأها فقال ما أحسن هذا وأكرمه ثم توجه الى النبى (صلى الله عليه وسلم) فأسلم

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ فى عرض رسول الله نفسه على القبائل وابتداء أمر الانصار وبيعتى العقبة ﴾

أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل فى مواسم الحج

حتى

حتى أراد الله اظهار دينه فخرج فى الموسم يدعو الى الايمان فلقيه عند العقبة ستة رجال من الخزرج تلا عليهم القرآن فآمنوا وانصرفوا الى المدينة فاخذوا يدعون الى الاسلام وخرج (صلى الله عليه وسلم) فى العام التالى الى الموسم فبايعه اثنا عشر رجلا من الانصار وهذه بيعة العقبة الاولى فبعث معهم الى المدينة مصعب بن عمير الذى جعل يتلو عليهم القرآن حتى كان سائر دور الانصار مسلمين الا دار أمية بن زيد وعاد مصعب الى مكة سنة ثلاث عشرة من البعثة بمسلمين من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وكفار مستخفين حتى اجتمعوا برسول الله ليلا أيام التشريق بالعقبة فقالوا مالنا ان قتلنا دونك قال الجنة فبايعوه وعادوا الى المدينة وهذه بيعة العقبة الثانية ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة فهاجروا الى المدينة وأقام مع على وأبى بكر منتظرا الاذن فى الهجرة

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

لما علمت قريش أن لرسول الله بالمدينة أنصارا وأن أصحابه بمكة لحقوا بهم خافوا خروجه الى المدينة فاجتمعوا ليتشاوروا فيه فاجتمع الرأى على أن يضربوه ضربة رجل واحد ليتفرق دمه فى القبائل فنزل جبريل فاعلم النبى (صلى الله عليه وسلم) بذلك فأمر عليا أن ينام على فراشه متشحا ببرده ليؤدى ماعنده من الودائع الى أربابها وخرج وهم يرصدونه بالباب وهو يتلو (يس) الى أن وصل الى قوله فأغشيناهم فهم لايبصرون فجعل يكررها ووضع على رؤسهم التراب ولم يشعروا به وتوجه الى دار أبى بكر فاعلمه ان الله تعالى أذن له فى الهجرة فتوجها الى غار بجبل ثور وخرجا منه بعد ثلاثة أيام الى المدينة يوم الاثنين خامس ربيع الاول من سنة احدى ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وعبد الله بن أريقط وهو كافر استأجراه ليدلهما على الطريق فبعثت قريش سراقة فى أثره فنجا منه

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقدم المدينة ظهر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر فنزل بقباء وأسس به المسجد المؤسس على التقوى ولحقه علي بن أبي طالب ثم خرج من قباء يوم الجمعة فما مر على دار أحد من الانصار الا قالوا اهلا يارسول الله واعترضوا ناقته فقال خلوا سبيلها فانها مأمورة فتركوها حتى بركت فى موضع المسجد فاقام النبي (صلى الله عليه وسلم) عند أبي أيوب الانصارى حتى بنى مسجده ومساكنه بالموضع الذى اشتراه وغير اسم يثرب الى المدينة وسمى الاوس والخزرج بالانصار والمسلمين من أهل مكة بالمهاجرين واتخذ عليا أخا وآخى بين المهاجرين والانصار ولبث بينهم يعلمهم شرائع الدين ويقتدون به فى الاقوال والافعال ويرجعون اليه فى حكم كل حادثة وبايعهم قبل سنة ثلاث من الهجرة أن لايشركوا بالله شيأ ولايسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم وأن يتعاملوا بالمعروف ويذروا اليهود آمنين على أموالهم وأسلم سلمن الفارسى وعبد الله بن سلام فزاد الاسلام عزة ولكن اليهود تحزبوا مع المنافقين

وأخذت قريش تشدد على المسلمين وأغروا شعراءهم على الهجو فرتب (صلى الله عليه وسلم) من الخزرج حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة للرد عليهم وشرع الصوم والزكاة وحولت الصلاة الى الكعبة وورد الوحى بالاذان فى سنة اثنتين من الهجرة التى بعث فيها النبي عبد الله بن جحش الاسدى فى ثمانية الى نخلة بين مكة والطائف ليتعرفوا أخبار قريش فمر بهم عير لهم فغنموها وأسروا اثنين فى آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزلت يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه الى والفتنة أكبر من القتل

المبحث الثامن

(فى غزوة بدر وأمر رسول الله بالغزو)

كان أول غزواته غزوة بدر ومن خبرها أن قدم أبوسفيان بن حرب وثلاثون

رجلا بعير لقريش وندب النبي الناس اليهم فبعث أبو سفيان بذلك الى مكة فقدم منها أبو جهل بتسعمائة وخمسين رجلا فيهم مائة فارس وخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) من المدينة لثلاث خلون من رمضان سنة اثنتين من الهجرة بثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فيهم فارسان ومعهم من الابل سبعون يتعاقبون عليها ونزل بهم بدرا وجلس هو وأبو بكر على عريش بنى لهما وأتى أبو جهل بمن معه وبرز منهم عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة فاخرج النبي لهم عمه حمزة وعلى بن أبي طالب وعبيدة بن الحرث بن المطلب فقتل حمزة شيبة وعلى الوليد وكرا على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله ثم مات وانتشبت الحرب صبيحة الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من العريش يحرض الناس على القتال وأخذ من الحصباء حفنة رمى بها قريشا قائلا شاهت الوجوه ثم قال لأصحابه شدوا عليهم فهزموا قريشا وقتلوا سبعين منهم أبو جهل وأسروا سبعين منهم عم النبي العباس وابنا أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وقذف فى قليب بدر بعد القتال أربعة وعشرون من صناديد قريش وفى هذه الغزوة نزل قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بالف من الملائكة

غزوة بنى قينقاع

وهم يهود نقضوا عهد رسول الله فخرج اليهم نصف شوال سنة اثنتين فحاصرهم خمس عشرة ليلة ونزلوا على حكمه

غزوة السويق

حلف أبو سفيان بسبب قتلى بدر أن لا يمس الطيب ولا النساء حتى يغزو النبي (صلى الله عليه وسلم) فبعث الى المدينة رجالا قتلوا رجالا من الانصار ثم خرج فى مائتى راكب فركب النبي فى طلبه حتى هرب بمن معه وألقوا جرب السويق فسميت غزوة السويق

﴿ المبحث التاسع ﴾

(فى عدة غزوات)

(غزوة أحد)

نزل أبو سفيان بذى الحليفة يوم الاربعاء لأربع ليال مضين من شوال سنة ثلاث من الهجرة بثلاثة آلاف من قريش وامرأته هند بنت عتبة فى خمس عشرة امرأة معهن دفوف يضربن بها ويبكين على قتلى بدر ويحرضن المشركين على قتال المسلمين وخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى ألف رجل منهم عبد الله بن أبيّ المنافق بثلثمائة من المنافقين ومضى رسول الله بسبعمائة نزل بهم فى شعب أحد الذى جعل ظهره اليه وكان بين الفريقين يوم السبت لسبع مضين من شوال وقعة قتل فيها حمزة أرطاة حامل لواء المشركين واشتغل بقتل سباع بن عبد العزى فقتله وحشي الحبشي عبد جبير بن مطعم وقتل ابن قمئة الليثى مصعب بن عمير حامل اللواء ظانا أنه رسول الله فأعطى النبى الراية لعلىّ فانهزم المشركون وطمعت الرماة فى الغنيمة وفارقوا المكان المأمورين بملازمته فأتاهم خالد بن الوليد بخيل المشركين من خلفهم وصيح ان محمدا قتل وانهزم المسلمون وأصيبت رباعية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وشج وجهه وكلت شفتاه وجرح علىّ وأبو بكر وعمر ومثلت هند وصواحبها بالشهداء بجدعن الآذان والأنوف واتخذن منها قلائد وبقرت هند بطن حمزة ولاكت كبده وقتل فيها من المسلمين سبعون ومن المشركين اثنان وعشرون وفيها نزل قوله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون

﴿ غزوة بئر معونة ﴾

قدم المدينة فى صفر سنة أربع من الهجرة أبو براء بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وهو على دينه فقال للنبى لو بعثت رجالا يدعون أهل نجد الى الاسلام رجوت ان يستجيبوا لك فبعث (صلى الله عليه وسلم) سبعين نزلوا

بئر معونة على أربع مراحل من المدينــة وبعثوا كتاب النبي الى عامر بن الطفيل فقتل الذى حضر بالكتاب وتوجه بجموع قتــلوا الصحابة عند هذه البئر الا كعب بن زيد توارى بين القتلى ثم لحق بالنبي

غزوة بنى النضير من اليهود

نقض بنو النضير العهد وأجمعوا على اغتيال النبي فسار (صلى الله عليه وسلم) اليهم وحاصرهم فى ربيع الاول ست ليال فسألوه الخروج من المدينة بما حملت ابلهم من الاموال الا السلاح نخرج بعض الى خيبر وآخر الى الشام وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام وهذا أول حشرهم المراد فى قوله تعالى هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ٭ وآخر حشرهم اجلاء عمر لهم من خيبر الى الشام

غزوة ذات الرقاع

سار (صلى الله عليه وسلم) الى نجد فلقى جمعا من غطفان بذات الرقاع فى جمادى الاولى من هذه السنة وتقارب الجمعان ولم يكن بينهما حرب

غزوة بدر الثانية

ثم سار (صلى الله عليه وسلم) فى شعبان هذه السنة الى بدر منتظرا قدوم أبي سفيان الذى خرج من مكة وعاد فانصرف رسول الله بالناس

غزوة الخندق وهى غزوة الاحزاب

وبلغه تحزب قبائل العرب فحفر حول المدينــة خنــدقا وأتت قريش ومن تبعها من كنانة فى عشرة آلاف وغطفان ومن تبعهم من أهل نجد وانضم اليهم بنو قريظــة ناقضــين للعهد فعظم الخطب على المسـلمين ولبث الفريقان بضعا وعشرين ليلة يترامون بالنبل بلا قتال وخرج عمرو بن عبــد ود من ولد لؤى بن غالب فخرج اليه على وذبحه ثم هبت الصبا فأكفأت قدور الاعداء وطرحت آنيتهم ورمى الله الاختــلاف بينهم فرحلوا بعد أن استشهد من المسلمين ستــة وفيها نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكانت هذه الغزوة سنة أربع أو خمس

غزوة بنى قريظة

انصرف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الخندق الى المدينة فأمر بالمسير الى بنى قريظة فسار اليهم وحاصرهم بالمدينة خمسا وعشرين ليلة فى ذى القعدة سنة خمس من الهجرة فسبى الذرارى والنساء وأسر الرجال وكانوا سبعمائة يزيدون أو ينقصون حبسهم فى دور الانصار حتى حفرت لهم خنادق ضربت أعناقهم فيها

غزوة ذى قرد

خرج (صلى الله عليه وسلم) فى ربيع الاول سنة ست الى ذى قرد على ليلتين من المدينـة فاستنقذ بعض لقاحـه التى أغار عيينة بن حصن الغزارى عليها وهى بالغابة

(غزوة بنى المصطلق)

سار رسول الله فى شعبان سنة خمس أو ست الى بنى المصطلق وقائدهم الحرث ابن أبى ضرار فقاتلهم على ماء لهم يقال له المريسيع وهزمهم فقتل وسبى وغنم ووقعت جويرة بنت قائدهم فى سهم ثابت بن قيس فكاتبته على نفسها فأدى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنها كتابتها وتزوجها فأعتق مائة أهل بيت من قومها بنى المصطلق لكونهم أصهاره

المبحث العاشر

(فى عمرة الحديبية وبيعة الرضوان والهدنة مع كفار قريش)

(وغزوة خيبر وسفارة النبى الى الملوك وغير ذلك)

خرج النبى (صلى الله عليه وسلم) من المدينة يوم الاثنين غرة ذى القعدة سنة ست معتمرا فى ألف وأربعمائة من المهاجرين والانصار وساق الهدى حتى بلغ ثنية المرار مهبط الحديبية أسفل مكة فبعث قريش اليه عروة بن مسعود الثقفى سيد أهل الطائف فقال ان قريشا عاهدوا الله أن لا تدخل عليهم مكة عنوة ورجع

اليهم

اليهم فقال جئت كسرى وقيصر فى ملكهما فوالله مارأيت ملكا فى قومه مثل محمد فى أصحابه فبعث النبي عثمان بن عفان ليخبر أبا سفيان وأشراف قريش انه (صلى الله عليه وسلم) لم يأت محاربا بل زائرا معظما لهذا البيت فقالوا ان أحببت ان تطوف بالبيت فطف فقال لا الا أن يطوف رسول الله فحبسوه وبلغ رسول الله انه قتل فدعا من معه الى البيعة فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة ثم علم أن عثمان لم يقتل و بعث قريش اليه سهيل بن عمرو فأجابه (صلى الله عليه وسلم) الى ما أراد ثم نحر هديه وحلق رأسه وفعل أصحابه مثله ثم عاد الى المدينة

(غزوة خيبر)

حتى خرج فى نصف المحرم سنة سبع من الهجرة الى خيبر المالك أهلها أزمة تجارة الحجاز ونجد وفى هذه الغزوة أكل رسول الله من الشاة المسمومة التى اهدتها اليه زينب بنت الحرث اليهودية أكلة لم تزل تعاوده حتى مات منها وأخذ أبو بكر الصديق الراية فقاتل قتالا شديدا ورجع فأخذها عمر بن الخطاب فقاتل أشد من الاول ورجع فقال (صلى الله عليه وسلم) أما والله لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرف اليها المهاجرون والانصار وجاء علي من المدينة أرمد فتفل (صلى الله عليه وسلم) فى عينه فبرئ وأعطاه الراية فسار وقاتله أهل الحصن وضربه أحدهم فسقط ترسه من يده فتناول من عند الحصن بابا تترس به حتى فتح الله عليه فى صفر بعد الحصار بضع عشرة ليلة فالقى من يده الباب الذى اجتهد بعد ذلك ثمانية من الصحابة ان يقلبوه فما قدروا وسأل أهل خيبر وفدك رسول الله الصلح على ان يساقيهم بنصف الثمار ويخرجهم متى شاء ففعل فكانت خيبر للمسلمين وفدك لرسول الله خاصة لانها فتحت بلا ايجاف

(غزوة وادى القرى)

ثم انصرف (صلى الله عليه وسلم) الى وادى القرى فحاصره وفتحه عنوة ثم سار

الى المدينة فقدم من الحبشة بقية المهاجرين ومنهم جعفر بن أبي طالب فقال ما أدري بأيهما أسر بفتح خيبر أو قدوم جعفر

﴿رسل النبي الى الملوك﴾

في سنة تسع بعث (صلى الله عليه وسلم) الى كسرى ابرويز عبد الله ابن حذافة بكتاب مزقه وكتب الى باذان عامله باليمن أن يكتب الى النبي أن يسير الى كسرى والا حاربه فقال (صلى الله عليه وسلم) مزق الله ملكه فسلط الله شيرويه على أبيه كسرى فقتله وكتب الى باذان بذلك وأن يتعرض للنبي فأسلم باذان وناس من فارس وبعث دحية بكتاب الى قيصر الروم فاحترمه ورد دحية ردا جميلا والى المقوقس صاحب مصر حاطب بن أبي بلتعة فأكرم حاطبا وأهدى الى النبي بغلة وحمارا وجاريتين احداهما مارية القبطية والدة ابراهيم ابن النبي (صلى الله عليه وسلم) والى النجاشي عمرو بن أمية بكتاب قبله وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب وكان عنده والى الحرث بن أبي شمر الغساني شجاع بن وهب الاسدي بكتاب قرأه فقال أنا سائر اليه فقال النبي باد ملكه والى هوذة ملك اليمامة سليط بن عمرو فقال ان جعل الامر لي بعده سرت اليه وأسلمت ونصرته والا حاربته فقال النبي اللهم اكفنيه فمات بعد قليل والى المنذر ملك البحرين العلاء بن الحضرمي فاسلم وتبعه جميع العرب بالبحرين

﴿المبحث الحادي عشر﴾

﴿في عمرة القضاء واسلام خالد ومن معه وفتح مكة وغزوات﴾
﴿مؤتة وحنين والطائف﴾

﴿عمرة القضاء﴾

خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالفين من المسلمين في ذي القعدة سنة سبع معتمرا عمرة القضاء وساق البدن حتى قرب من مكة فخرج له قريش وتحدثوا أن النبي في عسر وجهد واصطفوا عند دار الندوة فقال (صلى الله عليه وسلم)

رحم

رحم الله امرأ أراهم اليوم قوة ورمل فى أربعة أشواط من الطواف ثم سعى بين الصفا والمروة

(اسلام خالد بن الوليد ومن معه)

فى سنة ثمان اسلم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة بن عبد الدار

(غزوة مؤته)

هى اول غزوة بين المسلمين والروم بعث رسول الله الحرث بن عمير بكتاب الى عمرو بن شرحبيل الغسانى ملك بصرى فقتل الحرث فى مؤتة فبعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى جمادى الاولى سنة ثمان ثلاثة آلاف بلغوا مؤتة بارض الشام فاتاهم الروم والعرب المتنصرة فى نحو مائة ألف وولى راية المسلمين زيد بن حارثة مولى النبى فجعفر بن أبى طالب فعبد الله بن رواحة كما أمر رسول الله ان يليها اللاحق بعد قتل السابق ثم قتل ابن رواحة فاتفق العسكر على خالد بن الوليد فاخذ الراية وفتح الله على يديه ورجع بهم الى المدينة

(نقض الصلح بين قريش والنبى وفتح مكة سنة ثمان)

كان فى عهد قريش بنو بكر وفى عهد النبى (صلى الله عليه وسلم) خزاعة فقتل بنو بكر من خزاعة فى هذه السنة باعانة جمع من قريش فانتقض العهد فأتى أبو سفيان لتجديده فما أجيب بشئ فعاد

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة باثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار وطوائف من العرب حتى قارب مكة فركب العباس عم النبى ليخبر قريشا فيأتوا الى النبى ويستأمنوه فوجد أبا سفيان فاتى به الى النبى واسلم وعرضت عليه قبائل الجنود

ثم أمر النبى الجنود بدخول مكة من أسفل مكة ومن كداء وثنية كداء

فدخلوها يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان هذه السنة واطمأن الناس فخرج النبي وطاف بالبيت ودخله فصلى فيه وكسر الاصنام قائلا قل جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا ثم بعث سرايا يدعون من حول مكة الى الاسلام بلا قتال

﴿ منهم سرية خالد بن الوليد ﴾

نزل بها على ماء لبني جذيمة ودعاهم الى الاسلام فتكلموا بكلام فهم منه عدم الانقياد فقتلهم و بلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال اللهم انى أبرأ اليك مما صنع خالد (حيث بادر الى القتل ولم يتثبت) ثم أرسل عليا بمال أدى به ديات القتلى وفضل معه مال دفعه اليهم تطييبا لخاطرهم

﴿ غزوة حنين ﴾

بعد فتح النبي مكة أتى لحرب النبي هوازن بحريمهم وأموالهم معهم ثقيف أهل الطائف وبنو سعد بن بكر الذين ارتضع عندهم النبي (صلى الله عليه وسلم) فخرج النبي من مكة لست خلون من شوال سنة ثمان باثنى عشر الفا حتى بلغ حنينا وهو واد الى الطائف أقرب منه الى مكة ونزل المشركون بأوطاس ثم التقى الجمعان فانهزم المسلمون لا يلوى بعضهم على بعض وثبت رسول الله في نفر من المهاجرين والانصار وأهل بيته حتى تراجع المسلمون ونصروا على المشركين وتبعوهم يقتلون و يأسرون وكان فى السبى الشيماء أخت رسول الله من الرضاعة فانها بنت حليمة السعدية مرضعته فأكرمها (صلى الله عليه وسلم) و زودها وردها الى قومها حسبما سألت

وفى هذه الغزوة أعجبت المسلمين كثرتهم وقال أحدهم لن نغلب اليوم عن قلة فنزل و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم الخ

﴿ حصار الطائف ﴾

انهزمت ثقيف من حنين الى الطائف فسار اليهم النبي وحاصرهم سنة ثمان نيفا وعشرين يوما وقاتلهم بالمنجنيق وقطع أعنابهم

ثم

ثم انصرف الى الجعرانة وبها غنائم هوازن وكانت أربعة وعشرين الف بعير وأكثر من أربعين الف شاة وأربعة آلاف أوقية من الفضة فرّقها على غير الانصار فوجدوا فى أنفسهم فدعاهم فقال أوجدتم يامعشر الانصار على لعاعة (١) من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم الى اسلامكم أما ترضون أن يذهب الناس بالعبير والشاء وترجعوا برسول الله الى رحالكم أما والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وابناء أبناء الانصار

وأتى اليه بعض هوازن فرد عليهم نصيبه ونصيب بنى المطلب وأطلق السبى وكانت عدته ثمانية آلاف وأسلم مالك بن عوف مقدم هوازن فاستعمله النبى على قومه وعلى من أسلم من تلك القبائل

﴿ المبحث الثانى عشر ﴾

﴿ فى غزوة تبوك وانقياد من فى بحبث جزيرة العرب للشريعة الاسلامية ﴾

عزم النبى على غزو الروم فى رجب سنة تسع مع ايناع الثمار الباعث على حب المقام وشدة الحر وجدب البلاد وعسر الناس وأمر المسلمين بالصدقة فتصدق أبو بكر بجميع ماله وعثمان بألف دينار وثلثمائة بعير طعاما وأعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق وقوة العدو بعد أن كان اذا أراد غزوة ورّى بغيرها ثم خرج بثلاثين الفا منهم عشرة آلاف فارس حتى بلغ تبوك بعد مقاساة شدائد بالحر والعطش فاقام به عشرين يوما وقدم اليه يوحنا صاحب أيلة فصالحه على جزية بلغت ثلثمائة دينار

وصالح أهل أذرح على مائة دينار فى كل رجب وبعث خالد بن الوليد فأتى باكيدر دومة صاحب دومة الجندل فصالحه النبى على الجزية ثم قدم الى المدينة فى رمضان وبها من الانصار ثلاثة متخلفون كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن

(١) الجرعة من الشراب والكلأ الخفيف والمراد بها هنا الشئ التافه اهـ

أمية واعتذروا اليه ونهى (صلى الله عليه وسلم) عن مخاطبتهم فاعتزلهم الناس خمسين ليلة وضاقت عليهم الارض بما رحبت الى أن نزل قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم

وقدم عليه (صلى الله عليه وسلم) وفد ثقيف فاسلموا و بعث معهم المغيرة بن شعبة وأبا سفيان ليهدما اللات ثم جاءه وفود العرب قاطبة سنة عشر وأسلموا كما قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا وبعث عليا الى اليمن بكتاب قرأه عليهم فأسلمت همذان كلها فى يوم ثم تتابع أهل اليمن على الاسلام وكتب بذلك الى النبى فأمره ان يأخذ صدقات نجران وجزيتهم ففعل وعاد الى مكة وبها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يؤدى حجة الوداع لانه لم يحج بعدها ثم عاد الى المدينة.

﴿المبحث الثالث عشر﴾

﴿فى وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)﴾

فاقام بها حتى مرض فى أواخر صفر سنة احدى عشرة وخرج فى أثناء مرضه بين الفضل بن العباس وعلىّ بن أبى طالب من بيت عائشة حتى جلس على المنبر فحمد الله ثم قال أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليستقد منى ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ومن أخذت له مالا فهذا مالى فليأخذ منه ولا يخش الشحناء من قبلى فانها ليست من شأنى ونزل فصلى الظهر ورجع الى المنبر فعاد الى مقالته فادعى عليه رجل ثلاثة دراهم فاعطاه بدلها .

واشتد به المرض فاستأذن أزواجه ان يمرض فى بيت عائشة فأذن له وتأخر عن الصلاة بالناس ثلاثة أيام قال فى أولها مروا أبابكر فليصل بالناس ثم توفى ضحوة أو نصف يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول وغسله علىّ وهو يقول بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا وأسامة بن زيد

وشقران

وشقران يصبان الماء عليه والعباس وابناه الفضل وقثم يقلبونه وكفن فى ثلاثة أثواب وحفر له أبو طلحة الانصارى تحت فراشه الذى مات عليه ونزل فى قبره على بن أبى طالب والفضل وقثم ابنا العباس ودفن ليلة الاربعاء وله ثلاث وستون سنة فانه بعث لأربعين سنة ومكث بمكة ثلاث عشرة سنة وكسرا وبالمدينة قريبا من عشر سنين

جهز (صلى الله عليه وسلم) مولاه أسامة بن زيد بجيش الى الشام وحث حال مرضه على مسيره فخرج الجيش الى المعسكر وتوفى (صلى الله عليه وسلم) فرجع الجيش حتى جهزه أبو بكر الصديق (رضى الله عنه وعن سائر الصحابة والتابعين)

الباب الثالث

فى القرآن

هو كتاب مجيد واجب التعظيم لا يمسه الا المطهرون أبان ما لله على عباده وما لهم عليه من الحقوق ضرب فيه من كل مثل وما فرط فيه من شئ جمع فأوعى فضائل ورذائل وحقائق وطاعات ومعاصى نزل على رسول الله منجما حسب الوقائع فكان رابطة بين قبائل العرب مؤسسا للوحدة الدينية سوره أربع عشرة ومائة تختلف طولا وقصرا ولا تتجاوز السور الأربعون الاخيرة خمسين آية ولا تنقص عن ثلاث وهو مكى الا ثمان عشرة سورة فمدنية وأقدم المصاحف مكتوب بالخط الكوفى على رق غزال وأما المكتوبة بالخط النسخ فلا يتجاوز تاريخها القرن الثالث من الهجرة

دين الاسلام

جاء جبريل فى زى أعرابى فقال للنبى علام بنى الاسلام فقال (صلى الله عليه وسلم) بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا فقال جبريل لقد صدقت انه لهو كذلك وكان جبريل ينزل الى النبى بأمر ربه فاذا نزل غشى عليه (صلى الله عليه وسلم) وتحدر منه العرق وكانت الصحابة

يمتثلون أمره (صلى الله عليه وسلم) ويجتنبون نهيه ويعظمونه ويوقرونه حتى توفى وبويع بالخلافة أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فصعد المنبر وقال أيها المسلمون من كان يعبد محمدا فان محمدا قدمات ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت واذكروا قوله تعالى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقوله تعالى قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا وقوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم الآية

ونزل القرآن منجما على حسب مقتضيات الأحوال كما سلف فمما نزل ردا لقول الكفار لست مرسلا قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الى ولكن الله يفعل مايريد ونزل ردا لقول النصارى ان عيسى ابن الله قوله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا الى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ونزل فى أنصارى له ابنان أراد اكراههما على الاسلام قوله تعالى لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى الى والله سميع عليم ونزل فى اليهود والنصارى والصابئين قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين الى ولاهم يحزنون

﴿ ذكر الله والملائكة والانبياء فى القرآن ﴾

نزل قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده الخ اشارة الى طريق علم الرسول ما أوعدهم به من قيام الساعة أو اهلاك الله اياهم الدال عليه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه ونزل فى توسط الملائكة بين الله وأنبيائه فى تبليغ الرسالات قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا الى على كل شئ قدير ومن أفضل الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ومن مواضع ذكر الجن قوله تعالى قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن الى ولن نشرك بربنا أحدا وهم مثل الانس يحاسبون يوم القيامة وورد فى حق ابليس قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال الى قوله فسجد الملائكة

كلهم أجمعون الا ابليس أبى أن يكون مع الساجدين وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه الى بئس للظالمين بدلا

ومن الاخبار بالغيب فى القرآن قوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الارض الى وهو العزيز الحكيم ونزل فى الاسراء سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الى انه هو السميع البصير

(ذكر الثواب والعقاب)

(فى الدار الآخرة)

قال تعالى فى ذلك اليوم لا أقسم بيوم القيامة الى قوله الى ربك يومئذ المستقر وقد أعد الله من الملائكة منكرا ونكيرا للسؤال وجبريل لوزن الاعمال بميزان عرضه السموات والارض يؤخذ للظلوم من حسنات الظالم ان كانت له حسنات والاضم اليه من سيئات المظلوم فيثاب العبد أو يعاقب على حسب رجحان حسناته أو سيئاته ويساق المجرمون على الصراط وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف فينبذون فى النار والمؤمنون الناجون يجوزنه مختلفين فى السرعة على اختلاف مراتبهم وأسرعهم من يجوزه فى أقرب من لمح البصر وفى ذلك قوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم الى قوله عربا أترابا لاصحاب اليمين والثواب والعقاب يعم الذكر والانثى لقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ولقوله تعالى خطابا للنبى (صلى الله عليه وسلم) حين طالبته أزواجه بما ليس عنده من زينة الدنيا يا أيها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما

الوضوء والصلاة والصوم والزكاة

الصلاة من أركان الاسلام الخمسة وأركانها وشروطها كالوضوء وغيره مقررة فى الفقه ونزل فى وجوب المحافظة عليها قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين وقوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة الى قوله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ويؤذن للصلاة خمس مرات فى اليوم على مكان مرتفع أو مئذنة وكان أول انشائها فوق المساجد زمن الوليد وفرضت صلاة الجمعة فى هذا اليوم بنص قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وليس المأمور به مجرد الاعمال الظاهرة بل هى مع موافقة الباطن لها لقوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله الى قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقوله تعالى ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله وأولئك هم المتقون والصوم من تلك الاركان وزمنه شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن الى سماء الدنيا لقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس الى ولعلكم تشكرون

والزكاة واجبة على الحر وهى ما يخرج عن نفس أو مال بشرائط معلومة ويجب ان لا تتبع بأذى لقوله تعالى قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم وفيها ورد قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى واعلموا أن الله غنى حميد وقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى الى والله بما تعملون خبير ونزل فى مؤديها رياء قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس الى والله بما تعملون بصير

الآداب المأمور بها فى القرآن

منها فى الوالدين ما فى آية كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين

للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين (نسخت بآية الميراث وحديث لاوصية لوارث) وآية واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا الى وأنتم معرضون

ونزل في أداء الشهادة يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم الى فان الله كان بما تعملون خبيرا وفي حق مال اليتيم آية ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده الى لعلكم تذكرون وفي اقامة الوزن بالقسط آية ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى انهم مبعوثون ليوم عظيم وفي النفاق المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف الى ولهم عذاب مقيم وفي الاستغفار من يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

وما فرط القرآن من شئ من تلك الآداب التي قوامها الحكمة وأسها العدل والاحسان وغايتها قصد سبيل الحق والصد عن محجة الضلالة والخروج من ظلمات الرذائل الى أنوار الفضائل والتطهر من شوائب النقص والتحلي بزينة الكمال

وما قصدنا بايراد ماسلف الا أن يكون لهذه الشريعة دليل على تقدس غايتها وحرمة مذهبها ورفعة حكمتها وموافقتها لما أنزل من قبل على الرسل الكرام فبذلك يهتدى البصير الى فضل القرآن المجيد اذ جمع فأوعى ما أوتيه النبيون قبل من البينات

﴿ اقامة الحجة على من رموا دين الاسلام بالوحشية وسرد شواهد ﴾
﴿ على كرم أخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وسخائه ومضاء ﴾
﴿ عزيمته وثبات جنانه وزهده وشظف عيشه ﴾

عما يدل على عمى بصائر هؤلاء وصمم آذانهم عن الحق وزلل أقدامهم عن سبيل الصدق والرشد ما في القرآن الكريم من الآيات الناسخة لما ألفته العرب من القبائح كالاخذ بالثأر والتظاهر بالعدوان مثل ما كان ولايزال شائعا في أوروبا

من التبارز والتفاخر وكقتل البنات درأ للعار أوحذرا من الفقر فمما يدل على نسخ الاول قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دماءكم ولاتخرجون أنفسكم من دياركم الى وما الله بغافل عما تعملون وقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن الى آخر سورة النحل وعلى نسخ الثانى قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألاساء مايحكمون وقوله تعالى ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ان قتلهم كان خطأ كبيرا

وأما أخلاقه وأفعاله (صلى الله عليه وسلم) فكانت غاية فى الكمال منها عفوه عن ألد أعدائه بعد فتح مكة وحلمه فى الاخذ بحقوق الحرب من القبائل وأسفه على تفانيه على بعض وعدم استعانته بما له من عظيم السطوة والسلطة على اجابة داعى القسوة ولذا كان يحاول بالحث العود بمن خرج عن الحد من أصحابه الى حدود الاعتدال ومنها اباؤه اشارة عمر عليه بقتل الاسرى بعد واقعة بدر وصفحه عمن قتل عمه حمزة وقوله اللهم انى أبرأ اليك مما فعل خالد حين أخذ بثار قريبه من بنى جذيمة

ومما يدل على جراءته قتاله بعزم وقوة فى غزوة بدر بعد أن شج وجهه وكسرت رباعيته وخوضه عباب الحرب قبل الصحابة فى واقعة حنين وحضه لهم على القتال حتى كانت الغلبة لهم

وأما زهده (صلى الله عليه وسلم) فلا يختلف فيه اثنان فانه لم يتحول عن شظف العيش مع ماطالت يده من الاموال والخيرات رأى الملوك ولم يتخذ أبهتهم مع مابلغ من السلطان الذى لايبارى والشوكة التى لاترام وكان (صلى الله عليه وسلم) نافذ الامر والنهى بشوشا حسن المعاملة مع الرفيع والوضيع حليما لاسيما عند السؤال

مناسك الحج التى قام بها النبى (صلى الله عليه وسلم) فى حجه سنة ٦٣٢ تشريفا لامته

سافر صلى الله عليه وسلم من المدينة فى الخامس والعشرين من ذى القعدة

سنة هجرية الموافق للثالث والعشرين من فبراير سنة ٦٣٢ معه تسعون أومائة وأربعة عشر ألفا من المؤمنين ونساؤه فى الهوادج ومعه الهدى حتى بات فى ذى الحليفة وأحرم واقتدى به المسلمون ولبوا معه ثم سار مترنما ملبيا حتى بلغ مكة صبيحة رابع ذى الحجة الموافق ثالث مارس فطاف بالبيت سبعا رمل فى ثلاث منها وصلى عند مقام الخليل ثم ختم يومه بالسعى بين الصفا والمروة وأمر من لم يكن معه هدى بالحل وأقبل على (رضى الله عنه) من اليمن معه الهدى فبقى على احرامه ثم سافر بقومه (صلى الله عليه وسلم) فى ثامن ذى الحجة الموافق سابع مارس الى منى فأقام بها فى خيام ضربت له حتى طلعت شمس الغد فامتطى ناقته القصواء وسار حتى بلغ عرفات نخطب الناس وهو على متن راحلته ثم ترجل وصلى الظهر والعصر ونزل عليه فى هذا اليوم وهو على الجبل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ثم مضى حين غربت الشمس الى المزدلفة فبات فيها حتى طلع فجر عاشر ذى الحجة الموافق تاسع مارس فصلى الفجر ثم وقف بالمشعر الحرام ثم جاوز بطن المحسر مسرعا ثم أتى منى بعد رمى الجمرات فنحر هديه وكذا على (رضى الله عنه) ثم حلق فأخذ الصحابة يلتقطون ماتساقط من شعره ثم عاد الى مكة وطاف بالبيت وصلى الظهر وتسمى هذه الحجة بحجة البلاغ وحجة الاسلام وحجة الوداع لما فيها من تبليغ المناسك للمسلمين وحصولها بعد عزة الاسلام وشيوعه وتوديع النبى فيها المسلمين ومكة لانها آخر حجاته وما زال المسلمون يقتدون به (صلى الله عليه وسلم) فى ذلك فيهرعون كل سنة الى مكة ويؤدون مناسك الحج حسب الشروط والآداب المعلومة من الشرع الشريف

(فى ان ما كتب من الفرائض لايخلو عن حكمة)

منها الوضوء فان أصول تدبير الصحة تستدعيه وفيه فوائد لايحيط بها الا ذو دراية بقانون الصحة وهو فرض بنص قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الى لعلكم تشكرون

﴿ فى حكمة تحريم بعض المحرمات ﴾

كالخمر فان تحريمها لضررها أما البدنى فلانها ترى الاحشاء وتنخر العظم وتفتت الكبد وتحرق الجوف وأما المالى فلان من البين أن المنكب عليها لا ينتهى عنها ولو أصبح خالى الوطاب لا يملك مضغة فاذا يموت وأهله وبنوه فى مسغبة لو أن لهم ما أنفقه فى سبيل الهوى ليلة لكفاهم شهرا وكذلك الميسر فانه لا ينقص عن الخمر فى الضرر المالى وهما محرمان بنص قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية

﴿ المقالة الثالثة ﴾

﴿ فى الامة الفاتحة من سنة ٦٣٢ الى سنة ٧١٣ ميلادية ﴾

﴿ الموافقة سنة ١١ الى ١٢٥ هجرية ﴾

﴿ الباب الاول ﴾

(فى انتظام العرب واستعدادهم للمحاربة فى غير بحيث جزيرتهم)

(وفى الخلفاء الاربع الراشدين وفيه أربعة مباحث)

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فيما وصلت اليه أصحاب النبى (صلى الله عليه وسلم) من العظمة والسلطنة ﴾

كانت العرب قبل البعثة عظيمة الكبرياء والتفاخر منفردة بحكم أنفسها شديدة الغيرة على الاستقلال حتى بعث النبى (صلى الله عليه وسلم) ودعاهم فاهتدوا الى الاسلام وصاروا أمة واحدة مركبة من قبائل شتى متناسين حب الرياسة وعوائد الجاهلية لظهور الحركة الدينية التأليفية حتى توفى النبى (صلى الله عليه وسلم) فعادوا الى ذلك لعدم تمكن الايمان عندهم فاتفق معظم الصحابة على اختيار خليفة يقوم بحفظ الشريعة باصدار الاوامر بالضبط العام والقوانين النظامية اللازمة للعسكر وغيرها متبعا فى ذلك القرآن والسنة فكان بذلك للدين قوة انقادت بها العرب الى الاسلام بلا نزاع بينهم وبين الخليفة لاقتفائه أثر الكتاب

والسنة

والسنة ثم تسلط الخلفاء بعد الصحابة فلم ينالوا غرضهم من غير قيام الأمة عليهم ومنع المفتين خروجهم عن الشريعة الاسلامية

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى الخلفاء الراشدين ﴾

تولى الخلافة أبو بكر (رضى الله تعالى عنه) سنة احدى عشرة من الهجرة الى سنة ثلاث عشرة ثم عمر الى سنة أربع وعشرين ثم عثمان الى سنة ست وثلاثين ثم على بن أبى طالب الى سنة احدى وأربعين متبعين النبى (صلى الله عليه وسلم) فى عصمة النفس من دهشة الشوكة والتشبث بحب الملاذ والزخارف واقتناء الاموال وفى اطعام الفقير ونصر المظلوم والخطبة والصلاة بالناس فى المساجد والزهد والقناعة والتقشف

فقد كان أبو بكر (رضى الله عنه) يأخذ كل يوم باذن الصحابة خمسة دراهم من بيت المال حتى توفى تاركا ثيابه وعبدا وبعيرا وتوجه عمر بن الخطاب لفتح بيت المقدس من المدينة الى فلسطين بلا خفراء معه وكان ينام على مدرج الكعبة مع الفقراء وحكم على جبلة بن الايهم ملك غسان حين ضرب صحابيا أن يسترضيه أو يدعوه ليقتص منه فقال جبلة كيف وأنا ملك وهو من آحاد الامة وأبى عمر الاذلك ففر جبلة الى هرقل بالقسطنطينية

واتهم عثمان نصرانيا بسرقته أسلحته ولم يأب الحضور معه الى المحكمة الشرعية للتقاضى فى ذلك وأدى حساب مافى بيت المال من النقود وكان فى امكان كل شخص أن يطلبه الى المحكمة للتحاكم وكان على بن أبى طالب يفرق على المساكين كل يوم جمعة مابقى معه من الدراهم وكانت الاحكام الصادرة من القضاة نافذة على أرباب المناصب وآحاد الناس ولذا لم يعفو أحد من هؤلاء الخلفاء الراشدين عن أحد من المذنبين بعد صدور حكم القضاة بعقابه الى غير ذلك من الفضائل التى لا تحصى

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى ملحوظات فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان (رضى الله عنهم) ﴾

لما توفى النبى (صلى الله عليه وسلم) تهيأ أمراء الانصار لانتخاب سعد بن عبادة

الخزرجى خليفة فبادرت الصحابة الى انتخاب أبى بكر الصديق فبايعه أولا عمر وتبعه من بعده فخطبهم بما معناه أيها الناس انكم قد قلدتمونى الحكم عليكم فان فعلت خيرا فعاونونى عليه أوشرا فردونى عنه وان قول الحق لخليفة النبى على الامـة لمنبئ عن غيرة فائقة على الاسلام وكتمان الحق عنـه خيانة وانى أرى الضعيف والقوى متساويين فى الحقوق أحكم بينهما بلا ميـل والا فلا حق لى فى طاعتكم أحس (رضى الله تعالى عنه) بالوفاة بعد سنتين من مبايعته فاستخلف ابن الخطاب الذى لم يقف أثره فى تعيين واحد للخلافة حين وفاته بل اختار من كبار الصحابة ستة اتفقوا على انتخاب عثمان فولى الخلافة وجدد فتوحات ازدادت بها الثروة الاسلامية الا أن توليته أقاربه الاموية المناصب كانت سببا فى الفتنة الكبرى التى قتل فيها فان ذلك بعث القرشيين المنتشرين فى جميع خدم المملكة على بث خطباء فى الكوفة والبصرة ومصر بالخروج عليه الذى أفضى الى قتله سنة ٦٥٥ ميلادية الموافقة سنة ٣٦ هجرية

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى خلافة على بن أبى طالب وما كان بينه وبين معاوية ﴾
﴿ من سنة ٦٥٦ الى سنة ٦٦١ ميلادية الموافقة ﴾
﴿ سنة ٣٧ الى سنة ٤٢ هجرية ﴾

لم يحصل قتل عثمان على الخلافة لاتقاد نار الفتنة فى جميع الجهات وكان على (رضى الله عنه) قبل خلافته مشتغلا بعيشته المنزلية وقد يحضر مشورات أهل المدينة انعقد الرأى بعد عثمان على خلافتـه لتأثل مجده فبايعه كثيرون منهم طلحة والزبير ثم سارا الى موسم الحج باذنه فوافيا السيدة عائشة المتوجهة معتمرة الى مكة قبـل قتـل عثمان بعشرين يوما فتشاورا معها فى الاخذ بدم عثمان من رؤساء قوم على ورجواها أن تسير معهما الى البصرة ليكون أهلها ومن يسير معهم من الحجازيين حزبا واحـدا فسارت وانضم اليها أهل البصرة وبلغ ذلك عليـا وهو مسافـر الى العـراق فعـاد الى البصرة ودعا قـوم عائشـة

الى

الى ترك القتال فأبوا فكان بين الفريقين قتال نصر فيه علي لكنه لم يهن السيدة عائشة بل احترمها و بعثها الى المدينة فى نساء ذوات شرف و بعث معها ولديه الحسن والحسين وأخاها محمد بن أبي بكر وسار الى الكوفة فاتخذها دار خلافته فوفد اليه المبايعون من العراق وخراسان وبلاد الفرس و بحيث جزيرة العرب ثم ظهر بالشام أمر معاوية مع عمرو بن العاص فنازعاه فى الخلافة وأتيا الى صفين بثمانين ألفا كان بينهم و بين جيش علي فى مائة وعشرة أيام تسعون معركة قتل فيها خمسة وأربعون ألفا من جند معاوية وخمسة وعشرون ألفا من جند علي من غير أن يظفر أحدهما بالآخر فحكم الجيشان على معاوية وعلي أن يحكما أناسا بينهما فحكما جمعا قضوا أن لاحق لعلي وشهروا معاوية خليفة فأبى علي الحكم واشتكى من غدر وكيله وعاد الى تشهير السلاح فأصر ثلاثة من الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص لتنقطع الحروب الداخلية فتوجه أحدهم الى معاوية فضربه ضربة غير قاتلة والآخر الى ابن العاص فقتل كاتب سره ظانا انه هو والثالث الى علي فقتله فاختار الكوفيون ابنه الحسن خليفة ومعاوية اذذاك خليفة الشام ومصر وبحيث جزيرة العرب وهو أول من جلس من الاموية على كرسى الخلافة قال المؤرخ السنيور النمساوى قد زالت عادة الامة المحمدية من الساذجية فى الضروريات منذ جلس معاوية على كرسى الخلافة وأما الفقه الدينى والعوائد التى ورد بها القرآن فقد بقيا بعد الخلفاء الاربعة كما بقى عند الامة المحمدية وعساكر الاسلام طرف من تلك الطباع الجمهورية والسجايا العلوية التى من شأنها ان تجعل الدول الصغيرة عظيمة وتزيد الدول العظام قوة وشوكة حتى فى الايام التى استولى فيها الاجانب الظلمة على تلك الامة

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ فى الحالة السياسية ببلاد العرب وقت وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) وفى ﴾
﴿ قمع المتنبئين واغارة المسلمين على غربى آسيا من سنة ٦٣٢ الى سنة ﴾
﴿ ٦٩٠ الموافقة سنة ١١ الى سنة ٧١ هجرية وفيه ثمانية مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى عصيان بعض العرب وفتوحات خالدبن الوليد وعكرمة ﴾
﴿ وغيرهماوكتابةالقرآن ﴾

لما توفى النبي (صلى الله عليه وسلم) ارتدت قبائل عمان والبحرين ومهرة وحضرموت وظهر مدعو النبوة طليحة فى نجد ومسيلمة فى اليمامة وقيس قاتل الاسود فى اليمن وهم بالعصيان أهل مكة والطائف وسائر اقليم الحجاز فوجه أبو بكر همته لقمع هذه الفتنة و بعث أسامة بن زيد الى البلاد الشامية بجيش هائل أوقع الرعب فى قلوب العرب الا أن غطفان وقبائل نجد رأوا المدينة خالية حينئذ من المقاتلة فشنوا الغارة عليها فصدتهم أبو بكر مرتين فرجعوا وقتلوا من ببلادهم من المسلمين وانضموا الى حزب طليحة الكذاب ثم قدم أسامة مؤيدا رابحا بجزيل الغنائم بعد وقوع فشل فى حزبي طليحة ومسيلمة عسير سجاح المدعية النبوة ببنى تغلب من جزيرة الدجلة والفرات الى نجد فبايعها بنو تميم قوم طليحة وانتصروا ثم توجهت الى اليمامة بطامة كالريح القاصف فبادرها مسيلمة بالقتال وعرض عليها فى أثنائه أن يتزوجها ولم ترحل عنه الا بعد أن أخذت نقودا كثيرة

ولم تدخل دومة الجندل تحت طاعة أسامة (رضى الله عنه) واتخذها العصاة والمرتدون ملجأ فوجه أبو بكر (رضى الله عنه) خالد بن الوليد الى نجد وأوصاه بما أوصى به أسامة من أن يطلب من الاعداء الاسلام أوتأدية الجزية فان أجابوا والا قاتلهم بشدة عزم وصدق نية من غير أن يقطع أعضاء المغلوبين أو يقتل النساء والاطفال أو يتلف زرعا أو شجرا مثمرا ثم قدم خالد الى بلاد نجد فانقاد اليه طيئ وبنو أسد وغطفان وهوازن وسليم وهزم طليحة فى واقعة بزاخة ففر الى صحارى الشام وقبض (رضى الله عنه) على من قتل مسلما أو ساعد على قتله من غطفان ونجد فكانوا ماب ين مرجوم وملقى من شواهق الجبال ومحرق وغريق فامتلأت القبائل رعبا ثم سار الى بنى حنظلة وهم بطن من تميم تابعون لسجاح فشتت

شمل

شمل من لم يبايعه وقتل رئيسهم مالك بن نويرة وتزوج امرأته فليم على ذلك وجاء متمم أخو مالك الى أبي بكر وطلب الانتصاف من خالد فايده عمر فقال أبو بكر لاأقتل سيفا سله الله على المشركين ودفع عنه دية مالك لاخيه

ووجه أبو بكر (رضى الله عنه) الى اليمامة سريتين احداهما مع عكرمة بن أبي جهل والاخرى مع شرحبيل بن حسنة فغلبهما مسيلمة فامر أبو بكر بتوجه عكرمة الى عمان وخالد الى اليمامة فانقاد بنو حنيفة لخالد وسلموه مدينة هجر بعد قتل مسيلمة بواقعة عقرباء التى قتل فيها كثير من القراء فامر أبو بكر بجمع القرآن خشية ضياعه بقتل أهله ووضعه (رضى الله عنه) بعد جمعه تحت يد السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب احدى أمهات المؤمنين (رضى الله عنهن) واستولى عكرمة على مدينة دابا قاعدة عمان وشتت أحزاب المتنبيء لقيط ذى التاج ابن مالك الازدى وانقاد اليه اقليم مهرة وبنو كندة فى اقليم حضرموت وانضم الى المهاجر بن أبي أمية أحد رؤساء المجاهدين وقطع دابر من بقى من حزب الاسود باليمن

ووجه (رضى الله عنه) الى أهل الردة بالبحرين وعمان وغيرهما العلاء بن الحضرمى فجاب بجنوده صحراء الدهناء وهزم أمام بلدة جوانى بنى بكر المتولى عليهم أحد عائلة المنذر ملك الحيرة وفتح جزيرة دوينة فاطفأ نار الخروج بالكلية وبذلك صار من فى بحيث جزيرة العرب الحقيقية معترفا بالطاعة للاوامر البكرية

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى شدة ميل العرب المسلمين الى الجهاد وتكثير المسلمين ﴾

عوّد النبى (صلى الله عليه وسلم) الصحابة على الجهاد وأعلمهم بنحو حديث جعل رزقى تحت ظل رمحى أن الدنيا نصيب المؤمنين بقوة عزائمهم فغلب عليهم فى الجهاد هيام دينى لاسيما اذا حثهم الرؤساء حين تقوم الحرب على ساقها بقولهم ان الجنة أمامكم والنار خلفكم فانهم بهذه الموعظة المبشرة بالجنة والحماسة

المثيرة طباع الحرب وشدة الضرب والطعن يلقون أنفسهم وسط المعركة فيفوزون في أكثر المقاتلات بالنصر بعد أن ينازل رئيسهم أشجع الاعداء قبل انعقاد الواقعة الا انهم كانوا يجهلون تعبئة الجيش العلمية فاعتنوا بمعرفة استعدادات أعدائهم الحربية وانتظاماتهم العسكرية فاخذوا يقلدونهم حتى عوّدوا عساكرهم الانتظام وعرفوا كيف ينتفعون بفرسانهم بوضعهم على ميمنة الصفوف وميسرتها وقت القتال وبالجملة توالت للعرب نصرات ضعفت بها الفرس وكذا الروم المنقسمون الى أحزاب متعادية لاختلاف أديانها المتعودون أن يستأمنوا على مملكتهم للحماية عنها غرباء مؤجرين لايعرفون قوة عزائم الامة العربية ظانين أن حربها كالحروب القديمة التى كان يؤل أمرها الى الاتفاق والصلح مع الاعداء فضيعوا بذلك زمنا نفيسا لم يتداولوا فيه مع هؤلاء الرجال الذين كانوا اذا نصروا أو انهزموا لايزالون مصرين على الزام العدوّ اما الدخول فى الاسلام أو دفع الجزية مع الصغار على ان الرعايا الرومية كانت فرحة بحكم الاسلاميين لما رأت من صدقهم فى المعاهدات والمعاملات وعدم تعسفهم واجحافهم فاخذ الروم يسلمون وكل من نطق منهم بالشهادتين تثبت له الحقوق الاسلامية ثم تكامل اختلاط الروم بالعرب فاخذ كل عربى يتزوج بروميات فى آن واحد

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى اغارة أهل الاسلام على العراق العربى من سنة ٦٣٣ الى سنة ٦٣٤ ميلادية الموافقة سنة ١٢ الى سنة ١٣ هجرية ﴾

كان غرض أبى بكر (رضى الله عنه) من بعث أسامة بن زيد بجيشه استكشاف ماعليه سكان العراق ثم قصد الجد فى فتحه فاوصى عياض بن غنم وخالد بن الوليد بما تطيب وتقوى به نفوس الامة البدوية ثم بعثهما الى غربى العراق ففتح عياض دومة الجندل وبلغ العراق من طريق المضيخ قبل خالد الذى سافر من بلاد اليمامة فسلك طريق ابلة قرب الخليج الفارسى واجتمع مع عياض قرب الحيرة وحارب من بجزيرة دجلة والفرات فنصر عليهم ثلاث مرات وهدم مدينة

أمغيشيا وفشا قتله الذريع لكل مبارز فوقع الرعب فى قلوب العراقيين مسيرة أيام فاخذ بلا قتال الحيرة والانبار وعين التمر وديوان المدائن تحت مملكة الفرس الفاشية بها اذذاك أنواع الفشل والفتن وسار الى اغاثة عياض حين أوقفته الاعداء عن المسير امام مدينة دومة الجندل فانجده ورجع الى الحيرة لجدد الحرب مع العراقيين وهزم قرب فراض التى على ميمنة الفرات الروم المنضمين الى الفرس والعرب التغلبيين لصد المسلمين عن العراق ثم ترك جيشه وتوجه سنة ثلاث عشرة الى مكة فحج وعاد متأهبا لاجتياز حدود مملكة الفرس والجولان فى أرض فارس اذ ورد اليه من أبي بكر كتاب بتوجهه الى الشام

المبحث الرابع

فى فتح الشام من سنة ٦٣٣ الى سنة ٦٣٨ ميلادية الموافقة سنة ١٢ الى سنة ١٧ هجرية

كان العرب يطلقون الشام على بلاد سورية غير مريدين به مابين حدود طورسينا وغرب الفرات الى منابع نهر الاردن بل مريدين جميع ماتحده برارى بحيث جزيرة العرب و برزخ السويس من الجنوب والبحر الابيض المتوسط من الغرب وطور سينا الاقصى من الشمال والفرات من الشرق

وقد صرف أبو بكر (رضى الله عنه) همته فى فتح الشام فقد بعث سرايا وصلت الى مدينتى صور وعكا والجزء الاعلى من مجرى نهر الاردن والى داخل اقليم فلسطين الحقيق الا أن واقعة عقدت بعيدا عن دمشق فعادت على السرايا الاسلامية بهزيمة بعث بها أبو بكر الى أبي عبيدة مددا وقلده ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل قيادة الجيش على أن يكون الاخيران تحت يده عند الاجتماع فقسم أبو عبيدة جيشه ثلاثة أقسام دهموا فى آن واحد بصرى ودمشق وطبرية فلم يظفروا بالاعداء لتفرق القوة وأما خالد بن الوليد فامتثل أبا بكر وسار بتسعة آلاف من الحيرة الى الشام فنزل جهة تدمر وحوران منتظرا وفود المدد

اليه من غير أن يحاوب هاتين الجهتين لعلمه انهما يوصلانه الى نهرى الاردن وانطاكية

المبحث الخامس

في فتح بصرى ودمشق وواقعة اجنادين سنة ٦٣٣ ميلادية الموافقة سنة ١٢ هجرية

لما وفدت الوفود الى خالد نزل بالجيش أمام بصرى فحاصرها وقاتلها قتالا شديدا فأسلم محافظهم (رومانوس Romanus) ثم أخذت ففرر خالد عليهم الجزية حين سألوه ذلك مع منع الجيش من اغتنام أموالهم ثم سار الى دمشق فحاصرها وقد بعث اليها هرقل خمسة آلاف رومى وأقام بانطاكية فبعث من فى دمشق جوابا بذلك الى هرقل بانطاكية وهو اذ ذاك كثير الاسلحة والمدائن الحصينة حاكم على بحر الروم لكن عزيمته انحلت باستكثاره الرجال الاسلامية مع استعظامه شدة بأسهم فبعث قائدا بستين ألف رومى قابلهم خالد على اجنادين بسائر من معه وهم عشرون ألفا قتلوا من الروم خمسين ألفا وفر من بقى الى دمشق وحمص وانطاكية فرجع خالد وحاصر دمشق من جهة وأبو عبيدة من أخرى فتكلم أهل دمشق مع أبى عبيدة لحلمه وسعة أخلاقه فى تسليمهم المدينة على أن يرتحل كل منهم ببعض ماله ولا يقتفى المسلمون أثرهم الا بعد ارتحالهم بثلاثة أيام وفتحوا له أبواب المدينة على ذلك فدخلها وبلغ رحبتها فوجد جنود خالد فتحوا جهتهم عنوة وذبحوا سائر من رأوه من الروم فمنعهم عملا بالشروط حتى انقضت الايام الثلاث فتبعهم خالد أسرع من البرق فشتت شملهم ورجع غانما

المبحث السادس

في عزل خالد من قيادة الجنود وواقعة اليرموك وانقياد بنى غسان سنة ٦٣٦ ميلادية الموافقة سنة ١٥ هجرية

بينما خالد بدمشق اذ بلغه وفاة الصديق وجلوس عمر بن الخطاب المشهود له بالاعتناء بالضبط والربط فقد كان يسهر الليل فى خفارة المدينة المنورة لئلا يصل الى أغنياء الغرباء أذى وشكا اليه يهودى من عامل فكتب اليه اما أن

تعدل

تعدل حتى لا يحصل شكوى واما أن تدع الحكم وكان فى نفسه (رضى الله عنه) شئ من خالد منذ قتل مالك بن نويرة السالف فلذا عزله عن امرة الجنود حين استخلف فامتثل خالد لان يكون تحت امرة أبي عبيدة بن الجراح المعترف له بالشهامة وحسن خدمته الحربية ومستشيرة فى كل مايقتضى الاستشارة واستمر (رضى الله عنه) مع أبي عبيدة مشتغلا بالحروب المفيدة فقد أنجد سرية ذهبت الى سوق آبل الموسمى لتنال منه غنيمة ثم فتح حمص ومدينة (أريطوس Arethus) التى على نهر انطاكية المسمى العاصى ومدينة حماه وغيرهما بعد أن هزم الروم وبنى غسان ثم فتح قنسرين عنوة فبعلبك ثم سار سنة أربع عشرة مع أبي عبيدة لفتح انطاكية فبلغهما ان هرقل جهز من انطاكية جيشا يمنع الجنود الاسلامية من بلوغ انطاكية ومن فلسطين جيشا آخر يأتيهم من خلفهم فرجعا لصد جيش فلسطين عن المرور الى انطاكية وعسكرا على شاطئ نهر اليرموك الذى يصب فى نهر الاردن بجنوب بحيرة طبرية وقدم قسطنطين بن هرقل بمائة وأربعين ألفا يقدمهم الغسانيون تحت قيادة شيخهم جبلة بن الأيهم المرتد عن الاسلام لينتقم من عمر (رضى الله عنه) لحكمه عليه بما سلف وذهب قسطنطين الى قيسارية وفرق كتائبه على مدائن الساحل من غزة الى طرابلس فكان بين الفريقين الحروب أياما انهزم فيها المسلمون ثلاث مرات ثم أيد الله خالدا بالظفر بهم وأسلم الغسانيون ماعدا جبلة فمازال مصرا على ردته الى أن مات بالقسطنطينية التى كانت بها ذريته حتى فرت من الملوك العثمانية الى جبال الجراكسة فى القرن الخامس عشر من الميلاد

المبحث السابع

فى فتح القدس وحلب وانطاكية ومدن السواحل وجزيرة دجلة والفرات

حاصر عمرو بن العاص مدينة القدس والبطرك (سوفرونيوس Sophronius) يحامى عنها ثم حاصرها أبو عبيدة مع خالد حتى بلغ أهلها الجهد فرضى سوفرونيوس

بشرط عقد الشروط مع الخليفة عمر فسافر (رضى الله عنه) الى القدس وأمضى الصلح وألزمهم دفع الجزية وبنى بموضع المعبد الذى بناه سليمان (عليه السلام) مسجدا عرف بمسجد عمر ثم عاد سنة ست عشرة معه عمرو بن العاص الذى أعده لفتح الديار المصرية

وبلغ ابن الخطاب (رضى الله عنه) فتح خالد لمدينة الرملة فرضى عن خالد وأعاده أميرا على المجاهدين فسار لفتح انطاكية وحلب من وسط سهول دمشق وأبقى فى فلسطين يزيد ومعاوية ابنى أبى سفيان ليأخذا قيسارية وسائر مدائن الساحل من قسطنطين بن هرقل فاهلكا أكثر جيش قسطنطين حتى خرج هو من قيسارية فاخذها يزيد ومعاوية مع عسقلان وغزة ونابلس وطبرية وعكا ويافا وبيروت وجبلة واللاذقية بلا قتال وأما خالد وأبو عبيدة فاخذا مدنا وحصونا تركاها حين تقهقرهما الى بحيرة طبرية فى المرة السالفة وحاصرا مدينة حلب أربعة أشهر منعهم فيها الدخول جندى رومى يسمى (يوقنا Youkina) بحصن قريب منها ثم اهتديا الى طريق وسط صخور فاخذا المدينة وارتحل هرقل عن انطاكية وترك بها جيشا هزمه خالد وأبو عبيدة وهجما على حصن أورال سنة سبع عشرة فانقاد أهل انطاكية لتسليمها على أن يدفعوا للسلمين ثلثمائة ألف من نقود الذهب ليعفوا عن قتلهم ونهبهم فكان ذلك ثم وجه أبو عبيدة سرايا أخذت منبج وصور وطرابلس وغير ذلك من المدن التى بها عساكر رومية وكان بذلك استيلاؤهم على سائر البلاد الشامية

ونقل بعض المؤرخين ان هرقل أراد سنة سبع عشرة هجرية أخذ البلاد الشامية فبعث أسطولا الى انطاكية وهجم روم وعرب جزيرة دجلة والفرات على حمص فعصت انطاكية وقنسرين وحلب والقريتان المسميتان بالحاضرتين بجوار حلب وقنسرين مع بقاء قيسارية تحت سلطنة الروم وجمع أبو عبيدة جنوده فى مركز واحد وبعث له عمر بن الخطاب جنودا تغز وجزيرة دجلة والفرات لتحول الأعداء عن الشام الا أن عرب الجزيرة والحاضرتين انقادوا الى خالد وسالموه فولت الروم الادبار

وأخذ

وأخـذ المسلمون ثانيا قنسرين وحلب وانطاكية بلا حرب وأسلم بنوتنوخ وجرهم المنتشرون فى تلك البلاد الى نواحى تدمر

ولكثرة ثمرات البلاد الشامية توطن بها معظم الفاتحين ثم انتشر بها سنة ثمان عشرة هجرية طاعون مات به أكثر من خمسة وعشرين ألفا منهم أبو عبيدة وشرحبيل ويزيد بن أبى سفيان ونجا منه خالد واتهمه ابن الخطاب فى بيت مال المسلمين فعزله عن الامارة على الجنود فصبر (رضى الله عنه) حتى مات سنة احدى وعشرين هجرية فما وجد بتركته سوى جواده وأسلحته وجاريته

وقلد ابن الخطاب (رضى الله عنه) عياض بن غنم حكومة حمص وشمال بر الشام وأمره أن يفتح جزيرة دجلة والفرات المتهدمة قلاع واسوار مدنها منذ حرب الروم وفارس ففتح فيها بلاقتال سنة عشرين الرقة وسروج وحران وارفة موطن الخليل (عليه السلام) وقسطنطينية ونصيبين والموصل وآمد ودارا ارسعنى (نسبة الى رأس عين) ثم أسلم عرب الجزيرة ماعدا التغلبيين ملتزمين الجزية واما بنواياد فلم يسعفهم هرقل لضعفه حتى تحصنوا ببلاد (قبادوث Cappadoce) فاسلموا واجتمع سائر القبائل العربية آخر سنة عشرين هجرية على الاسلام

وسمى المسلمون بلاد ميزو بوتاميا بالجزيرة وقسموها أربعة أقسام ديار الجزيرة وقاعدتها الموصل على نهر الدجلة بازاء نينوى وديار بكر بشواطئ الفرات وقاعدتها آمد الرومية وديار مضر الشاملة للبلاد التى تسميها الروم أوشروين وقاعدها الرقة وديار ربيعة الشاملة للاخطاط التى بين الفرات وأعلى الدجلة وقاعدتها نصيبين

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى اغارة المسلمين على أرمينية واناضول والسواحل والجزائر﴾
﴿البحرية والقسطنطينية وما كان من ملوك الروم فى حق﴾
﴿النصارى المردائية﴾

لما فتح المسلمون جزيرة النهرين اغاروا على ايالة أرمينية فهزموا أهلها وألزموهم

تأدية الجزية سنة ٦٤٤ ميلادية الموافقة سنة ست وعشرين هجرية لشقاق بينهم أنساهم الحب الوطني وتقدموا الى جبال الجراكسة ففضوا بلاد ايبرية التي هي جزء من بلاد شروان وصدهم الخزر ببلاد جرجستان فساروا الى بلاد اناضول من جهة اقليمي قبادوث وفريجيا فاخذوا عمورية من اليونان ثم خرجت عن الحكم سنة ٦٦٧ ميلادية الموافقة سنة ثمان وأربعين هجرية فلم يغيروا على تلك البلاد الابعد نصف قرن

وأنشأ معاوية بن أبي سفيان عامل الشام أسطولا سافر به في البحر فاخذ سنة سبع وعشرين هجرية جزيرة قبرص وضرب عليها جزية تساوى نصف ايراد الشام وسنة تسع وعشرين جزيرة قريطش وجزيرة كوس وجزيرة رودس ثم انفرد بالخلافة وحارب سنة ست وثلاثين الروم بحرا وأهلك جزأ من سفن قسطنطين الثاني في خليج ايصالوق بسواحل اقليم (ليسيا Lycie) (من أناضول) في سفح جبل فينكس ثم صنع أساطيل سار بها زمن الربيع سنة ثلاث وخمسين حتى بلغ سواحل بحر مرمرة فنزل غرب القسطنطينية ومكث محاصرها ست سنين يؤخر كل سنة في تشرين الثاني أساطيله الى مينى سيزيقة التي استولى عليها ثم يعود للمصار زمن الربيع فاخترع ملك القسطنطينية قسطنطين الرابع الملقب (بوغانات Poganat) نارا أحرقت سفن المسلمين فعادوا سنة ستين الى الشام وفي أثرهم جيش رومى أخذ يسطو عليهم فأمنت القسطنطينية والاناضول اغارة المسلمين بل أراد يوستينان الثاني ملك الروم ان يأخذ البلاد الشامية سنة سبع وستين فبعث له عبد الملك وهو الخليفة الرابع بعد معاوية عطايا وعاهده لاشتغاله عن ينازعونه الخلافة ثم تمكن حكمه في مملكته فاظهر على الروم من الكبرياء مالم يقع مثله وانتصر وأيد الاسلام في البلاد الشامية فانحاز الى جبل لبنان من النصارى جمع تسموا بالنصارى المردائية وأخذوا يتقدمون في الاغارات على البلاد الشامية حتى بلغوا دمشق مع تمسكهم بعقائد الكنيسة اللاتينية ومخالفتهم عقيدة الروم فبعث اليهم يوستينان الثاني قائدا اوهمهم انه يريد التداول مع رئيسهم ثم فتك به وهجم عليهم الروم

فخبلهم

بخيلهم سنة احدى وسبعين هجرية فبعثوا منهم ألفا ومائتين الى بلاد أناضول و بقيت بلادهم مفتحة للسلمين من ذلك الوقت وهو سنة ٦٩٠ ميلادية الموافقة سنة ٧١ هجرية

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ فى فتح مصر وفارس وافريقية وماوراء نهر جيحون من سنة ٦٣٨ ﴾
﴿ الى سنة ٦٨٠ ميلادية الموافقة سنة ١٧ الى سنة ٦١ هجرية ﴾
﴿ وفيه ثمانية مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى فتح مصر وحالها حين ملكها ابن العاص ﴾

كان فى القسطنطينية وكل اقليم تابع لها أحزاب من الروم ذو و ديانات مختلفة أبدت ضغائن بينهم الا أن من فى القسطنطينية كانوا يسترون مقاصدهم الباطنية بمناظرات فى العلم اللاهوتى بخلاف من فى تلك الاقاليم فانهم كانوا يتحولون من النزاع فى العقائد الدينية الى مسألة اختلاف جنسية أمهم الموجب لاشهار السلاح بينهم كما شوهد ذلك فى مصر فان فيها اذذاك أناسا من الاروام متغلبين عليها متدينين بمذهب الرومانيين وآخرين من ذرية الامة المالكة لمصر فى عهد البطالسة متدينين بمذهب (أوتوقيس Eutychès) من اعتقاد أن عيسى اله تجسد وليس بشرا انضم الى هذا الحزب يعقوب البرادعى أسقف مدينة ايدسة التى محلها الآن يافا فاغراهم على اشهار السلاح على الحزب السالف فاتبعوه ثم مات سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بعد الميلاد فارتاح منه المصريون الذين رضوا رياسة المقوقس عليهم لما له من المهارة والحيل و ولايته مصر زمن اغارة أنوشروان عليها فاخذ يجبي الخراج لنفسه من غير أن يبعث منه شيأ الى ملوك القسطنطينية ولا الى ملوك المدائن فكثر ماله وغمر أبناء وطنه بالعطاء فازداد نفوذ كلمته عليهم وأتى اليه من النبى (صلى الله عليه وسلم) سفير فبعث هدايا

قبلها (صلى الله عليه وسلم) ولذا كان حليفا نافعا للمسلمين

وقد أسلفنا أن ابن الخطاب (رضى الله عنه) رجع بعد فتح المقدس بعمرو بن العاص ليوجهه الى مصر لماله من العزم والحزم والشجاعة فى فتح الشام ووقائع الاسلام الاولية ثم أذن له فى التوجه الى الديار المصرية فسافر من غزة باربعة آلاف مقاتل بلغوا مدينة بيلوزة قرب الطينة بناحية دمياط وهزم المصريين فى مدخل برزخ السويس وسار فعسكر أمام مدينة فامية مفتاح اقليم الوجه البحرى من مصر وأخذها بعد شهر سنة ثمان عشرة من الهجرة فكان له سلوك طريق الساحل الموصلة الى جميع المدن حتى اسكندرية الا أنه توجه فى الصحراء الممتدة من النيل الى السويس حتى بلغ قصر الشمع فلبث يعانى قصده سبعة أشهر لم يحصل فيها على طائل لاتفاق الروم والقبط المحاربين بها تحت قيادة المقوقس الذى غزهم بعد وجبرهم على ترك القلعة على ان يعترفوا بحكم المسلمين عليهم و يدفعوا لهم فى كل سنة دينارين ويبقى على دينه من أراد منهم ثم دخل ابن العاص القصر سنة عشرين واتخذه تحت حكومته

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى فتح الاسكندرية ﴾

لما دخل ابن العاص القصر تشتت الروم ثم اجتمعوا فى كوم شريك فسار اليهم وهزمهم واقتفى أثرهم حتى اجتمعوا بالاسكندرية فحاصرها حتى ملكها ٢١ دسمبر سنة ٦٤١ ميلادية الموافقة ٢١ هجرية بعد أربعة عشر شهرا من حصارها وفر حزب من الروم الى السفن وبقى داخل المدينة حزب آخر أرادوا الفتك بالمسلمين فاخرجهم ابن العاص وتبعهم حتى شتت شملهم وعاد الى الاسكندرية فوجد من فروا الى السفن عادوا اليها وقتلوا محافظا عليها من رؤساء المسلمين فاخرجهم وتردد فى أن يغنم مافى الاسكندرية ويهدمها أولا وكتب بذلك كتابا الى ابن الخطاب (رضى الله عنه) فلامه على ذلك فوضع الجزية والخراج ورتب لتحصيل ذلك رجالا من القبط لمعرفتهم درجات الناس ولغتهم فحصلت أموال

كثيرة

كثيرة صرف معظمها فى مصالح الديار المصرية كتجديد بحر القلزم العتيق الذى كان يصل النيل بالبحر الاحمر وهم بحفر برزخ السويس ليصل بحر دمياط بالبحر الاحمر فنعه ابن الخطاب لئلا يفتح للروم طريقا الى مكة والمدينة وبنى الفسطاط بدل منف التى انهدمت وكان المصريون يضطربون اذا لم يبلغ النيل الارتفاع المعلوم زمن الفيطان فنقص ابن العاص أذرع المقياس

ونقل عن بعض المؤرخين ان ابن العاص شاور ابن الخطاب (رضى الله عنه) فيما يفعل بكتبخانة سرابيون الشهيرة التى بالاسكندرية فامره باحراقها قائلا ان كانت مخالفة للقرآن فضرة أو موافقة فغير نافعة وهو بعيد عن الصدق فانه فعل وحشى لا يصدر حال الهدء والسكون على ان دعوى عدم نفعها اذا كانت موافقة ضعيفة أو باطلة لا يصح نسبتها الى هذا الخليفة المشهود له بوفور العقل لدى سائر الامة ولذا لم يذكرها أحد من المؤرخين المعاصرين له (رضى الله عنه) ولو فرض صدور أمره باحراقها فما كان الا لمقدار قليل فان معظمها أحرق فى عهد الملك تيودوس سنة ثلاثين وتسعمائة بعد الميلاد

وأتلف ابن العاص سور الاسكندرية عند قيام سكانها على المسلمين فان عثمان بن عفان (رضى الله عنه) عزله عن مصر حين ولى الخلافة فعز ذلك على المصريين لحسن تدبيره ثم هجم الروم على الاسكندرية وأخذوها فخاف القبط أن ينتقم الروم منهم على ما كان من جبنهم وخيانتهم فبعثوا الى عثمان (رضى الله عنه) سفراء يرجونه اعادة ابن العاص الى ولاية الديار المصرية فعاد وحاصر الاسكندرية وأريقت دماء كثيرين من المسلمين حال هجومهم على السور فحلف ليهدمنه فهدمه وبنى بالموضع الذى أوقف فيه عساكره جامعا سماه جامع الرحمة

المبحث الثالث

فى غزو المسلمين بلاد النوبة و بلاد برقة وسائر فتوحاتهم الواصلة الى صوفيطولة المعروفة بصطفورة

لما فتح ابن العاص مصر وجه سنة ٦٤٣ ميلادية الموافقة سنة ثلاث وعشرين جيشا

ملك بلاد النوبة وضرب عليها جزية ثم سار ابن العاص بجيش ملك به (سيرينة Cyrênaïqu) وسائر الايالة حتى برقة ثم رجع الى مصر ليستعد لفتح شمال افريقية فعزله عثمان بن عفان (رضى الله عنه) بعبد الله بن سعد الذى فتح فتوحات فى شمال افريقية سنة أربع وعشرين وحاصر سنة سبع وعشرين طرابلس فقابس ثم رفع عنهما الحصار لفتور همة من معه بالتفاتهم الى المغانم بعد أن كان القصد توسعة الدائرة الاسلامية لكن ابن سعد أمر بعد ذلك الزبير فسار بجيش قابله البطريق (غريغوار Grégoire) حاكم جميع الاقاليم الرومية التى فى غرب أفريقية بمائة وعشرين الفا من البربر والروم قرب مدينة يعقوبة فهزمه الزبير بعد أيام وقتله وسبى ابنته وأغار على اقليم بيزاسنة (المسمى الآن بلاد النخل أو الجريد) وعلى البلاد التى كانت تحت يد القنصل الرومانى وتختها مدينة قرطاجنة وعلى اقليم (نوميدية Numidie) (المسمى الآن اقليم قسنطينة) وعلى موريتانية القيصرية وموريتانية السيتفية اللتين من جملتهما اقليما مدينة الجزائر ومدينة تلمسان ثم أغار على الجزء الذى لم يكن تحت أيدى (ويزيغوط Wisigoths) اسبانيا من اقليم موريتانية الطنجية (المعروف الآن ببلاد مراكش وفاس وطنجة) وأغار على مدينة صوفيطولة (المعروفة بصطفورة) وانقاد له جميع بلاد طرابلس ولم تبق مدينة من ابتداء صحراء برقة الى بوغاز جبل طارق الا أسلمت لامر الزبير وأدت اليه الجزية التى كانت تدفعها لقيصر الروم وقد فرق من الغنيمة على كل فارس ثلاثة آلاف دينار وعلى كل راجل ألف دينار فبعثه ابن سعد ليبشر أمير المؤمنين عثمان بن عفان بالنصر فاصعده منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ليقص ذلك على الناس ثم أخذ ابن سعد من روم قرطاجنة وغيرها مليونين وخمسمائة ألف دينار جزية وعاد بجيوشه الى مصر فتعجب سلطان القسطنطينية من دفع الروم هذا المقدار وادعى أن نوابه بتلك البلاد خانوه فطلب منهم خراجا أكثر مما أخذه منهم أولا ثم طلب الامبراطور (قونستانت Constant) الثانى من حاكم ذلك الاقليم الافريقى مثل ما أخذه ابن سعد فأبى والتجأ الى معاوية وقد آلت اليه الخلافة فحرضه على فتح هذا

الاقليم

الاقليم وأراه ضعف الروم وخصوبة الاقليم
وكانت الجزية التى أخذها ابن الزبير من سكان هــذه البلاد فى مقابلة حمايتهم من غارات البربر المستقلين بحكم أنفسهم فانهـم كانوا ينزلون على حين غفلة من جبــل أوراسيوس (المعروف الآن بجبل أوراس) فينقضون على المدائن الحصينة فيذبحون الجنود المنعزلة عن الجوع وينهبون المواشى ومحصول الاراضى ثم يعودون الى جبالهم التى لم تقـدر قواد عساكر الروم على اقتفاء أثرهـم فيها بل حاولوا منع تلك الغارات الدورية فلم يجـد ذلك شيأ فأخـذوا بـالمونهـم وعقدوا مبايعة معهم حتى انقادوا لابن الزبير بعد تلك النصرة التى أبدى فيها من الشجاعة ما أخذ بألباب جميع الناس

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى الاغارة الثانية للمسلمين على شمال أفريقية ﴾
﴿ ومآثر معاوية بن حديج وعقبة بن نافع ﴾

لما أظهر حاكم أفريقية ما سبق الى الخليفة معاوية بن أبى سفيان وجه (رضى الله عنه) سنة خمس وأربعين معاوية بن حديج والى الديار المصرية بجيش فتح اقليم بيزاسينة وجميع سواحل البحر الابيض ثم عـدة مدائن منها جلولاء التى فرق من غنيمتها على كل مجاهد ثلثمائة دينار فولى الخليفة على ما فتح من أقاليم أفريقيــة لتدبير أمورها الداخلية وتوسعة دائرة الفتح عقبة بن نافع لما له من الشجاعة المخبورة وسلامة الطوية والكرم وشرف النفس فتوجه وأخـذ يجاهد بجنوده شمال أفريقية حتى بلغ المحيط الاطلنطيقى فقال اللهم رب محمد لولا أن أمواج هذا البحر تعوقنى لذهبت لأنشر مجد اسمك العظيم فى أقصى حدود الدنيا وبنى قرب مدينة قرطاجنة مدينــة سماها القيروان تخلفت قرطاجنة المعاصرة لرومـيـة المدائن وصارت كرسى أفريقية ثم عمل بافريقيــة غزوات سريعة التقدم منها غزوة بعيدة عاد منها متخلفا عن جيشه فى أكابر رجاله فانقض عليه البربر كالجراد فقاتلهم باصحابه حتى استشهدوا فسار البربر الى القيروان وطردوا منها المسلمين فتقهقروا الى مدينة برقة سنة ٦٨١ ميلادية الموافقة سنة اثنتين وستين هجرية

المبحث الخامس

في اخبار الفرس وفتح بلادهم

انتشر الاسلام بمشارق الارض حين انتشاره بمغاربها فانه لم يتجاوز سنة ثلاث عشرة شواطئ الفرات فأتى بعد ذلك أربعون سنة حتى ظهر فى شرق الفرات وبلغ نهرى جيحون والسند

وأول اقليم طمحت اليه أنظار العرب اقليم كندة لاشتماله على مدخرات الملوك السلجوقية والفارسية ونضارته بالمياه والسهول الخصبة والبساتين النضرة لكنهم لو ملكوا هذا الاقليم وسلكوه الى جهة نهر السند ورأوا مافيه من الجبال المقفرة والرمال المجدبة والمساكن المتباعدة لزالت رغبتهم فيه

وبعث خالد وهو بالعراق الى المدائن تخت مملكة الفرس كتابا بتهديدهم فأمره أبو بكر بحصار دومة الجندل ثم بمسيره الى الشام فابقى بالعراق المثنى بن حارثة فى جمع قليل لايقدر على حفظ مافتحه خالد من البلاد المشرقية المأخوذة من الفرس فطلب من المدينة حين وفاة أبى بكر مددا يحفظ ذلك وان كان بمملكة الفرس عقب جلوس ابنتى كسرى ابرويز اضطراب يمنعهم استنقاذ ذلك من المسلمين

ثم قلد عمر بن الخطاب أبا عبيدة قيادة الجيش و وجهه الى الفرس ومعه المثنى ابن حارثة دليلا فانتصر على الفرس فى وقعات نمارك وسقاطية وقسباطة فبعث رستم نائب بنت كسرى جيشا قاتل أبا عبيدة فى قس الناطف وهزمه و رأى رستم قلة نفوذ كلمته فاشرك معه فى الكلمة فيروزان فوقع بينهما فشل انتهز به المثنى نصرته على الفرس فى واقعة مهران قرب الموضع الذى بنيت فيه الكوفة بعد وجال فى بلاد الحيرة وعبر الفرات وجزيرة دجلة والفرات وهزم أمام تكريت نمير وتغلب المعاهدتين للفرس فولى رستم وفيروزان يزدجر الثالث بن شهريار بن ابرويز السلطنة فزال التحزب وتفرق الكلمة بوحدتها التى أخرجت المثنى من العراق الى الصحراء ثم مات أبو عبيدة (رضى الله عنه) فى قس الناطف لجراح اصابته ونجا من بقى من العسكر لفتن بين أكابر دولة فارس ولولاها مانجا منهم أحد

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ فى واقعة القادسية ﴾

تولى يزدجر الثالث السلطنة سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ميلادية فى سادس عشر حزيران المعتبر مبدأ لتاريخ الفرس وأراد الانتقام من الامة العربية فبعث سنة أربع وثلاثين وستمائة الموافقة سنة ثلاث عشرة هجرية رستما بمائة وعشرين ألفا قاتلوا بقرب القادسية سعد بن أبي وقاص متولى الجنود من قبل ابن الخطاب فكان بين الفريقين ثلاث وقائع واحدة فى يوم أرماث لم ينتصر فيها أحد وأخرى فى يوم اغواث انتصر فيها العرب وثالثة فى يوم عماس قتل فيها رستم وانهزمت الفرس وغنمهم المسلمون فجعل ابن أبي وقاص خمس الغنيمة لبيت المال وأعطى من الباقى ستة آلاف درهم للفارس وألفين للراجل فرأى ابن الخطاب توزيع الخمس على الجنود ونفل القراء فى العطاء على حسب درجاتهم

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى انشاء العرب الكوفة والبصرة ﴾
﴿ وأخذهم المدائن تخت مملكة الفرس وواقعتى جلولاء ﴾
﴿ ونهاوند وهرب يزدجر ومقاومة هرمزان للعرب ﴾

أخذ سعد بن أبي وقاص الحيرة فانشأ المسلمون بعد سنة الكوفة على ثلاثة أميال من الحيرة فى الجنوب الشرقى فصارت مركز الحكومة وأخذ اذذاك عتبة ابن غزوان مدينة ابلة قرب الخليج الفارسى فاختط البصرة على أربعة فراسخ منها فكانت مركزا لمتاجر الهند وآسيا الشرقية وأخذ ابن أبي وقاص أيضا ساباط ونهر شير وكذا المدائن سنة ٦٣٧ ميلادية الموافقة سنة ست عشرة هجرية فبعث الى ابن الخطاب تاج كسرى الاكبر وعلم دولته

وقد فر يزدجر من المدائن الى حلوان عقب واقعة القادسية وجمع جيشا هزمه المسلمون فى واقعة جلولاء مجمع دجلة والفرات ففر الى مدينة اصطخر وأخذ ابن أبي وقاص بلاد بابل المعروفة بالعراق العربي ثم سار الى اقليم كردستان

بشاطئ الدجلة فاخذ تكريت والموصل ثم حلوان ففار به يزدجر بجهة نهاوند فاثخنهم المسلمون قتلا ثم ساروا الى العراق العجمى واذربيجان الواقعين بالساحل الجنوبى الشرقى من بحر جرجان المسمى بحيرة الخزر فاخذوا أصفهان فهمدان فقزوين فتوريز وساروا الى بلاد خيروان واقليم أرمينية فمنعهم بارمينية الرومانية نصارى هاجروا اليها من الشام وبشمال أذربيجان خزر أزالوا تحصينات باقليم كوكار وخربوا اقليمى جرجستان وأرمينية الفارسية فرجع العرب الى ناحية كردستان وعبروا دجلة من تجاه الموصل وذهبوا لمساعدة جيش الشام وفتحوا اقليمى خوزستان وفارسيستان وأخذوا الاهواز ومدينتى شتر وجند يسابور وطردوا يزدجر من مدينة جهل منار فهرب بعد منا وشات الى مرو بخراسان ونقل اليه النار التى كان يعبدها

واستعد المرزبان هرمزان لقتال العرب فى اقليم سوزيانة الذى فرق فى حصونه عساكره وقاتلهم زمنا طويلا حتى بلغه الجهد فسلم نفسه الى المسلمين فبعثوه الى ابن الخطاب (رضى الله عنه) فتعجب منه حين رآه مضطجعا مع الفقراء على درج المسجد الكبير على ماله من شوكة الملك والخلافة فاشتكى الظمأ لينال العفو على عادة العرب من عفوهم عمن شرب مياههم ففهم عمر ما أراد وحلف أن لا يقتل الا اذا شرب الماء فكسر المرزبان قدح الماء فعفا عنه وأسلم ووقعت مملكة الفرس فى قبضة الخليفة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى أخذ العرب اقليمى كرمان ومكران وخراسان وزوال سلطنة الفرس وانقطاع فتوحات العرب فى آخر القرن السابع من الميلاد الموافق لسنة ثمانين هجرية﴾

توجهت الجنود الاسلامية قبل فتح شمال مملكة الفرس الى اقليمى كرمان ومكران اللتين على ساحل بحر الهند وصدوا نجدة من الهنود الى خلف نهر السند ثم توجهوا الى الرى الموصل الى أقاليم هراة ومازندران ومرجيان بشمال

خراسان

خراسان وبلخ واقليم پارو پا ميزوس واقليم اراخوسيا (هو الآن بلاد كوكر)
ثم ساروا الى سجستان فقاتلهم بها يزدجر بجنوده وأمده (تاي تسنغ Taï-Tsong)
سلطان بلاد الصين والتتار الى جرجان بخمسين ألفا غضبوا من يزدجر لفخره بقوته
فكان بينهم وبينه قتال انتصر به المسلمون عليهم وأخذوا سجستان وأخذ الأحنف
مرو وهراة وبلخ ونيسابور حين أمره ابن الخطاب بفتح خراسان ومازال يحارب الفرس
حتى أزال بعد شهرين سلطنتهم سنة ٦٥٢ ميلادية الموافقة سنة ثلاث وثلاثين
هجرية فالتجأ يزدجر الى تاي تسنغ فسلط عليه من قتله على شواطئ نهر مرغال
فانقرضت عائلة أردشير بن بابك بعد ثلثمائة وتسع وعشرين سنة شمسية من سلطنتها
ثم ساروا الى الجهة الشرقية وراء نهر جيحون فلم يملكوا لشدة منازعة الاعداء
الا مدينة ترمذ فى أثناء سنتى ٦٧٣ و ٦٧٤ من الميلاد الموافقتين لسنتى أربع
وخمسين وخمس وخمسين هجريتين ثم أخذوا فى الجهة الغربية وراء جيحون
كرسى خوارزم وفرضوا الجزية عليها وعلى مدينتى قط وزمخشر سنة ٦٨٠ ميلادية
الموافقة سنة احدى وستين وشغلوا اقليمى جرجان ومازندران الأن البربر طردوهم
من القيروان سنة اثنتين وستين هجرية الى بلاد برقة

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ من المقالة الثالثة فى خلفاء الممالك الاسلامية من سنة ٦٦٠ ﴾
﴿ الى سنة ٧٠٥ الموافقة سنة احدى وأربعين هجرية الى ﴾
﴿ سنة سبع وثمانين ﴾
﴿ وفيه ثلاثة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى زوال قوة الحزب العلوى ﴾

كانت سادات قريش تبغض (النبى صلى الله عليه وسلم) ثم دخلوا فى الاسلام
لحلمه عليهم فكانوا ذوى شرف وأنفة بين العرب حتى ولى الخلافة ابن الخطاب

وأزال أنفتهم فاجعوا بعد وفاته على تولية عثمان وأخذوا يظهرون شرفهم بتنفيذ كلهم على عثمان فتخلص من تغلبهم فضلوا عن تعضيده وحرضوا الناس بخطبهم فى الممالك الاسلامية على العصيان حتى قتل فاخذوا يقاتلون ابن أبي طالب محتجين بأخذ الثأر حتى عجزوا فسلطوا عليه من قتله غدرا فانتقلت الخلافة الى ابنه الحسن ثم تنازل عنها سنة اثنتين وأربعين الى معاوية الذى انفرد بها فقمع الخوارج وجازى ابن العاص على انتصاره له باعادته الى ولايته الديار المصرية واتخذ دمشق تخت الممالك الاسلامية فشق ذلك على أهل مكة والمدينة محتجين بان لهم انتخاب الامام من عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وكذا أهل الكوفة محتجين بانهم أكثر عددا وأكبر شجاعة مع اقامة علي (رضي الله عنه) بينهم المقتضية لشرفهم فقام زياد بن أبي سفيان فقتل فى أقل من نصف سنة من البصرة أكثر من ثمانية آلاف رجل ومن الكوفة جرا أنق رجالها لتعظيمه علي بن أبي طالب وقتل الحسن بن علي فى المدينة بسم سنة اثنتين وأربعين وعبد الرحمن بن خالد مروع بنى أمية بشجاعته وآخرين وحكم بقتل السيدة عائشة فرعب الحجازيون والعراقيون وصبروا وأراد معاوية ان يجعل الخلافة وراثية لعائلته بان يعهد بها الى ابنه يزيد فعارضه زياد ابن أبيه حتى مات فاعترف الناس بالخلافة ليزيد بعد أبيه حتى توفى معاوية وجلس يزيد سنة ستين فاراد العراقيون اعطاء الخلافة لنسل علي حيث كانوا أقرب الناس للنبي (صلى الله عليه وسلم) وطردوا الحاكم الذى بعثه يزيد وأرسل أعيان العراق الى الامام الحسين ليولوه الخلافة فسار الى العراق بسبعين نفسا بلغ بهم شواطئ الفرات وبعث له عبيد الله نائب يزيد بن معاوية شمرا الخبيث ليقتله فطلب منه الامام الحسين أن يسير معه الى يزيد فى أمن أو يعود الى المدينة فابى شمر فقاتله الحسين بمن معه حتى أحدق به عساكر يزيد وضربوه فوقع مضرجا بالدم على أصحابه الذين رمتهم الاعداء ولم يبقوا الا أخوات الحسين وولده زين العابدين وكان صغيرا فأمر يزيد باعادته مع السيدات الى المدينة

ولم

ولم يجد الكوفيون رئيسا يولونه الخلافة بعده فصبروا حتى بلغوا أمنيتهم سنة احدى وستين وقد ظنوا أن تجبيله (رضى الله عنه) بعد وفاته ينفى عنهم عار جبنهم المخلد واتخذت شيعة العجم الى زمننا هذا يوم موته وهو عاشر المحرم موسما لجنازته يظهرون فيه الحزن على موته

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى خلافة عبد الله بن الزبير بمكة مخالفا لبنى أمية ﴾
﴿ وظهور آخرين يدعون الخلافة وتسكين الحجاج الثقفى ﴾
﴿ مابداخل المملكة الاسلامية من الفتن ﴾

تهيج الحجازيون على قتل الحسين وأصحابه فعصى عبد الله بن الزبير بنى أمية وحرض عليهم قبائل قريش فدعاه أهل المدينة للاقامة بينهم وطردوا والى المدينة من قبل يزيد بن معاوية فاقتدى بهم أهل مكة والمدن القريبة منها وتلقب ابن الزبير بالخليفة فبعث له يزيد جيشا هجم على المدينة ثم حاصر مكة سنة أربع وستين وأشرف على فتحها واذا يزيد قدمات بحوران فى رابع ربيع الاول من هذه السنة فرجع الجيش الى الشام

وأعلنت جزيرة العرب ومصر والعراق وخراسان بالانقياد لابن الزبير الذى تاخر مع ذلك عن ازالته الخلافة الاموية من دمشق حتى عينوا معاوية الثانى ابن يزيد فتقلدها بعد امتناع وتنازل عنها بعد ستة أسابيع فخلفه مروان بن الحكم مشترطا تولية خالد بن يزيد بعده ثم هزم جيوش ابن الزبير وانقاد له حمص وجزء من جزيرة دجلة والفرات فصرف همته الى مصر فاخذها ممن ولاه ابن الزبير عليها وترك بها بعض أولاده يأخذ الخراج والجزية وحرم مكة والمدينة من القمح الذى كان يرسل اليهما فى بحر السويس المسمى القلزم فتبدلت أحوال خلافة ابن الزبير وذهب أخوه مصعب لاخذ دمشق فهزمه الاموية الى البصرة ثم مات مروان سنة ٦٨٤ ميلادية الموافقة سنة ٦٥ هجرية فخلفه ابنه عبد الملك

فى ثالث رمضان من هذه السنة غير مكترث بعهد والده الى خالد بالخلافة فاستبد بحكم الشام ومصر ورأى عدم تمكن أحزابه من الحج فزين لهم بيت المقدس ليزوروه وصرف همته أولا الى العراق المضطرب منذ قتل الامام الحسين فقد كان به حزب متعصب للعلوية يأبى الانقياد لغير أئمتهم سار به سليمان بن صرد الى الشام لصد جيش عبيد الله بن زياد عن العراق فقابله عبيد الله بحدود الشام ففرق شمله وحزب آخر معترف بخلافة ابن الزبير سار به المختار الى مكة فنصر ابن الزبير ولم يكافئه على نصره له فخالفه وجمع من بقى من جيش ابن صرد وتلقب بالخليفة وأظهر الاخذ بثأر على" و ولديه فقتل فى غير الوقائع نحو خمسين ألف رجل منهم شمر قاتل الحسين وسائر من اشتهر معه فى يوم كربلاء وعبيد الله بن زياد ثم أخذ الكوفة والعراق البابلى ثم سار اليه مصعب بن الزبير والى البصرة فحاصر الكوفة ثم قتله بقلعتها سنة ٦٨٦ ميلادية الموافقة سنة ٦٧ هجرية وقتل جميع أحزابه بالسيف وكانوا سبعة آلاف فعظمت المصائب بتلك الحروب الداخلية الا أن عبد الملك كان يفرح لها لتقليلها أعداءه وتقريبها انتصاره اذ لم يبق له الا عدوان عمرو بن سعيد بدمشق ومصعب بن الزبير فقتل ابن سعيد ثم مصعبا فى واقعة مسكن و وضعت أمامه رأس مصعب فى قلعة الكوفة فقال بعض الحاضرين لعبد الملك انى رأيت بهذه القلعة رأس الحسين أمام عبيد الله بن زياد ورأس ابن زياد أمام المختار ورأس المختار أمام مصعب ورأس مصعب امام أمير المؤمنين فتشاءم عبد الملك وهدم القلعة ومحا أثرها وانقاد له الكوفيون وجنود مصعب بالبصرة والموصل و بلاد الفرس وسائر الاقاليم الشرقية من المملكة الاسلامية ثم بعث أعظم قواد عساكره الحجاج ابن يوسف الثقفى بجيش حاصر به مكة ثمانية أشهر وقتل ابن الزبير وأعيان رجاله على عتبة الكعبة التى تهدمت من مجانيقه فبناها هذه السنة بعد أن بناها ابن الزبير سنة ٦٨٣ ميلادية الموافقة سنة ٦٤ هجرية فاستقل بالولاية والتصرف فى بحيث جزيرة العرب وعامل أهل المدينة بالقسوة لكونهم أول من

قام

قام على الاموية ثم بدت فتن بجهة العراق فنقله عبد الملك من ولاية
بلاد العرب الى ولاية العراق وخراسان وسجستان فاظهر دعوة الاسلام ورأى
العراقيين متأهبين للخروج عن الطاعة فقتل رجالهم ومنهم قرشيون أعانوا على
قتل عثمان (رضى الله عنه) وبالعراق اذذاك من الخوارج جموع الازارقة الفار
بهم الى نواحى الاهواز المهلب أحد قواد مصعب بن الزبير وهم أعداء للحكومة
خلافية كانت أو ملوكية وظهر منهم شبيب وصالح بأحزابهم الملقبين بالصفرية
لمبارزة الحجاج وعقدا بقرب آمد واقعة لم يظفر فيها أحد بالآخر ثم نصرا عليه
فى عدة وقائع ثم قتل الحجاج صالحا قرب الموصل على غفلة وأما شبيب فاخذ الكوفة
حين كان الحجاج بالبصرة فعاد اليه وهزمه من موضع الى آخر حتى دخل بلاد
الفرس وكرمان ثم مات قرب دجيل الاهواز سنة ٦٩٦ ميلادية الموافقة سنة
٧٧ هجرية ثم خرج على الحجاج عبد الرحمن بن محمد سنة ٧٠١ ميلادية الموافقة
سنة ٨٢ هجرية فاخذ منه البصرة والكوفة ثم انهزم فقتل نفسه لئلا يقع فى
يد الحجاج فكان ذلك آخر فتنة بالمملكة العربية

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى سوء عواقب تلك الحروب الداخلية ﴾

حقق الثقفى للاموية الانتصار على أعدائهم الذين كانوا ينازعونهم فى الخلافة
وعادت بلاد العرب الى خمول الذكر ونشأ من ذلك ذهاب شهرة البلاد العربية الا
بموسم الحج وعود سكان نجد والحجاز الى ما كان عليه آباؤهم من الاستقلال فى
المعيشة عن غيرهم وانعزالهم عن الانتظام فى سلك الجيوش الاسلامية وتخلق
خلفاء الاموية باخلاق الملوك الذين غلبوهم فانهم رأوا دناءه النفوس فى رعاياهم
فداخلهم ما كان عند امبراطرة القسطنطينية والفرس من الكبرياء مع استقلالهم
بالسياسة دون الديانة وجراءتهم على تعدى الحدود الشرعية واعراضهم عن حث الوعاظ
باحياء القرآن واعتباره دستور الاحوال بل كانت خلفاء الاموية قدوة لغيرهم
فى المخالفات كشرب يزيد بن معاوية الخمر ورسم عبد الملك صورته مقلدة بسيف

على نقود ضربها ولذا ذهبت الحمية الدينية التى هى السبب الاقوى فى تقوية عزائم الجيوش الاسلامية فظهرت فرق ادعت انها متمسكة بالعروة الوثقى داعية اليها فتمادت فى التعصب للدين حتى اتخذت قتل النفوس ذريعة الى نصر معتقداتها كالخوارج الذين توجهوا لقتل علىّ ومعاوية وابن العاص ظانين ان فى ذلك هدوا للناس والمعتزلة المتظاهرين بثأر عثمان والازارقة الذين لم يبقوا صغيرا ولا كبيرا مع ادامتهم التهليل والتكبير بل كان بين تلك الفرق حروب فى جزيرة دجلة والفرات واذربيجان لاسيما العراق العجمى

ولم يؤخر غير تلك الفرق عن الانتقام منها الاخشية سطوتها فانها طالما بارزت وهى مائة أو مائتان آلافا وربما نصرت عليهم ولذا نفذت أوامرها بالقتل لدى نواب الاموية خشية منها

وبالجملة كانوا هم وغيرهم على غاية من الافساد كما فعل الحجاج فانه ذبح مائة وعشرين ألف نفس ومات وبحبوسه أكثر من خمسين ألفا يكابدون الذل والهوان هذا ما كان بالجهة المشرقية وأما المغربية فلم يظهر بها شئ من ذلك بل ازداد فيها التمسك بالدين الاسلامى

﴿الباب الخامس﴾

﴿من المقالة الثالثة فى اغارات العرب على شمال افريقية﴾

﴿وعلى اسبانيا وفرانسا وآسيا الصغرى وما وراء﴾

﴿جيحون وشواطئ نهر السند﴾

﴿وفيه تسعة مباحث﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿فى حيازة الأموية أقوى مايكون من الشوكة﴾

نجحت نصرات الحجاج عبدالملك من أعدائه حتى توفى سنة ٧٠٥ ميلادية الموافقة

سنة

سنة ٨٧ هجرية ولا اضطراب فى مملكته نخلفه الوليد أكبر أولاده عشر سنين من سنة سبع وثمانين الى سنة سبع وتسعين نخلفه اخوته الثلاثة سليمان ويزيد وهشام من سنة سبع وتسعين الى سنة ١٢٦ هجرية الموافقة سنة ٧١٥ الى سنة ٧٤٣ ميلادية وتخلل خلافتهم عمهم عمر بن عبد العزيز فانه تولى بعهد من سليمان سنة تسع وتسعين فسلك أحسن المناهج حتى مات مسموما سنة اثنتين ومائة الموافقة سنة ٧٢٠ ميلادية نخلفه يزيد الثانى الى سنة ست ومائة نخلفه هشام الى سنة ست وعشرين ومائة الموافقة سنة ٧٤٣ ميلادية وقد عانى من قبلهم من الاموية فتح القارة الاوروباوية سنة ثلاث وخمسين فمنعهم الروم بالقسطنطينية من الجهة الشرقية ومازالت كذلك حتى تولى هؤلاء بعد أبيهم عقب نصرات أدت الى زعم ان عز المملكة الاسلامية منوط بعائلتهم فاخذوا يبثون فى الناس الحمية الحربية حتى أخذوا بعض البلاد المشرقية والافريقية ثم أغاروا على أوروبا من الجهة الغربية و بلغوا بوغاز جبل الطارق ثم سطوا على اسبانيا وفرانسا ونزعوهما من الجرمانيين الحاكمين عليهما منذ ثلاثة قرون فظهر شرفهم بالممالك الاسلامية على مافيهم من عدم السياسة حيث اكتفوا من الجزية بقليل احتاجوا معه عند غزوهم الممالك القاصية الى أموال يؤدون بها لوازمهم ولم يقع فى زمنهم فتن داخلية لظهور سطوتهم وقوة باسهم نعم كان اذذاك علوية يضمرون الخروج على الاموية و يلومون أهل السنة على ابعادهم عليا و ولديه من الخلافة واختاروا زيدا حفيد الحسين اماما ثم تخلوا عنه لطيشهم المعتاد وهم ثلاثة احزاب تعصب أحدهم لذرية على من فاطمة الزهراء وثانيهم لذريته من غيرها وثالثهم لبنى العباس زاعما ان ذريته من غير الزهراء تنازلوا عنها للعباسية وما زالوا مضمرين الخروج على بنى أمية حتى أظهروه سنة اثنتين وعشرين ومائة هجرية مع تفرق أحزابهم وعدم انضمامهم الى رئيس جدير بالخلافة فلم تخش الاموية بأسهم واكتفوا باثارة البغضاء بينهم ثم قوى حزب العباسية وجعل تحت ألويته من كانوا معضدين للآخرين و بالجملة فبولاية هؤلاء الانجال الخلافة عقب نصرات الحجاج

المتوالية وفحصهم لهذه البلاد الشاسعة وبثهم البغضاء بين العلوية كان لهم المجد الباذخ والشرف الاكبر

المبحث الثانى

فى فتح المسلمين شمال أفريقية من سنة ٧٠٤ الى سنة ٧٠٨ ميلادية الموافقة سنة ٨٥ الى سنة ٩٠ هجرية

سلف ان عتبة بن نافع بلغ بالجنود الاسلامية أقصى سواحل البحر الاطلنطيق ثم انضم البربر والروم فطردوه من القيروان الى بلاد برقة تاركا مافتحه من أفريقية حتى نصر عبد الملك على منازعيه فى الخلافة فامر الحسين والى الديار المصرية بالمسير الى شمال افريقية فسار وأخذ القيروان التى بناها ابن نافع ثم حاصر مدينة قرطاجنة ذات الحصون المنيعة فاخذها وفر من بها من الروم الى سفن بمينائها والى صقلية والاندلس الا أناسا استوطنوا مدينتى سطفورة وبيزرت حتى أتى اليهم من القسطنطينية مدد خرج على السواحل وعاد بلا حرب سنة ٧٠٤ ميلادية الموافقة سنة خمس وثمانين هجرية وجمع الحسن من أفريقية غنائم خاف أن يضعها بالقيروان فتسطو عليها قبائل البربر الساكنة بجبل أوريس تحت حكم كاهنة متنبئة تدعى ان لها مددا الهيا ونصرا سماويا وأخبرت بأشياء فوقعت فانتشر صيتها سريعا ولم تر العرب الا انها بين فاقامت عليهم سائر قبائل البربر ولذا خشى منهم الامير حسن فعاد الى مصر ليضع بها تلك الغنائم ويستعد لهؤلاء البربر الذين خربوا زمن عوده جميع مافتحه وهجموا على العرب واليونان فسار هذا الامير بجيش هائل وأخذ يحتال على قتل تلك الكاهنة فاعدمت الزرع والمدائن لتكون سواحل البحر الابيض قفارا تهلك فيها الجنود الاسلامية جوعا فاخذ هذا الامير يخاطر بنفسه حتى قاتلها وقتلها فى الحرب فاخذ بلاد السواحل وداخل البلاد الافريقية سنة ٧٠٨ ميلادية الموافقة سنة ٩٠ هجرية وقدر على البربر جزية وعاد الى مصر بعد أن ولى على تلك البلاد موسى بن نصير

فبث

فبث بينهم سنة احدى وتسعين الى سنة ثلاث وتسعين من العدالة وحسن التدبير مانظمهم فى سلك جيشه وجبرهم على اتباعه حيث شاء فنوى ان يجتاز بوغاز الطارق ليغير على اسبانيا

ولكثرة غنائم أفريقية التى أتى بها الحسن ارتحل كثير من العرب الى أفريقية لاكتساب الثروة فبثوا هناك القرآن المجيد ووافقوا البربر فى حب الحرية والاستقلال والعيشة البدوية والحط والترحال والسلب والنهب مع عزة النفس واكرام الضيف فكان البربر أقوى المعضدين للعرب حتى حاربوا اسبانيا فأبى بعض البربر معاشرتهم وذهبوا الى جبال ايالة الجزائر فلم تزل بها ذريتهم المسماة بالقبائل الى الآن

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى اغارة المسلمين على اسبانيا سنة ٧١١ الموافقة سنة ٩٣ هجرية ﴾

ملك بجيث جزيرة اسبانيا قبل الهجرة بمائتين واثنين وعشرين سنة رجال يعرفون (بالويزيغوط Visigoths) ملكوا بلاد طنجة وسبتة وهزموا موسى بن نصير حين حاصر سبتة سنة ٦٤ هجرية الموافقة سنة ٦٨٣ ميلادية كما هزمه الملك (ويطيزا Vitiza) الويزيغوطى سنة ٩١ ثم أخذ الملك (رودريق Roderic) المملكة واسعة الارض كثيرة الرجال على مافيها من ضعف الشوكة لتألفها من جموع متعادية وجهلهم بالتدبير العسكرى ومطالبة القسس لهم بأموال باهظة وعدم انتظام شريعتهم المؤلفة من شريعة الرومانية وعوائد الجرمانية وتأخرهن فى البلاد المنتظمة عن امداد السلطنة واستعباد الرعايا بالفلاحة التى تطفئ من القلوب حب الوطن وشرف الامة واضطهادات اليهود التى بعثت فيهم البغضاء والحقد على الويزيغوط وضم رودريق الى ذلك اساءته الكونت (جوليان Julien) التى كانت سببا فى استيلاء العرب على اسبانيا فان الوزير موسى بن نصير بعث الى الخليفة الوليد بن عبد الملك كتابا وصف فيه اسبانيا وغزارة خيراتها فاذن له فى فتحها مشيرا اليه بتقديم بربر أفريقية حذرا من الغدر فبعث الى اسبانيا اثنى عشر ألف بربرى مع شجاع مسمى بطارق عارف

بسواحل اسبانيا الجنوبية المشرفة على بوغاز الجبل الذى حل فيه هذا الشجاع فسمى بجبل طارق فارشده جوليان ذو الممالك الواسعة باسبانيا وسلم اليه قلعة الجزيرة الخضراء فجمع رود ريق مائة ألف مقاتل قاتل بهم العرب سبعة أيام فى سهل غواد اليط قرب مدينة كزيرس مع تزينه حال الحرب الذى قلده فيه أهل ديوانه وتركوا القتال على أرقاء أغبياء كالبهائم يقاتلون مكرهين بخلاف جيش طارق فانهم لتعودهم القتال وعلمهم أن من استشهد دخل الجنة نسوا قلتهم فى جانب مائة ألف وتأهبوا لقتالهم كتأهبهم لاستقبال النعمة قال لهم طارق ان العدوّ أمامكم والبحر خلفكم فأين تذهبون ثم حمل على العدوّ فاخترق جيشهم فانضم بعساكره الى المسلمين اياس أسقف اشبيلية وكان من حزب جوليان فانهزم رود ريق وألقى نفسه فى نهر الوادى الكبير سنة ٧١١ ميلادية الموافقة سنة ثلاث وتسعين هجرية فاخذ طارق تخت سلطنة الويزيغوطية وبعث جوعا أخذوا غرناطة وقرطبة و ويرة وملقة واستجة وسار هو الى طليطلة فاتى اليه من موسى بن نصير أمر بان يقف منتظرا لقدومه فأبى خشية ان تجتمع الاعداء وينتخبوا سلطانا يجدد لهم قوة وسار حتى بلغ طليطلة فاخذها بلا قتال وترك بها عساكر محافظين وسار الى شمال اسبانيا فانقادله جميع البلاد الممتدة من جبل طارق الى جيجون

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى انتقال موسى بن نصير الى اسبانيا وترتيبها وعزله ﴾
﴿ وقتل ولده عبد العزيز ﴾

حاز طارق من نصرانه باسبانيا فخرا فحنق منه ابن نصير وسار الى اسبانيا بعساكر فتح بهم مدينتى كرمونة واشبيلية وحاصر مريدة وبها شجعان ويزيغوط حتى أسعفه ولده عبد العزيز بسبعة آلاف فاخذها ثم سار ابنه عبد العزيز الى مرسية فضرب الجزية فيها على (تيودومير الغوطى Thèdemir) المستقل فيها بالامارة

وسار

وسار هو الى طليطلة حين أخذ طارق اقليمى استريمادور ولوزيطانيا ثم قابل طارقا فضربه بالدرة وسجنه وجرده من قيادة العسكر فأمره الخليفة الوليد باطلاقه واعادته للقيادة ونسب فتح اسبانيا اليهما خشية ان يستقل موسى بعائلته الكثيرة عن حكم الاموية ثم فتح موسى أقاليم استورية وطارق البلاد التى خلف نهر ابرة الا انهما تعاونا على فتح سرا قسطة لقوة من بها وفتحا جميع اسبانيا الى جبال البرانس المسماة أيضا بجبال الابواب ثم لبث ابن نصير يرتب اسبانيا ويجبى جزيتها على المقدار المؤدى سابقا الى الغوطيين مظهرا فيها العدل حتى عادت اليها رفاهيتها القديمة التى لم تحصل عليها زمن الغوطيين ثم وضع لها قوانين مخالفة للقوانين الشرعية التى وكل اليه العمل بها مريدا قطع ارتباطها بالخلافة الاموية فبعث سليمان بن الوليد بعد أن ولى الخلافة اليه والى طارق فحضر طارق فقيرا غير متهم باختلاس شئ من الاموال فأثنى عليه الخليفة بما جازه من النصرات وحكم عليه بالاقامة عنده فى آسيا خشية أن ينضم اليه من البرابرة جموع لشهامته وعظيم نخاره وحضر ابن نصير الى دمشق بجمع من الأسرى فضربه سليمان ونفاه الى مكة وولداه عبد العزيز وعبد الله حاكمان اذ ذاك بافريقية واسبانيا فخاف سليمان ان يستعينا بما فى أيديهما على الانتقام منه فامر بقتلهما فقتلا سنة ٧١٦ ميلادية الموافقة سنة ثمان وتسعين هجرية فمات والدهما حزنا

المبحث الخامس

فى التقسيم السياسى لاسبانيا وعزها ومبادى انحطاط العرب

قسمت اسبانيا أولا الى أربعة أقسام الاول الشامل لبلاد الاندلس ما بين البحر الابيض المتوسط ونهر الوادى الكبير ومن مدنه قرطبة واشبيليه وملقا واستجة الثانى الشامل لجميع البلاد الوسطى من اسبانيا يحده من الشرق البحر الابيض

المتوسط ومن الغرب حدود لوزيتانيا المعروفة بالبرتغال ومن الشمال نهر دويرو ومن مدنه طليطلة و بلنسية وقرطاجنة ومرسية والبيضاء الثالث شامل لبلاد غاليسيا ولوزيتانيا ومن مدنه مريدة ايغورا وكوامبره وزمورة وسلمكية الرابع يمتد من نهر دويرو الى جبال برينات على شاطئ نهر ابرة وينتهي في الغرب بحدود غاليسيا ومن مدنه سرقسطة وطرطوشة وطركونة ثم ألحق بهذه الاقسام اقليم خامس خلف جبال برينات وهو عبارة عن بلاد سبتمانية ومن مدنه نربونه وكركاسون وماجلون ولوريفيا

وقد رتب عبد العزيز بن موسى بن نصير على كل قسم حاكما كبيرا يخبره بما تعزم عليه الويزيغوط من الفتن ليتداركه ووضع عساكر دمشق في قرطبة وحمص في مدينتي اشبيلية ونيبلة وعساكر قنسرين في جهن وفلسطين في صيدونية والجزيرة الخضراء وبلاد فارس في كزيرس واليمن في طليطلة والعراق في غرناطة ومصر في مرسية ولسبونه وغير ذلك من الجنود المحافظين وعمل بمقتضى الشروط المنعقدة مع الوزيغوط من تسليمهم الاسلحة والخيل للفاتحين وارتحال من أراد منهم بعد تخليته عن سائر أمواله وأمتعته وبقاء من شاء مع حفظ مالهم من المنقولات والعقارات والكنائس بشرط أن لايبنوا غيرها وان يدفعوا خراجا لايزيد عن عشر محصولهم

ولما للعرب من حسن المعرفة بالزراعة وتدبير التجارة نشروا في بلاد اسبانيا من الفلاحة طرائق مبنية على التجربة والمشاهدة فزرعوا فلواتها وعمروا امدائنها وربطوا بينها علائق تجارية فظهرت بها الرفاهية وصفا العيش حتى كان بين العرب والبربر بغضاء أدت الى أن احدى قبائل البربر تقوم للمدافعة عن واحد منها فاذا بعث الحاكم عساكر من المشرقيين لاطاعة تلك القبيلة استعانت بسائر قبائل البربر للمدافعة عنها فنسي المشرقيون مابينهم من الشقاق وخيف ان تكون مقاتلة عامة بين الجنسين وانضم الى ذلك ان شاميين هاجروا الى اسبانيا وطلبوا للتوطن أمكنة لم يعطوها فملكوا باسلحتهم مدينة وحارب قوم من هؤلاء الغرباء

في

في اسبانيا قبائل البربر العاصية بافريقية زمنا طويلا ثم نزلوا باسبانيا سنة ٧٤٢ ميلادية الموافقة سنة ١٢٥ هجرية وخربوا اقليم الاندلس وأمر الامير بصدهم فنصروا عليه وملؤا بحيث جزيرة اسبانيا مفاسد انتهت بعد قدوم وال من دمشق سنة ٧٤٢ الى سنة ٧٤٦ ميلادية الموافقة سنة ١٢٥ الى سنة ١٢٩ هجرية بتحويله همة هؤلاء الى الحرب في غير اسبانيا على العادة التي استعملها ولاة اسبانيا بعد عبد العزيز فمكثت هادئة خمس عشرة سنة

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ في اغارة عرب اسبانيا على فرنسا من سنة ٧١٩ الى ٧٣٢ ميلادية الموافقة سنة ١٠١ الى سنة ١١٤ هجرية ﴾

كان موسى بن نصير متأهبا للاغارة على الامم التي بين بلاد فرنسا التربونية وخليج القسطنطينية فعزله خليفة دمشق من حكم اسبانيا فلم تتقدم الفتوحات الاسلامية في غرب أوروبا وانحلت عزائم العرب وتجردوا عن الحماسة والحمية فانتهز الفرنج الاستراز يون الفرصة بائتلاف بعضهم ببعض ومقابلتهم طوفان اغارة العرب بسد مانع لايمكن اجتيازه

وكانت العرب أخذت جزأ من جنوب فرنسا تابعا لمملكة ويزيغوط وأخذ الامير علقمة اقليم سبتمانية سنة احدى ومائة هجرية وأنزل في تربونة جمعا من المسلمين واتخذها مركزا لاعمال حربية وتوجه العرب الى اقليم برغونيا وبلغوا مدينة طلوشة تخت تلك البلاد سنة ثلاث ومائة فهزمهم أميرها (الدوق أودس Le duc Eudes) فعدلوا الى شواطئ نهري الرون والسون وأخذوا مدينة بونة وانقاد للجزية من في سنس وأليبعوا وروبرغ وجفوادن وقيلاى وأخذ عنبسة خليفة علقمة في الامارة مدينتي قرقشونة ونيمة وسار حتى بلغ اقليم برغونية ونهب ماقى مدينة أتون سنة سبع ومائة وأخذت مدينة أو ينبون سنة اثنتي عشرة ومائة

وعزم الامير عبد الرحمن على فتح سائر فرنسا فسار الى اقليم طركونه وجبر

حاكمه على أن قتل نفسه حين حاصره فى مدينة (بويسردا Puycerda) ثم أغار على اقليم (اكستانة Aquitaine) وأخذ مدينة بردو عنوة بعد ان هزم الدوق أودس على شاطئ نهر غارون وعبر نهر دردونية فنصر وذكر له كثرة مافى ديمارى من الاموال فسار الى مدينة توبرة للاستيلاء على هذا الدير

وما زال الفرنج الى الآن ينسبون الى العرب جميع التخريب الذى يرون الآن آثاره فى الاقاليم التى أغاروا عليها وهؤلاء العرب الذين هم أقل اغتيالا وخشونة طباع من الاقوام الهونية أو النرمانية قد هولت الفرنج فى شأنهم مع أنهم كانوا فى جميع الوقائع ذوى لطف عند الانتصار وسبب ذلك مارسخ فى عقول الفرنج من الخوف والنفرة من العرب فانهم كانوا ذوى وجوه كالحة من حر الشمس وأعينهم مخيفة مع شدة عدو خيلهم وغرابة ملبسهم وتجريدهم سيوفهم وتكلمهم بلغة لايعرفها أهل تلك البلاد لنشر دين جديد عند هؤلاء النصارى المملوءة قلوبهم بتعليمات أساقفتهم الذين كانوا لايتفوهون الا بالالفاظ الدالة على البغضاء والعداوة لهؤلاء العرب المنكرين ألوهية عيسى بن مريم على خلاف مايعتقده هؤلاء النصارى من التثليث

﴿المبحث السابع﴾

﴿فى انتصار كرلوس مرتيل ملك فرنسا على المسلمين فى واقعة بواتيه سنة ٧٣٢ ميلادية الموافقة سنة ١١٤ هجرية﴾

دعا هذا الملك اكابر أمته لحمل السلاح وجميع رعاياه لأن يكونوا جنودا وسار الى الامير عبد الرحمن بعد أن ارتحل عن شاطئ نهر لوار ووقف بين مدينتى تور وبواتية منتظرا لأعدائه فكان بين الجيشين سنة أربع عشرة ومائة هجرية مناوشات فى ستة أيام كان النصر فيها للمسلمين وهجم كرلوس بمن معه فى السابع فسفك كثيرا من الدماء وقتل الامير عبد الرحمن فلقب (بمرتيل Martel) لنصرته وفشت بين قبائل المسلمين باليمن ودمشق وافريقية واسبانيا فتن حملتهم على قتل

بعضهم

بعضهم ببعض فتشتت الباقى وبادروا بالرجوع ومنعوا من اجتياز الجبال فسلكوا طريق سبتمانيه وشارل مرتيل وأخوه (شيلد براند Chlidebrand) اخذا من المسلمين مدينة أوينيون وغلباهم فى واقعة بشاطئ نهر بيره ولم يقدرا على أخذ مدينة نربونة فهدما مابشمال نهراود من الحصون ليكون مقفرا فلايسكنه العرب وشن قواد الامير عبدالملك الغارات سنة سبع عشرة ومائة هجرية فى اقليم بروونسية حتى أخذوه سنة عشرين ومائة من (مورنت Mauronte) حاكم مرسيلية فاتفق مرتيل (ولويتبراند Luitprand) ملك اللبردية الذى اغارت العرب على سواحل بلاده (الليغورية Ligurienne) فألزما العرب التخلى عن تلك البلاد والعود الى اسبانيا سنة ٧٣٩ ميلادية الموافقة سنة ١٢٢ هجرية فعدل المسلمون الى غزوة نصروا فيها بجزيرة سيسيليا

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى حروب بالمشرق وتجديد المسلمين حصار القسطنطينية﴾

﴿سنة ٧٠٧ ميلادية الموافقة سنة ٨٧ هجرية﴾

فى عهد الملك ابسيمار كان بين العرب والروم من الاغتيال وسفك الدماء مالم يسمع الدهر بمثله وعم أخوه هرقل بلاد الشام بالتخريب والقتل وذبح سكان أرمينية الصغرى من بها من المسلمين المحافظين فدهمهم من العرب المشرقيين جيش ذبح من ظفر به فى طريقه من سكان تلك البلاد وأحرق ساداتها أحياء
وحاز عبدالملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين هجرية نصرات فى وقعات عديدة بسيسيليا منها الواقعة التى بجزيرة ايلوزا المشؤمة على الروم لخيانة عساكرهم المستاجرين من (الاسكلاوون Esclavon) ثم كانت سنة أربع وثمانين هجرية ميدان حروب أخرى وقد أسلفنا أن العرب حاصروا القسطنطينية سنة ثلاث وخمسين هجرية ولم ينجعوا ثم حاصروها فى خلافة سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز فقابلهم (ليون Léon) الثالث المعروف بالايزورى وأحرق سفنهم فعادوا الى البروز لوا فى هضاب ابيدوس وأخذوا مدائن بسواحل بحر مرمرا الى القسطنطينية فقاتلهم ليون وتسلط

عليهم القحط والطاعون و برد الشتاء فتركوا مافتحوا من تلك البلاد التى نزل اليها النصارى المردائية من جبلى لبنان وطور سيناء فقاتلوا ملكها السيئ التدبير يوستينان الثانى المعزول سنة ٦٩٥ ميلادية الموافقة سنة ٧٦ هجرية ثم ولى السلطنة سنة ست وثمانين مريدا شفاء غليله بالانتقام من العرب والأمير مسلمة أخو الخليفة الوليد قد ظهر اذ ذاك صيته وانتشر نخاره بغاراته على آسيا الصغرى أخذ داتيان قاعدة اقليم قبادونة الثانية وبعث لاحراق جميع الاناضول جماعة بلغوا مدينة اسكودار المصاقبة للقسطنطينية وأوقدوا النار فى السفن التى بالمينا وعادوا

وأغار مسلمة سنة ٧١١ ميلادية الموافقة سنة ٩٣ هجرية فى عهد الملك (فليبيق Philêpique) على بلاد بونت وليكاونيه ومدينة انطاكية الايسيدية المسماة الآن آقشهر وحاز العرب جزأ عظيما من بلاد الارمن فحصنوا دروب جبل دربند لصد الاتراك الخزر الممتدة غاراتهم فى بعض الازمنة الى الموصل وحاصروا فى بلاد بيتينيا مدينة آموريون و برجام ونيسة ثم ساروا حتى بلغوا سواحل بحر مرمرا و بوغاز القسطنطينية فقابلتهم الروم بقوة ارجعتهم عن مقاصدهم لاستدعائها عظيم الاتحاد وكثير الجيوش وكان بذلك نخار للروم حيث دافعوا العرب عن القسطنطينية والمدائن التى فى بحيث جزيرة الاناضول والجهة الشرقية من ممالك أوربا

﴿ المبحث التاسع ﴾

﴿ فى فتح العرب ماوراء نهر جيحون والاقاليم الغربية من الهندستان ﴾ ﴿ وماكان للعرب من تاخر فتوحاتهم بسوء تدبير الخليفة سليمان ﴾ ﴿ ابن عبد الملك من سنة ٧٠٧ الى سنة ٧١٢ ميلادية ﴾ ﴿ الموافقة سنة ٨٩ الى ٩٤ هجرية ﴾

خرج من عمان لفتح الهندستان اساطيل اسلامية سنة ست عشرة هجرية فاخذت جزيرة طناح القريبة من مدينة بمباى ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى دهمت فى خليج كامبى مدينة بارود وخرجت أساطيل ثالثة ألى مصاب

نهر

نهر السند ثم أخذ عبد الله بن عامر سنة ثلاث وعشرين بلاد كرمان وسجستان ثم حارب والى اقليم مكران وملك السند المتعصبين عليه فغلبهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك بسنين قليلة اقليم داور ومدينة بوست فكان مملكتا قبول والسند حدود الممالك العربية حتى غلب المهلب بن أبي صفرة ملك قبول وألزمه دفع الجزية وعاد منصورا سنة أربع وستين فى عهد معاوية بن أبي سفيان وخربت أراضي قصدار القريبة من مدينتي كالات وقنداييل وبعث الحجاج سنة تسع وستين محمد بن قاسم بجيوش الى شاطئ نهر السند فهزمه الملك الطاهر وأخذ مدائن ديبل وبيرون وبهمن آباد وألور واقترب من جبال هماليا وتأهب للاغارة على مملكة قنوج وبعث الحجاج أيضا الامير قتيبة بجيوش هزم بها الترك وأخذ بلاد خوارزم وما وراء النهر ومعظم مملكة التتار وأحرق أصنام مدينة فرغانة ونخشب وبيكند وبخارى وسمرقند سنة أربع وتسعين ومدينة كشغر واقصوا وخوطان وبعث الى ملك الصين اثنى عشر سفيرا هددوه بالاغارة فغمرهم بعطايا الذهب الوافرة اتقاء لشرهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق سجستان وأخذ منها الجزية ثم توجه باساطيله فى نهر السند الى داخل البلاد فلحقه جيش فى أرض مكران وانتشر فى سهول مدينة كشمير ودافعته مدن على شواطئ السند فهزم هؤلاء

وانتشرت هناك اللغة العربية ودين الاسلام بالتدريج حتى زالت ديانة البوذية وقد ظهرت الجيوش الاسلامية على شواطئ نهر الكنج ولم تحفظها كغيرها من الاقاليم حيث لم يكن منها سوى المرور بها

والى هنا وقفت الفتوحات العربية لزوال الميل الى تكثير الدين من خلفاء بني أمية بل كانوا يخشون اتساع الاقاليم لاتساع طمع قواد الجيوش ولذا فتك الخليفة سليمان بالامير موسى بن نصير كما سلف وبالامير قتيبة الذى ضم الى المملكة الاموية أقاليم كثيرة وبالامير محمد بن قاسم الذى أدخل جاهلية الهنود تحت حكم الاموية بحسن تدبيره وسياسته وبفقد هؤلاء القواد ذهبت قوة الدولة التى بها حفظ وحدتها وأخذت شوكة أولاد عبد الملك من ذلك الوقت فى الانحطاط

المقالة الرابعة

في قوة شوكة العرب وانحطاطها بالمشرق سنة ٧٤٢ الى ١٢٥٨ ميلادية الموافقة سنة ١٥٦ الى ٩٤٥ هجرية

وفيها أربعة أبواب

الباب الاول

في حدود مملكة العرب سنة ٧٤٣ ميلادية الموافقة سنة ١٢٦ هجرية وفي قتال الاموية والعباسية وخلافتي المشرق والمغرب

وفيه أربعة مباحث

المبحث الاول

في شوكة بني أمية

كانت كلمة العرب نافذة في ثلاثة أقسام من الارض آسيا وافريقية وأوربا فقد ملكوا في آسيا من براري جبل الطور الى قفار ماوراء النهر ومن وادي كشمير الى منحدر جبل طوروس على البحر الابيض وملكوا أطراف الاناضول كسيسيليا وقبادوقه ونبطش وكذا سائر مملكة الاكاسرة بل ملكوا ماعجزت عنه الاكاسرة الساسانية بسرعة حين بعثوا قوادا فتحوا ماوراء نهري جيحون والسند وبلاد بخارى وصغد وجعلوهما اقليما واحدا ثم اقليم ماوراء النهر وأطاعوا على بحر جرجان اقليم خوارزم وملكوا في أوروبا جميع جزيرة اسبانيا ماعدا بوغازات جبل استورية وملكوا اقليم سبتيمانية وجزيرة قبرص وجزائر بليارة وجزيرتي اقريطش ورودس وشمال أفريقية وجميع البلاد الممتدة من بوغاز جبل الطارق الى برزخ السويس وقسموا سواحل البحر الابيض الى حكومتين احداهما بالمغرب تشتمل على الاقاليم القديمة اليونانية وهي أقاليم بيراسين وافريقية القنصلية ونوميديه والبربر الرومانية والسيتينية وموريتانيا الطنجية والاخرى بالمشرق وهي عمالة مصر وبرقة البحرية يأخذ صاحبها الجزية التي رتبها ابن العاص على من ببلاد

النوبة

النوبة ويبعث كل سنة الى بلاد السند سفراء يطلبون مع الشمم والأنفة الخراج السنوى وكان تخت هذه الممالكة المساوية تقريبا مملكة قياصرة رومية المدائن فى ابطاليا مدينـة دمشق التى بنى فيها الوليد الاول ذلك المسجد الذى عدّ من عجائب المصنوعات الدنيوية وهدمه تيمورلنك سنة سبعمائة هجرية

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى العلوية والعباسية﴾

أسلفنا ان للحجازيين والعراقيين مقالا فى اختصاص بنى أميـة بالخلافـة حتى تأهب سكان الجهة المشرقية من آسيا للتعصب مع أهل الكوفة والبصرة اللتين كانتا ميدانين لعصيان الاموية فسفك فيهما دماء كثيرة وكانت العلوية احزابا متفرقة الكلمة يدعو كل منها الى رئيس ويخطئ الحزب الآخر وما زالوا كذلك حتى ظهر عليهم بنو العباس مدعين أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن على بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية أوصى اليهم بالخلافة قبل أن يموت مسموما باذن سليمان بن عبد الملك فانضم اليهم حينئذ من العلوية من يودّون زوال بنى أمية واستعدّ العراق كله لحمل السلاح نصرة الى بنى العباس الذين بانت مقاصدهم منذ نازع زيد هشام بن عبد الملك فى الخلافة

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى سيرة متأخرى بنى أمية ونصرة العباسية على مروان الثانى﴾

ولى الوليـد الثانى الخلافة بعهد من هشام فلم يعترف بحكمه الدمشقيون لسوء أخلاقـه و ولوا بدله يزيد الثانى سـنة ٧٤٣ ميلادية فحاول الوليـد دخول دمشـق وقاتلهـم حتى قتـل فالتجأت احزابه الى حمص وقاتلوا أهـل فلسطين الذين حرضهـم أحد أقارب يزيد ولم ينل كل منهما ظفرا ورأى مروان الثانى سوء تدبير يزيد الثانى فطمع الى الخلافـة وشد أهـل الجزيرة أزره وسار بهم الى دمشـق فقاتله يزيد ومات موتة عادية سـنة ٧٤٤ ميلادية فاراد أحد

اخوته ان يديم القتال ولم يجد نفعا فتولى مروان الخلافة والعباسيون اذ ذاك قد ضموا اليهم جميع الاحزاب التى كانت مخالفة لهم و بعثوا رجالا حذاقا جابوا بلاد خراسان ودعوها الى مبايعة محمدا بن حفيد العباس عم النبى (صلى الله عليه وسلم) فبايعوه حتى مات نخلفه ابنه ابراهيم وبلغ ذلك مروان فقبض على ابراهيم ابن محمد وقتله فنهض أبو العباس عبد الله أخو ابراهيم الى خراسان فبايعه أهلها بمرو بدل أخيه ثم سار فى موكب الى المسجد فتلا عليهم خطبة حافلة فقدم مروان الى خراسان بجيش هائل قاتل به أبا العباس على نهر الزاب ونزل حين القتال عن جواده ففزع الجواد وخاض وسط المقاتلين فظنوا ان مروان قتل فاختلت صفوف العساكر الشامية فهرب مروان واجتاز بسرعة جزيرة النهرين وفلسطين وسار الى الديار المصرية واعداؤه يقتفون أثره حتى قتلوه فى كنيسة قبطية وحملوا رأسه الى الكوفة فعرضت على من بها فعلموا انقراض العائلة الأموية وأصر أبو العباس على ان ينتقم من الاموية دفعة واحدة أخذا بثأر أخيه واراحة لعائلته مما كابدوه من المشاق فاغمد الخناجر فى بطون آلاف من الاموية وخدع منهم بدمشق تسعين أميرا عمل لهم ضيافة الصلح وأكمن لهم عساكر طرقوا رؤسهم على حين غفلة بدبابيس فوضعت عليهم ألواح فرشت فوقها بسط جلس عليها أبو العباس الملقب من ذلك بالسفاح مع جميع أمراء جيشه يأكلون طعاما وتحتهم من يكابد خروج الروح من بنى أمية الذين قصد السفاح استئصالهم ونجا منهم عبد الرحمن الاموى فجدد خلافة بالاندلس وكان المؤسس لدعوة العباسية أبا مسلم الخراسانى الذى ولى اقليم خراسان فنصب على قصره بمدينة مرو علما أسود مخالفا للأموية ذوى العلم الأبيض اشارة الى حزب العباسية فقامت الحروب الداخلية على ساق

﴿المبحث الرابع﴾

﴿فى خبر أبى العباس السفاح والمنصور وانشاء بغداد﴾

لما قام الخراسانيون والعراقيون بنصرة العباسية لم يتوطنوا الشأم بل توطنوا

بابل المعروفة بالعراق واتخذ السفاح الانبار دار خلافته حتى مات سنة ٧٥٤ ميلادية فخلفه أخوه المنصور وأراد الاقامة بالكوفة ثم أبى لميل أهلها الى ذرية فاطمة الزهراء فوضع أساس بغداد سنة ٧٦٢ ميلادية على شاطئ الدجلة بقرب سلجوقية العتيقة حول هضبة كان ينصب عليها العلم العباسي وحصنها بسور عليه مائة وثلاثة وستون برجا واستحسن المشرقيون استبدال دمشق ببغداد لقربهم بخلاف المغربيين كأهل اسبانيا والمغرب فلم يستحسنوا ذلك لبعدهم ولبثوا يدفعون الجزية منتظرين فرصة الاستقلال الذى لم يكن أضرمنه على عظمة الاسلام ثم تحصلوا على ذلك بلا اراقة دماء لرضا المشرقيين بذلك على ما يظهر ثم انضم الاسبانيون الى عبد الرحمن الاموى سنة خمس وخمسين وسبعمائة ميلادية ورضى أهل المغرب فعل حاكمهم عبد الرحمن بن حبيب منفصلين عن خلافتى المنصور ببغداد وعبد الرحمن الاموى بقرطبة ومنقسمين الى قبائل على كل منها رئيس مخصوص وبذلك كان بين المملكة الاسلامية الشرقية والاقاليم الغربية انفصال ولذا وجب علينا ان نقسم تاريخ العرب الى قسمين باحدهما حوادث الخلافة المشرقية والايالة المصرية وبالآخر أخبار عرب آسيا وافريقية الحقيقية

الباب الثانى

في رفعة وانحطاط جاه العباسية واجتهادهم في جمع قوتهم بمركز واحد
من سنة ٧٥٣ الى سنة ٨٤٦ الموافقة سنة سبع وثلاثين ومائة
الى سنة اثنتين وثلاثين ومائتين هجرية
وفيه ثمانية مباحث

المبحث الاول

في عظمة العباسية وسيرة هرون وابنه المأمون

تولى السفاح أول العباسية الخلافة وخلفه أخوه أبو جعفر الذى قاتل وهو

شاب مع أعيان عائلته فلقب بالمنصور ثم ولى الخلافة وحكام الاقاليم على عادتهم من تصرفهم كيف شاؤا فى القوة العسكرية وخزينة المملكة فانهم كانوا يصرفون خزائن الخراج فى لوازم الاقاليم ومصالحها ثم يرسلون مازاد عن ذلك الى الخليفة فابطل ذلك وجعل من أصول حكومته استبدال العمال بغيرهم حينا بعد حين وعزل ذوى العشائر عن القيام بتدبير المصالح ولم يكترث بصداقة الناس بل أضاع كل من خشى طمعه فى الخلافة ولو خدمه سابقا كالامير عبد الله وأبى مسلم الخراسانى المدمرين لبنى أمية فانقاد اليه الناس واحترموه كما شاء وحصل من الأموال نحو سبعمائة وخمسين مليون فرنك

خلفه الهادى والمهتدى اللذان بالغ المؤرخون فى حسن سيرتهما وسيرهما وأعقبهما هرون فما ذكر محاسنهما بما جبل عليه من الشجاعة والكرم وعلو النفس واتباع الحق والرجوع اليه حيث أخطأ وتدبير مصالح الامة ومحبة الوقوف على أحوالهم وأمانيهم لتوصيلها اليهم أضاء فى زمنه نجم البرامكة الذين هم من الفرس وحرضوه على احياء الفنون والتجارات والصنائع ثم وشى بهم اليه فقتل أعظم وزرائه الفضل وجعفرا البرمكى كسائر العائلة التى مكث نجمها ظاهرا نحو قرن ومع اتصافه بشريف الخصال الذى أبقى له الذكر بالبلاد المشرقية خلفه ابنه الامين خاليا عن فضيله ما من فضائله فنفر الناس عنه ورأوا ما لاخيه المأمون فى حكمه بخراسان من العدل وحسن السياسة فاقبلوا عليه وتولى الخلافة سنة ٨١٣ ميلادية ورأى التعلم سبيل النجاة من المخاوف فلم يرتض ان يكون تقدم الفنون منوطا بسخاء الخليفة بل قرر لها أموالا ووقف عليها أوقافا دائمة فتحت بها مدارس فى جميع جهات المملكة وأحضر لديه كثيرا من علماء اليونان والفرس والقبط والكلدانيين وأباح لهم الاستخدام فى الوظائف الاميرية ومحا بذلك ما اعتيد من ابعاد الاجانب كالمعتزلة عن مجالس المؤمنين ثم عاد الناس الى ذلك زمن المتوكل فاثار اذ ذاك علماء الاسلام ببغداد الغارات على ما نشأ بخراسان من مذهب الزنادقة المؤلف من عقائد مجوسية واسلامية وكان الهادى قتل

كثيرا

كثيرا من أهل هذا المذهب الذى اتهم به المامون فاخذ يشدد العقوبة على المعتزلة لتسكن اعداؤه عنه

و بالجملة المأمون وان كان أقل شهرة من والده هرون الا انه أعلى منه رتبة بمعارفه وعلو تربيته غير انه جارى طاهرا على حسن خدمته باعطائه خراسان و راثة تخلفه ذريته وتعدوا منكرين نعمة بنى العباس على أبيهم فكان ذلك أول تمزيق لشمل الخلافة المشرقية فان ذلك بعث حكام الاقاليم الاخرى على ان يماثلوهم فى الاستقلال بكل حيلة و وسيلة

خلفه المعتصم سنة ٨٣٣ ميلادية فكان محسنا كريم النفس غير أنه اتخذ من غلمان الترك حرسا جددوا بعد فى الدواوين افراطات وخلفه الواثق سنة ٨٤٢ ميلادية وكان شجاعا محاميا عن الفنون يحرض الناس على الصنائع ويحب الخير لسائرهم اهتدى بعقله الى القول بازلية القرآن التى أقام أحمد بن نصر الحجة عليها ولم تكدر خلافته الا مشاجرات فى العقائد الدينية

و بالجملة قد استعمل صدر الخلفاء العباسية شوكتهم فى تذكية عقول العرب وتنمية معيشتهم فقد أحدثوا كثيرا من المكاتب والمدارس التعليمية والمحال الاحسانية وأنشؤا مدائن بجوار بغداد وطرقا وخانات واسواقا وخلجانا وفساقى مياه وحضوا على اكتساب التجارة وسائر الفنون حافظين الامم المجاورة لممالكهم من الاضطرابات التى كانت زمن التعصب الاسلامى

حاصروا سنة احدى وسبعين وسبعمائة ميلادية مدينة دوريلة باقليم فريجيا فهزمهم اليونان وطردوهم فى السنة التالية عما ملكوه باقليم سليسيا من المدن اليونانية فقابلهم المنصور بجيوش أخذوا مدينة مليتينة باقليم قبادوقة وخربوا جميع بلاد سليسيا وهزموا جيوش اليونان على نهر ميلاس فى اقليم بغفليا ثم سقاهم المهدى مصائب وهزائم أخرى من سنة خمس وسبعين وسبعمائة الى سنة خمس وثمانين وسبعمائة ميلاديه وبعث ابنه هرون بجنود ظهروا أمام

القسطنطينية وبها الملكة ارينة Irène وصية قسطنطين قبر ونيم أيست من نجاة المدينة فرضيت برجوع مدائن سليسيا الى الخلفاء ودفعها كل سنة ستين ألف دينار جزية ورجع الرشيد بغنائم عظيمة وأكثر من ستة آلاف أسير ثم ولى الخلافة وأرادت ارينة قتاله سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة ميلاديه فارسل جيوشا الى أقاليم اناضول وبعث سفنا لتخريب جزائر اليونان التى فى البحر الابيض المتوسط فاخذوا هذا البحر وخربوا ارخبيل جزائر اليونان وأقاليم فريجيه وبيتينية وليديه وأعدموا السفن البحرية من خليج سطالية فرضيت الملكة بدفع الجزية وفادت أسراها باسرى المسلمين على شاطئ نهير باقليم سليسيا ثم خلفها فى المملكة (نيسيفور Nicéphore) فعزم على محاربة العرب وبعث الى هرون كتابا يدل على تكبره فاجابه بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من هرون الرشيد أمير المؤمنين الى الملك نيسيفور كلب الروم قرأت كتابك ياابن الكافر والجواب ماترى لاماتسمع فانقاد لدفع الجزية المقررة ونصر عليه هرون فى عدة محاربات خرب فيها بلاد اليون وأحرق هرقلة ونهب سواحل أقاليم بعفيليه وميزية وليدية وأشرف على أخذ جزيرة ردس فدافعه سكان قاعدتها

ولما ولى المأمون الخلافة استدعى من القسطنطينية عالما يسمى (ليون Léon) فابى (توفيل Théophile) ملك القسطنطينية فكان بينهما سنة ٨٢٥ ميلاديه حرب نصر فيها توفيل وطمع فى اعادة ماأخذه المسلمون من بلاد القسطنطينية فصمم سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ميلاديه على حرب العرب وحارب المعتصم زمنا طويلا وأخذ سنة ست وثلاثين وثمانمائة مدينة سوزوبترا مسقط رأس المعتصم فهدم مبانيها وذبح جميع رجالها واسترق نساءها وأطفالها فخلف المعتصم لينتقمن منه وسار بجيش هائل أخذ به مدينة عمورية سنة أربعين وثمانمائة ميلاديه وفعل باهلها مافعله توفيل بأهل سوزوبترا ومكث الى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ميلادية يحارب اليونان ويجول فى دولتهم فيحكم على المدن باداء الجزية

خلفه

خلفه الواثق فكان لليونان معه من هذه السنة الى سنة ست وأربعين وثمانمائة محاربات استنقذوا فيها ماأخذه هرون الرشيد من المدن فى أقاليم سليسيا وقد قفلت العرب بوغازات جبل قوقاز سنة سبع وثمانين وثمانمائة لمنع الأتراك الخزر الذين أغاروا زمن هرون على بلاد أرمينية فأخذوا منها مائة ألف أسير

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى اهتمام العباسية بنشر التمدن فى الممالك المشرقية﴾

لم تهتم العباسية بممالكها المغربية وهى أفريقية وآسيا وتركوا من بشمال أفريقية يدبرون أحوالهم كما شاؤا بل أطلقوا للعائلة الاغلبية التصرف فى أفريقية مكتفين بذكر أسمائهم فى خطبة الجمعة وقبل ذلك ابراهيم بن الاغلب من هرون الرشيد فاستولى جميع بلاد المغرب وكأنهم لم يلتفتوا الى اسبانيا مؤملين رجوعها اليهم لما فيها من الفتن ولذا ربط الرشيد علائق المودة مع شرلمانيه (Charlmagne) ملك الفرنسيس وأخذ كل منهما يهادى الآخر ولم ينتقم المامون من لصوص اندلسين أتوا بسفنهم فنهبوا سواحل الايالة المصرية سنة عشرين وثمانمائة ميلادية واحرقوا الاسكندرية وذبحوا كثيرا من أهلها وبالجملة لم تلتفت العباسية الى خلفاء الاموية بقرطبة لاشتغالهم بتدبير النظام وانشاء المحاكم الشرعية وربط العلائق التجارية بين الاقاليم المختلفة ونشر سائر العلوم والصنائع حين رأوا ميلا الى ذلك من عرب الممالك الشرقية الذين أخذوا يعرفون التمدن وفوائده

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى شكل الحكومة العباسية وايرادها﴾

كان للعباسية ديوانان ديوان وارد وصادر أموال المملكة وديوان النظر فى مصالح الرعية وأحكام الدولة بصدق على الاحكام الصادرة من الخلفاء ثم استبدلوا الاول بأربعة دواوين لمرتبات العسكر والخراج وتولية أرباب الوظائف الصغار ومقابلة

الحساب وتعديله ثم اتخذوا حاجبا يدخل سفراء الملوك الى الخليفة ويحكم فى القضايا المهمة عند رفعها الى الخلفاء ليريحهم من النظر فيها واتخذوا وزيرا ينظر فى القضايا قبل تنهم الحكم فيها ثم جددوا خراجا على أراضى المسلمين وكذا اليهود والنصارى مع جزية مقدارها من الغنى ثمانية وأربعون درهما والمتوسط أربعة وعشرون والفقير اثنا عشر سوى مايرد من عوائد الجمارك واستخراج المعادن واجارة أراضى وارث من لاوارث له وغير ذلك

بلغ وارد المملكة سنة فى زمن الرشيد أربعة ملايين وأربعمائة وعشرين الف دينار ومائتين واثنين وسبعين مليونا وثلثمائة وخمسة آلاف وثمانمائة درهم والدينار اذذاك يساوى مثقالا أواثنى عشر فرنكا الى ثلاثة عشر والدرهم يساوى ستة دوانق وكل ستة دراهم تساوى سبعة مثاقيل

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى الاعمال العامة والادارة زمن العباسية ﴾

لما كانت عليه مالية العباسية من حسن الانتظام شرعوا فى أعمال مهمة فرتبوا ببغداد ديوان ضبط يمنع عدوان بعض الناس على بعض ويحفظ الاملاك لأربابها ونظموا عساسين يطوفون ليلا لمنع الشر ورأوا عرب البادية عادوا بعد انقطاع الحروب الى العيشة فى البيداء مع النهب والسلب فرتبوا لقافلة الحج أميرا يحفظها

ورتبوا أوقافا لاحياء المساجد والمدارس وبنى الهادى فى الدرب الممتد من بغداد الى مكة خانات وصهاريج تلجأ اليها الحجاج والقوافل من الحر والعطش ورتب بين الحجاز واليمن من الخيل والجمال بريدا يوصل الاخبار اليها كما رتب معاوية بن أبى سفيان بين بنادر المملكة العربية سعاة لذلك

وابتكر المهدى تولية محتسب يؤتمن على الضبط والربط البلدى يطوف بالاسواق حينا بعد حين بجنود ينفذ بهم أوامر ديوان الضبطية ويحقق أوزان ومكاييل البياعين فان وجد مخالفا أدبه فورا أمام حانوته وقد جمعت العباسية مابغداد

من

من الدفاتر المشتملة على أوامر أسلافهم ليرجعوا اليها وبالجملة قد أبدوا أولا الحمية فى الحروب ثم عدلوا عنها الى تحقيق العز والرفاهية لملكهم حيث أخذوا يحرضون الناس على استعمال أذهانهم فى الامور النافعة حتى وصلوا سريعا الى درجة علية فى التمدن وتقدموا على اليونان فى التجارة والصنائع والفنون الادبية وغيرها التى ظن اليونان أن لامسابق لهم فيها

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى الفلاحة والصنائع زمن العباسية﴾

استخرجت العباسية معادن الحديد فى خراسان والرصاص فى كرمان ونسجوا الاقمشة فى مدائن العراق والشام لاسيما الموصل وحلب ودمشق واستخرجوا القار والنفط وطينة الاوانى الصينية ورخام طوربس والملح الاندرانى والكبريت وأظهروا فى الفنون الميكانيكية تقدمات يشهد بها مابعثه الرشيد الى شرلمانيه ملك الفرنسيس من الساعة الكبيرة الدقاقة التى تعجب منها أهل ديوانه ولم يمكنهم معرفة كيفية تركيب عدتها ومع ذلك لم يكن فى عصر العباسية أهم من صناعة الفلاحة التى بمهارتهم فيها أظهروا مزايا فواكه الفرس وأزهار اقليم مازندران

﴿المبحث السادس﴾

﴿فى الفنون الادبية والصناعية زمن العباسية﴾

كان فنا النقش والحفر متقدمين لدى العرب الجاهلية الصانعين التصاوير الانسانية والتماثيل الالهية حتى جاء القرآن الكريم بمنعهما فوقفا عن التقدم حتى اشتغل بهما العباسية فى غير تلك التصاوير فتقدموا فيهما كفنى الموسيقى والعمارة فقد بنوا مبانى فاخرة ببغداد والبصرة والموصل والرقة وسمرقند وشغفوا مع ذلك بالعلوم الادبية فاحضروا من القسطنطينية أحسن الكتب اليونانية وترجموها الى العربية وفتحوا ببغداد مدرسة ألسن لتربية المترجمين

تحت نظارة طبيب نسطورى ورتبوا خمسة عشر ألف دينار لمدرسة يتعلم بها مجانا ستة آلاف تلميذ من الفقراء والاغنياء وأنشؤا كتبخانات رخصوا الدخول فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية فى سائر جهات آسياحتى تكلموا بها بدلا عن لغتهم واعتاد المأمون ومن اقتدى به بعده حضور الدروس العامة التى يلقيها المدرسون وأطلعوا شموس العلوم الرياضية وبنوا أرصادا بها آلات عجيبة للاستكشاف الفلكى ومستشفيات يمتحن فيها من أراد أن يوظف عدة امتحانات ومعامل كيماوية لاستكشاف النباتات الا أنهم وقعوا فى ضلالات بتصديقهم بظنونات التنجيم وبالمسائل النظرية المتعلقة بعلم كيمياء الفضة والذهب المسماة بالصنعة الالهية وعلم جابر لكنها ساعدتهم على التقدم فى علوم مكتسبة بالمشاهدة

ومكثت المدرسة البغدادية على رونقها الباهر نحو مائتى سنة تقريبا فكان العباسيون فى ذلك أسعد حظا من شرلمانيه الذى أراد أن ينقذ مملكته من الخشونة والجهالة بتنوير عقولهم باعلم من فى عصره من الفرنج فان ذلك عدم بعد هلاكه

﴿المبحث السابع﴾

﴿فى فخامة العباسية﴾

لاستحواذ العباسيين على أموال كثيرة مع عدم جيوش دائمة ينفقون عليها أبدوا من الزينة والزخرفة أعجب المناظر ومضوا مضا وافرة وعملوا أعمالا فاخرة نثروا الذهب فى قصورهم وبساتينهم ومساجدهم وأنفق المهدى فى حجه ستة ملايين من الدنانير وصرفت زبيدة زوجة الرشيد مليونا وسبعمائة ألف دينار على حفر مجرى يوصل الى مكة المياه من الجبال المجاورة لها وكان لباسها من الديباج المبطن بالسمور أو الاقمشة المنسوجة بخيطان الفضة ونعالها مزركشة باللآلى الثمينة وفرق المأمون فى يوم أربعمائة ألف دينار ونصب فى مجلسه عند قدوم

سفير

سفير اليونان شجرة ذهب حاملة لؤلؤا على هيئـة الثمار ورتب مقترعا به سهام أكثر من مائتى شخص يأخذ كل منهـم سهمه فيجـد به أرضا جسيمة مع مايلزم لزراعتها من العبيد ويقال كان بقصره ثمانية وثلاثون ألف بساط منها اثنا عشر ألفا وخمسمائة مزركشة بالذهب وبه أيضا سبعة آلاف خصى منها ثلاثة آلاف من الزنج وسبعمائة خفير وعساكر تحمى الحواشى الخارجة عنه ووضع المعتصم أساس سامرا قرب بغداد على أرض أعلاها بعصاريف هائلة وبنى بها اصطبلات تسع على ماقيل مائة ألف جواد ولما بلغه العباسية من الفخامة وقوة الشوكة بعث شرلمانيه الى هرون هدايا ليحمى النصارى الذاهبين الى بيت المقـدس فاجابه الى ماطاب وبعث له أقمشة نفيسة وعطرا وخشباذكيا وفيلا وخيمة عظيمة على هيئة خيام العرب ثم بعث الساعة الدقاقة السالفة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى مبادى انحطاط العباسية﴾

لما لم يكن قانون قاض بتوارث الخلافة هم عبد الله عم المنصور بتولى الخلافة عنـد موت السفاح وعهد المهدى بها الى ابنه الاكبر وهو الهادى ثم عهد بها للرشيد وحاول تقدمه على أخيـه الاكبر الذى عهد اليه أولا فلم يمكنه ووليها الرشيد حتى مات فتنازعها ولداه الامين والمأمون مع تجديد العلوية دعوى الخلافة فى عهد الهادى والرشيد حتى كان هذا التنازع الذى أراد المأمون قطعه بصرف الخلافة الى العـلوية الذين لم يهملوا اذ ذاك شيأ من أنواع الفشل والاختلاف فتحزب من العلوية ثلاثة وثلاثون ألف رجل جبروه على العدول عن ذلك وقد مال الى المعتزلة وأراد العدول عن القرآن الى قوانين يرى منا سبتها للاطوار والاحوال وتبعه فى ذلك المعتصم والواثق وقام أهل السـنة وانتصروا عليهم فاخذت الدولة فى الانحطاط حتى تنقلت المماليك الترك فى المناصب وتولوا المملكة مع عدم فطانتهم وغلظ طباعهم فنظروا للرعايا بعين الاحتقار واشتغلوا بما يخصهم حتى بلغ عدم الحكم وسوء النظام الغاية القصوى

الباب الثالث

من المقالة الرابعة

فى طلب الامم الاستقلال عن العباسية وانحطاط حكمهم
وتأسيس الدولة الفاطمية من سنة ٨٤٦ الى سنة ١٠٥٥ ميلادية
الموافقة سنة ٢٣٢ الى سنة ٤٤٧ هجرية
وفيه تسعة مباحث

المبحث الاول

فى الاضطرابات الداخلية وعجز المتوكل وخلفائه عن قمع مفاسد العساكر التركية

كان أهل الصين يغيرون من جهة الشرق على الترك فيبددون شملهم ثم يغيرون على حدود المملكة العربية كاقليم ماوراء النهر وخوارزم فيفتك بهم حكام تلك الاقاليم ويأسرون منهم رجالا من الترك فيبعثون بهم الى بغداد فقربهم المعتصم واتخذهم عسكرا وخفراء عليه تحت نظر ضباط منهم مريدا بذلك تعظيم شوكته فكان أول مفتوك به فانهم أخذوا يفسدون حتى ترك لهم بغداد وسكن سامرا وازداد عددهم وفسادهم زمن الواثق الذى كانت المملكة من ابتداء خلافته فوضى لارئيس لها حتى مات فاجلس هؤلاء فى دست الخلافة المتوكل أكبر الظلمة من الخلفاء لشدة قسوته وتجاوزه الحد أساءه وزير فأحرقه حيا فى وجاق نار مملوء قطع حديد وأطلق بقصره أنواع الحيوان المفترس على من أراد الفتك به وخشى أن يتحزب عليه ضباط ديوانه فدعاهم الى طعام وأحضر لهم من ذبحوهم جميعا ففزعت منه القلوب وطلب الترك منه عطاء منعه فاعانوا ولده المستنصر على قتله وولوه الخلافة وألزموه أن يعهد بالخلافة للمستعين و يحرم اخوته منها لئلا يغدروا بهم ثم مات فى سنته ندما على قتل والده فقدموا حفيد المعتصم وهو المستعين بالله سنة ٢٤٨ هجرية على اخوته الاربعة الذين ولى منهم الخلافة بعد ذلك المعتز والمعتمد ثم انقسموا حزبين بين المستعين والمعتز الذى كان معه

حزب

حزب العرب الذين ولوه الخلافة سنة ٢٥٢ هجرية فاخرمرتبهم عن زمن الصرف المعتاد فالزموه نخلعها سنة خمس وخمسين ومائتين على المهتدى بن الواثق الذى أراد الضغط عليهم فقتلوه فى قصره سنة ست وخمسين ومائتين التى تولى فيها المعتمد الخلافة الى سنة تسع وسبعين ومائتين والفضل فى تلك السنين لاخيه الموفق حيث بذل روحه ولم يبق شيأ من عزائم أهل الفتن وصرف عقول العساكر التركية عن اضرام نيران الفتن فى القطر باستعمالهم فى حروب بعيدة عن المملكة

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى استقلال عائلات ملوكية عن الخلفاء فى الاقاليم الشرقية ﴾
﴿ من آسيا وهى الطاهرية والصفرية والسمانية وغيرها ﴾

لما اضطربت الحكومة البغدادية أخذ حكام الاقاليم يضيعون احترامها ويتأسفون على مايؤدونه من الخراج ويطمعون عند عزل خليفة فى الاستقلال فلا يدخلون تحت طاعة المتولى الا بشروط يأخذونها عليه ولم يزالوا كذلك حتى قويت شوكتهم فكان لهم من الخلافة مسماها وللخلفاء اسمها

ثم ظهر بالاستقلال عن الحكومة البغدادية العائلات الطاهرية والعلوية والصفرية والسمانية وغيرها فيما بين سنة أربع عشرة وثمانمائة وسنة خمس وخمسين وألف ميلادية الذى ظهر فيه بالمملكة الفرنساوية عائلات استقلت بالحكم فى ايالات عظيمة

وأول الطاهرية ابراهيم بن الاغلب الذى ولاه الرشيد الاقاليم المغربية لئلا تضيع من يده بالكلية وخلفه من بعده حتى تولاها الامير الرابع طاهر الذى قاد جيوش المأمون وبذل النصح فى خدمته فكافأه باعطائه اقليم خراسان وراثة سنة أربع عشرة وثمانمائة ميلادية مع ذكر اسم الخليفة العباسى فى الخطبة فساس طاهر الرعية حتى جنحت اليه وأفردت اسمه بالذكر فى الخطبة وخلفه الامير محمد سنة اثنتين وستين وثمانمائة ميلادية

وتملك من العلوية السيد حسن بن زيد الديلم وجرجان وطبرستان المجاورة لبحر

جرجان واستقل بالحكم سنة أربع وستين وثمانمائة ميلادية

واشتغل من الصفرية يعقوب بن ليث بصناعة الصفر وهو النحاس مدة ثم التحق بالعسكر ونجح فى معرفة فن العسكرية ثم دخل سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة ميلادية فى خراسان بجيش هائل فتح اقليم سجستان وقطع دابر الطاهرية هذه السنة وسلب من العلوية اقليم طبرستان وأخذ يقيم تارة بمرو وأخرى بنيسابور وأراد الفتك ببغداد سنة أربع وسبعين وثمانمائة ميلادية فتقدم اليه الموفق بالله وهزمه قرب مدينة واسط فرجع الى ممالكه وأخذ فى السنة التالية يهدد الموفق باعدام الدولة ثم مات سنة تسع وسبعين وثمانمائة ميلادية فخلفه أخوه عمر فبايع المعتمد هذه السنة على تملكه لما تحت حكمه

وولى المأمون سنة اثنتى عشرة وثمانمائة ميلادية على سمرقند وفرغانة وبلخ أولاد أسد الذى هو ابن جال يسمى سمعان أو سمان منهم أحمد الذى خلفه فى الشوكة ولده الاكبر ناصر الذى باستيلائه على بخارى تم له ملك ماوراء النهر فاخذ يدافع عنه الاتراك والصفرية حتى استعان بأعدائه أخوه اسمعيل سنة ثمان وثمانين وثمانمائة ميلادية وهجم عليه تأسره ثم أبقاه على مملكته مع التعظيم اللائق بمنصبه اظهارا لعظمة خلقه وطبعه حتى مات الناصر سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ميلادية فقام هو بالمملكة وطرد التركمان خلف سيحون وأسس العائلة السمعانية أو السمانية وأظهر الاستقلال بالحكم على اقليمى خوارزم وما وراء النهر

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى عصيان العباسية فى الاقاليم الغربية والايالة المصرية﴾
﴿وذكر عائلتى الزنجيين والطولونيين﴾

جمع رجل من أهل الغارات زنجيين من زنجبار ملك بهم البصرة ومعظم العراق العربى وبعض اقليمى اهواز وخوزستان وما زال يقاوم دهمات العرب زمن خلافة المعتز والمعتضد حتى استخلف المعتمد على الله فسار أخوه الموفق بجيوش أخذ بها من الزنجيين البصرة والعراق العربى والاقاليم الفارسية سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة ميلادية وتولى اذذاك الديار المصرية والشامية أحمد بن طولون

أحد

أحد الترك العتق المرتبين بدواوين الخلفاء كان محبا للعلوم كريما بارا برعيتـه وسع الفسطاط وبنى مسجده الموجود الآن (سنة ثمان وثلاثمائة وألف) فى أواخر الصليبة وأظهر الاستقلال عن الحكومة العباسية بمنع الخراج سنة سبع وسبعين وثمانمائة ميلادية

ولاشتغال الموفق بحرب الزنجيين أغرى أمراء الشام على عصيان ابن طولون الذى نجا منه حتى مات سنة أربع وثمانين وثمانمائة ميلادية فخلفه ابنه خمارويه واعترف بسلطنته أهل دمشق فاتخذها دار اقامة ونصر على أعدائه المتحزبين على عزله سنة تسع وثمانين وثمانمائة ميلادية بنى بالفسطاط حوشا واسعا به جميع أصناف الحيوان العجيبة لكل منها مسكن وحوض ماء من رخام شغف بالخيل والصيد وزخرفة القصور ووضع سريره ببركة ملأها زئبقا يهتز به اهتزازا لطيفا لينام مات قتيلا فزال عز هذه العائلة

المبحث الرابع

فى نصرات العباسية آخر القرن التاسع وأول العاشر

لما نشأ بالمشرق ممالك الصفرية والسمانية والطولونية بقى للعباسيين بحيث جزيرة العرب وبلاد جزيرة النهرين والعراق العجمى والعربى وأذربيجان وارمنستان والاقاليم التى على بحرى جرجان والهند

وولى المعتضد الخلافة سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ميلادية فانقاد له خمارويه ابن أحمد بن طولون على ان يوليه مصر والشام ويأخذ منه كل سنة مليونا من الدنانير ثم مات خمارويه فقامت الحرب بين ولديه جيش وهرون فالزم المعتضد سنة تسع وتسعين وثمانمائة ميلادية من انتصر منهما أن يزيد فى المرتب أربعمائة وثمانين الف دينار وطرد من الجزيرة عربا وكردا رحلوا عن صحارى الشام مريدين الاستيلاء على الموصل وقمع الامير همدان الذى أعلن فى هذه الجزيرة بالاستقلال وخلفه المقتفى سنة اثنتين وتسعمائة فدهم هرون بن خمارويه برا وبحرا بجيوش انقاد لهم جميع أمراء هرون بلا حرب سنة خمس وتسعمائة ميلادية وأوقد

بين الصفرية والسمانية حروبا نصر فيها السمانية وضموا الى ماوراء النهر أقاليم خراسان وطبرستان وسجستان و بعثوا الى بغداد آخر ملوك الصفرية وبالجملة لم يحصل فى المملكة من سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ميلادية تمزيق حتى ولى المقتدر الخلافة سنة ثمان وتسعمائة ميلادية فتحزب عليه أحزاب قاموا عليه مرات فضعفت شوكته فى سائر نواحى المملكة التى أخذت من سنة ثلاث عشرة وتسعمائة ميلادية فى الاستقلال واستمر التمزيق فيها حتى زالت الحكومة البغدادية سنة خمس وأربعين وتسعمائة ميلادية زوالا كليا

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى اقتصار العباسية على الرياسة الدينية بعد ان كانت﴾
﴿لهم الرياستان وفى اختراع منصب أمير الامراء﴾
﴿وتأسيس شوكة البويهيين﴾

مازال الخلفاء يبعثون أميرا يحكم بمصر والشأم حتى بعثوا مملوكا تركمانيا يدعى أبا بكر محمدا الاخشيد علم أن سيغضب عليه الخليفة ويعزله عن منصبه فألف أحزابا عصى بهم الخلافة لضعف شوكتها واستقل بالحكم سنة ست وثلاثين وتسعمائة ميلادية وخلفه فى الاستقلال بحكم مصر والشام أبو القاسم محمود ثم أبو الحسن على ثم كافور فابو الفوارس وقد نصب بالجزيرة رجل من ذرية الامير همدان راية الاستقلال زمن المعتضد سنة ثلاثين وتسعمائة ميلادية وأخذ عدة مدن بهذه الجزيرة وجال برجاله فيما جاوره حتى فى الشمال الشرقى من بر الشام سنة سبع وثلاثين وتسعمائة ميلادية واتخذ مدينة الموصل تخت مملكته التى خلفه فيها ناصر الدولة المتوسط فى تسكين الفتن البغدادية وسيف الدولة المظهر فى حربه مع اليونان الشجاعة والشهامة وأخذت هذه العائلة الهمدانية تنازع العائلة الاخشيدية فى حكم الشام ودخلوا مرات دمشق وملكوا حلب واستقل بالحكم حزبا الرائقية والباريدية وتنازعا سنة أربعين وتسعمائة ميلادية

فى الاستيلاء على مدينتى البصرة و واسط واقليم الاهواز وكذلك استقل ارمنستان وجرجستان وسارتا حكومتين وأشهر السلاح رئيس من أعيان اقليم جيلان يسمى مرداويج بن بويه فاخذ على بحر جرجان اقاليم مازندران وجيلان وشروان وجرجان وأخذ ايالة طبرستان من السمانية ومعظم اقليم اذربيجان فكان مؤسسا للعائلة البويهية الا انه لم ينل نخارا حيث نازعه اخوته الثلاثة الذين كانوا فى جيشه زاعمين انهم من نسل الاكاسرة بنى ساسان مع ان أباهم بويه كان صياد سمك فقيرا ضموا الى ممالك مرداويج اقاليم كرمان ومكران والعراق العجمى وسورستان وخوزستان من سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة الى سنة أربعين وتسعمائة ميلادية وأحيطت بغداد بالولايات المستقلة من ابتداء هذا الزمن الذى استمر فيه القتل فى القواد والوزراء والملوك المستقلين بالحكم وكذا الخلفاء فقد قتل من التسعة والخمسين خليفة ثمانية وثلاثون وعذبوا بالجوع أوادمان السجن أو الرمى فى وعاء كبير مملوء ثلجا ولذا خرج القاهر من السجن مفقوء العينين عليه ثياب بالية يسأل الناس على أبواب المساجد وتغلب على الراضى ضابط العساكر التركمانية وتصرفوا كما شاؤا فى سائر فروع المملكة فاخترع منصب امارة الامراء واعطاه ابن رائق فتولى قيادة الجيوش وخزينة المملكة وسائر أمور الرعية وقرن اسمه باسم الخليفة فى الخطبة وما زال متصرفا بالمملكة حتى حنق منه جندى يسمى ياقم فحاصر بغداد وقبض على الراضى سنة أربعين وتسعمائة ميلادية وألزمه أن يوليه امارة الامراء فولاه وحكم حتى مات فى خلافة المتقى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ميلادية فتنازعها بنو رائق وبنو بريدة أصحاب واسط وبنو همدان أصحاب الموصل وتردد المتقى فيمن يوليه اياها واستحسن ان ينضم الى الاخشيديين ثم نصر رئيس التركمانية على هؤلاء فامر بقتل المتقى لتردده فى اعطاء الامارة وولى بدله المستكفى وحنق البغداديون من مفاسد التركمانية فاستغاثوا بالبويهيين المستقر

حكمهم اذذاك فى اقاليم مملكة الفرس القديمة فأتوا للاغاثة بجيوش فتح لهم أهل بغداد الابواب سنة خمس وأربعين وتسعمائة ميلادية وتقلد معز الدولة امارة الامراء وعزل الخليفة بآخركان باذلا نفسه فى نجاح مصلحة المعز أول الامراء البويهية المستمرين فى ذلك المنصب أكثر من مائة سنة واقتصر الخلفاء داخل قصورهم يسلون أنفسهم بمجالسة العلماء ثم مات الراضى آخر من اتخذ أرباب المعارف أخص جلسائه فأخذ البويهيون ينشرون العلوم ويوسعون علم الفلك والعلوم الرياضية وأحضروا من الاقاليم التى تحت حكمهم عساكر أسكنوا بها أحزابا تعصبوا عليهم واختصوا بالحكم وأما المطيع والطائع والقادر والقائم فجردوا عن الحكم ولم يكن عند كل منهم الا كاتب واحد ومع ذلك كان أغلب العائلات المتحكمة فى أقاليم آسيا يقلدون الحكومة من قبل هؤلاء الخلفاء لما عليه أهل السنة من أن العباسية أحق بالخلافة ولكن أهل الطمع تغلبوا على الحكم السياسى وتركوا لهم الحكم الدينى

﴿المبحث السادس﴾

﴿فى فرق الزيدية والاسماعيلية والكرمانية وغيرها﴾

ظهر زمن الأموية عدة فرق دينية تعبوا فى ازالتها كالخوارج والقدرية والأزارقة والصفرية وفى عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية الزاعمة ان الخلفاء يعبدون كعبادة الاله وتعتبر دورهم كعبة جديدة قاتلهم المنصور فقابلوه باعظم مايكون من الشجاعة والباس ليعبدوه قهرا عنه وظهرت أيضا فرقة الزيدية القائلة بحرمة أكل لحوم الحيوان وتملك الانسان شيأ لخاصة نفسه

وأسس بابك فى اقليم اذربيجان سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ميلادية فرقة الاسماعيلية المعتقدة مذهب الدهرية وقاومت عساكر المعتصم أربع سنين وملأت الكرمانية فى القرن العاشر من الميلاد بلاد العرب وأخذت من

العباسيين

العباسيين الاقاليم الشرقية من بحيث جزيرة العرب ولم يبقوا لهم فيها حكما دينيا ولادنيويا وكان كرمان منكرا للنبوة و وجود الله تعالى وعظ بابطال العبودية فتبعه كثيرون نصروه واغتنوا بالنهب والسلب فعكفوا على أعظم المفاسد ونهبوا الكوفة فى خلافه المعتضد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة وأغاروا فى خلافة المكتفى على فلسطين والشام وهددوا دمشق بالهجوم عليها وتعرضوا لنهب القوافل الذاهبة الى مكة وأوقفوا فى آن واحد تجارة العراق والحجاز واتخذوا مستقر مذهبهم صحارى الشام وكلدة واليمامة والبحرين وهجم بهم رئيسهم أبو طاهر على مكة فحاصروها قبل سنة ثلاثين وتسعمائة فاخذوها عنوة وذبحوا من أهلها أكثر من ألفين وهدموا الكعبة وأزالوا الحجر الاسود وردموا بئر زمزم ثم بعثوا الى مكة الحجر فأمر الخليفة بوضعه ثانيا وكسر منه قطعة وضعها على باب مسكنه فكان ذلك سببا فى الجثى على الركب حين دخول بيوت الملوك وفى قولهم الباب العالى للدلالة على مسكن الخليفة ثم أطلق على باب سلاطين القسطنطينية

وقد ظهرت شوكة هؤلاء الكرمانية حتى أخذوا الجزية من القاهر والراضى ثم هزمتهم الملوك الهمدانية والاخشيدية فذهبت شهرتهم شيأ فشيأ وظهر مع هؤلاء علماء مفتون وفلاسفة وصوفية أداموا توجه أرواحهم الى الله بواسطة اعدام جميع الشهوات انتشر مذهبهم خصوصا بين الفرس وانتصر فى الهندستان على مذهب البرهمانية الا أن شقاق الشيعة والسنية اضر بالتقدمات الدينية وعجز الخلفاء وأمراء الامراء أن يجمعوا الناس على عقيدة واحدة وفشت الاضطرابات الدينية وفرض بعض أهل البدع على نفسه سب معاوية كلما ذكر اسمه ورتب احتفالات لتعظيم على بن أبى طالب (كرم الله وجهه)

وتظاهر بعض آخر بالصداقة والتعصب لمذهب أهل السنة مريدا أن يتبع سائر الناس الاحاديث والمواعظ بغاية الدقة ولخوف العباسية من تسلط العلوية انضموا الى أهل السنة واضطهدوا من لم يشاركهم فى هذا الرأى

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى تجديد العلوية دعوى الخلافة وتأسيس الفاطمية ﴾
﴿ خلافتهم بالقاهرة وتحريضهم الناس على ممارسة ﴾
﴿ العلوم وسيرة الحاكم وأمة الدروز ﴾

لما لم تنل العلوية الخلافة بدل العباسية وجهوا فكرتهم الى انشاء حكومة فى الممالك المنفصلة عن المملكة العباسية فملك أحدهم طبرستان زمنا يسيرا وجمعت العائلة الادريسية فى اقليم موريتانيا أقواما على حب ابن أبى طالب وادعى الامامة أبو عبيد الله الفاطمى ونصره أهل المغرب على العائلة الاغلبية التى أزالها سنة ثمان وتسعمائة ميلادية ثم نفذت أحكامه بجميع سواحل البحر الابيض المتوسط وأسس شوكة الفاطمية بقيروان ومهدية وأخذ يهدد حكام الديار المصرية بالاستيلاء عليها فمات وخلفه ابنه القائم بامر الله من سنة ثلاث عشرة وتسعمائة الى سنة ست وأربعين وتسعمائة ميلادية التى خلفه فيها المنصور ضعفت قوتهما فى محاربة الاخشيد فاتخذوا بالحجاز واليمن أحبة كثيرة ببذل العطايا الجزيلة ثم مات المنصور سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة وخلفه المعز لدين الله ومات الاخشيد فكان فى حكم الديار المصرية والشامية تنازع اغتنم به المعز الفرصة حيث جال فى بلاد الاخشيد وانقادت له الامراء فكان أول خليفة فاطمى بالديار المصرية سنة ثمان وستين وتسعمائة ميلادية ثم أخذت الفاطمية تنازع العباسية فى أمور دينية وبنوا القاهرة سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة وفتحوا الشام وجزأ من الجزيرة واعترف بخلافتهم فى بحيث جزيرة العرب جزء عظيم أمل فيهم الانجاد على من يظهر فى بلادهم من الكرمانية واجتهدوا فى تقدمات التجارة والصنائع والفلاحة والعلوم وبنوا المساجد الفاخرة ورصد خانة لابن يونس مثل ما كان للفلكيين فى المملكة العباسية وحسنوا ادارة الخراج وكيفية تحصيله وساوى وارد المملكة السنوى وارد المملكة

العباسية

العباسية زمن الرشيد وذكرت اسماؤهم مع اسم على بن أبى طالب فى سائر خطب مملكتهم التى كانت هى ومملكتا البويهيين والسمانيين جميع مملكة العرب الشرقية فى غاية القرن العاشر من الميلاد

وذهب ملك البويهية فانتقل التمدن الى القاهرة وفاقت مدارسها رونقا على المدارس البغدادية لاجتهاد الفاطمية فى التقدمات العلمية كغيرها الا أن الحاكم ظهر على سرير الخلافة سنة ست وتسعين وتسعمائة ميلادية ظهور ابليس فأخذ يعاقب رعاياه بغاية الفظاعة ويمشى وراءه مماليك بأسلحة لذبح كل من يكدره ولو بأدنى شئ ويرمى من قصره ورقات فى كل منها أمر بتقديمها الى أمير معين يذهب اليه من وقعت فى يده فيعامله ذلك الامير بما فيها من اعطائه دراهم كثيرة أو عقابه بأشنع الاساآت وأخذ يعذب اليهود والنصارى حتى يسلموا فيأذن لهم فى العود الى ما كانوا عليه رتب أعينا يخبرونه بكل حادثة ولو واهية فزعم بعض الناس انه يرى و يعلم كل شئ فعبدوه كعبادة الاله وأخذ يحضر أى مجلس على حين غفلة مختفيا فقويت دعواه الالوهية عند عباده حتى نادوا عند غيبته عنهم انه صعد حيا الى السماء وسيعود

أخبر حمزة الفارسى ابن عبد الهادى بن على الترزى ان الله تعالى ظهر بالصورة البشرية فيما مضى عدة مرات وظهر الآن فى صورة الحاكم بامر الله فغضب عليه أهل القاهرة وطردوه ففر الى الشام وأخذ ينشر مذهبه الذى سماه دين الوحدانية لدى الاقوام المسمون بالدروز وكان الحاكم مع ذلك يحترم العلماء و يشوقهم باحسانه الى احياء العلوم أهدى اليه ابن يونس أزياجا نسبت اليه وقد قتلته أخته وولت بدله ابنه الظاهر وهو طفل سنة عشرين وألف ميلادية ثم خلفه سنة ست وثلاثين وألف المستنصر الذى اعترف بخلافته أهل أفريقية الشمالية وبجيث جزيرة العرب وعمت خلافته البلاد الاسلامية واعتبره البغداديون امامهم فى الدين ساخطين على القائم بأمر الله لاستعانته بطغرلبك التركمانى السلجوقى الا أنه

فقد بعد ذلك أحسن الاقاليم الشامية وبقى فى حكمه اقليم فلسطين بغاية المشقة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى الملوك البويهية والسمانية والغزنوية﴾

أخذ البويهيون مملكة الفرس سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ميلادية وطردوا الهمدانيين من الجزيرة وكذا الموصل تحت مملكتهم وأعدموا العساكر التركمانية واختصوا فى بغداد بامارة الامراء فكان لهم فى النصف الاخير من القرن العاشر الميلادى بالعراق العربى و بغداد وسائر قسم آسيا من السلطان الاعظم وجلالة الشأن مالم ينافسهم فيه منافس

واقتدى عضد الدولة بالمأمون فغمر العلماء والشعراء بالانعام وحرض الناس على اكتساب العلوم وأحيا مدرسة بغداد بعد دروسها وحفر قرب شيراز نهرا به حفظت المزارع من الفيضان السنوى وسهل ربط العلائق التجارية ونهج شرف الدولة نهجه فى احياء المدرسة البغدادية التى نبغ منها فى عهدهما علماء منهم ابن الأعلم وعبد الرحمن الصوفى وأبو الوفاء الفلكى

وبنى هؤلاء الملوك لمرضى مستشفى بمهرجان عظيم بقيت ذكرته فى الصحف التاريخية المشرقية لكنهم وضعوا قوانين فى انتقال ممالكهم الى ذراريهم وقسموها عليهم تقسيما غير سياسى به فتحت أبواب الحروب الداخلية وغزق ماأسسوه من الممالك

وحكم السمانية فى المشرق سنة أربع وسبعين وثمانمائة حتى انقرض حكمهم سنة تسع وتسعين وتسعمائة ميلادية التى انحطت فيها دولة الامراء البويهية فان مملوكا تركمانيا يسمى ألب تجين ترقى فى عهد سيده عبد الملك الى منصب الوزارة حتى مات سيده وأرد أن يخلفه فى الحكومة فلم ينلها وأخرج من بخارى فتوطن غزنة ست عشرة سنة قاوم فيها السمانية التى بذلت جهدها فى ازالة

جاهه

جاهه وامارته وخلفه سنة خمس وتسعين وتسعمائة ميلادية صهره سبكتكين الذى كان قائد جنوده ومشيره فاستمال رعيته وأغار على الهند ونشر فيه الاسلام وخرب اقليم بنجاب وانشأ مدينتى بسط وقصدار وتعاهد مع نوح حفيد عبد الملك فمنع عن السمانية اغارة التركمان الذين أغاروا على بلاد ماوراء النهر ثم خلفه اسماعيل اصغر أولاده فنازعه أخوه محمود لكبره عنه وقاتله ثم غلب السمانية وأخذ اقليم خراسان سنة الف ميلادية واستقل بمملكته مستغنيا عما حازه من الغنائم فبعث اليه الخليفة العباسى تقليدا بحكومة خراسان وأمره ان لايتوجه الى بلاد الامراء البويهية فلم يصغ لقوله ودهم البويهيين فاخذ منهم بلاد جرجان والعراق الفارسى ودخل مملكته هراة وبلوجستان تحت حكمه السارى من منابع نهرى السند والكنج الى بحر الخزر وهو أول من تلقب من أصحاب الدول المشرقية بالسلطان اتخذ غزنة كرسى مملكته وأذاع فى سائر الجهات الدين الاسلامى محاميا عن الامة العربية وأخذ الجزية مما فتحه فى الهند من قنوج ولوهور ودلهى ومطرة وخرب فى غرب الهندستان مملكة جوزارات وفعل بالهند ما اشتهر به من الغزوات التى انتهى فيها الى هيكل سومنات الفائق ماعداه زخرفة وحسنا كانت قبته مغطاة بصفائح ذهب مرصعة باحجار قديمة ثمينة والصنم الموضوع فيه حجر طوله خمسون ذراعا وهو أكبر أصنام الهندستان وبه ألفا خادم من البراهمة الذين عرضوا على هذا السلطان أكثر من مائتى مليون فأبى وكسر ذلك الصنم فوجد من الاحجار واليواقيت أكثر مما عرضوه عليه

وبالجملة كان هذا السلطان ذا غيرة وحماسة دينية مقتديا بخلفاء النبى (صلى الله عليه وسلم) ولذا بعث اليه الخليفة القادر بالله كتابا لقبه فيه بالمحامى عن المؤمنين

﴿المبحث التاسع﴾

﴿فى ازالة السلجوقية الدولة الغزنوية﴾

﴿وحكم اليونان فى الشام﴾

نشر السلطان محمود الغزنوى عساكره فى الهند وترك اقليم ماوراء النهر فى قبضة قبائل تركستان المعروفة بمملكة التتار وأدخل الاتراك السلجوقية فى خراسان حين أسلموا وسألوه أرضا يسكنون وينتفعون بها

خلفه ابنه مسعود سنة ثلاثين وألف ميلادية فاجتهد فى أن يتخلص من مجاورة هؤلاء الاتراك فغلبوه فبقى محترسا منهم حتى لبس طغرلبك السلجوقى تاج الملك فى مدينة نيسابور ثم نصر على الغزنوية وطردهم من بلادهم الى الهند ثم أغار على أقاليم خوارزم وجرجان والعراق العجمى وحاصر البويهية أمراء بغداد المتسلطن بها اذ ذاك سوء الانتظام عادهم خليفتها القائم بامر الله من وزرائه العصاة والخلفاء الفاطمية وأمراء الشام

ولطغرلبك السلجوقى اذ ذاك الشوكة على جميع الممالك الاسلامية التى بنى بكل مدينة منها مسجدا وأحضره القائم الى بغداد فولاه السلطنة على بلاد العرب وبلاد الفرس وألبسه تاجين ونجاد سيف فاخر وسبعة أقبية من ملابس الشرف وأهدى اليه سبع جوار حسان كل منها باحدى الممالك السبعة ثم زوجه أخته وقرن اسمه باسمه فى الخطبة ثم رحل طغرلبك بالسلجوقية عن بغداد فعصى أهلها القائم بامر الله ونادوا بخلافة المستنصر الفاطمى بدل القائم فعاد طغرلبك الى بغداد وأجلس القائم على سرير الخلافة التى أخذت فى التقهقر فشرع اليونان فى اعادة ما أخذه الخلفاء منهم فقد نهبوا دمياط سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ميلادية وجالوا بعد ذلك بقرن فى الاناضول والشام حتى وصلوا الى مدينة حلب ونهبوا خزائن سيف الدولة الهمدانى وانتشر بالفرات والجزيرة جيوش القيصرين (نيسيفور فوقاس Nicéphore Phocas) و (حنا زيميسيس Jean Zimiscès) الحاكمين

الحاكمين من سنة ثلاث وستين وتسعمائة الى سنة ست وسبعين وتسعمائة ميلادية وأخذ الثانى بالجزيرة مدائن كثيرة وانطاكية وجميع ايالة سيسيليا وجزيرة قبرص واجتمع قبائل التركمانية تحت رياسة واحد من أمراء السلجوقية مستعدة للتغلب على الاقاليم الغربية من قسم آسيا مع عجز الخلفاء العباسية عن مقاومتها ومقاومة اليونان

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ من المقالة الرابعة ﴾

﴿ فى دولة السلجوقية وانعدام الحكم الدينى الذى كان للعباسية وغارة ﴾
﴿ المغول والاتراك المشرقية وزوال حكم العرب من قسم آسيا ﴾

﴿ وفيه عشرة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى طباع السلجوقية وفتوحاتهم ﴾

تبع طغرلبك أقوام من الاتراك مثل السرمانية الذين جالوا فى غرب أوروبا واخترقوا اسبانيا حتى وصلوا الى بوغاز جبل طارق ومثل الاقوام البلغارية والاواريه والمجرية والخزارية والبنشينجية والقومانية والمغولية الذين خربوا مرات كثيرة بلاد أوروبا والأقاليم الغربية من قسم آسيا سموا بالسلجوقية تبعا لرؤسائهم السلجوقية وكان عصر غاراتهم الذى هو أبهى أعصرهم من سنة خمس وخمسين وألف الى سنة اثنتين وتسعين وألف ميلادية وما زالوا معترفين بالطاعة لطغرلبك المتقدم فى فتوحاته الى داخل اقليمى الجزيرة وأرمينية حتى مات سنة اثنتين وستين وألف

فخلفه ابن أخيه المسمى ألب ارسلان فحذا حذوه فى الفخار والظفر واستولى على ايالة سيسيليا وأسر السلطان (ديوجين Diogène) الرومانى وأخذ منه الاقاليم التى افتتحها حنار يميسيس فاحسن معاملته بتعظيمه اللائق به

فذكر بخطبة مكة اسمه مع اسم الخليفة العباسى بدل الخليفة الفاطمى وأخذ جرجستان وانقاد له معظم آسيا وبلغت عساكره مائتى ألف والروساء تحت يده ألفا ومائتين وهم بالاغارة على مملكة تركستان واذا رجل من خوارزم قتله بخنجر نخلفه ابنه جلال الدين ملك شاه

وكان التتار والمغول فى أطراف آسيا حافظين لطباعهم الاصلية باقين على حالتهم الخشنة لايعرفون ناصرا غير السيف المسلول والاقوام الاخر من التتار والمغول الذين يقتربون كثيرا من غربى آسيا والمعروفون فى التاريخ من ابتداء القرن الخامس بعد الميلاد باسم الاتراك تغيرت اذذاك أحوالهم لممارستهم التمدن ومخالطتهم للنسل العربى حتى ذهبت الاوصاف الثقيلة التى كان عليها السيتيون الاقدمون واشتغلوا بالفلاحة والتجارة ولكنهم كانوا متكبرين شديدى الحب للقوة الحاكمة ولذا أضاعوا كل شئ وارتضوا ان يكونوا أرقاء لاجل تحكمهم على عقل سيدهم بنوع من الحصر والقسر الجسمانى الذى يخمل الفطنة العقلية

وقد أغار هؤلاء السلجوقية على مملكة الفرس فوجدوا فى جميع جهاتها اخوانا لهم من جنسهم فى صفوف العدو وأخذوا يسألون بنى العباس ان يقلدوهم حكم مافتحوه من البلاد وكانوا مائلين للحرب ذوى حمية وحماسة حين ارادة العرب الاستراحة وممارسة الفنون التى يناسبها الهدو والصلح ولذا كانوا متمكنين من الاستقلال بالسلطنة فانهم حين انتصروا على اليونان وآخذوا منهم آسيا الصغرى أوسعوا ممالكهم حتى كانت من نهر السند الى بوغاز القسطنطينية ولكنهم لم يعرفوا تنظيم دولتهم فان غالب جهاتها كان خاليا من الحكام المدبرين مع ما انضم الى ذلك من تنازع الرؤساء المستقلين فى تقسيم السلطة الملوكية وكان ذلك سببا فى تمكين المغول منهم حين انقض جنكزخان على الاقاليم الغربية من آسيا فى ابتداء القرن الثالث عشر بعد الميلاد

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى سلطنة الملك شاه وتقسيم ممالكه بعده وانحطاط ﴾
﴿ دولة السلجوقية ﴾

الى هذا السلطان ينسب التاريخ الجلالى وهو رزنامة فارسية صححها له عمر الفلكى فكانت أصح من الرزنامة الافرنجية المسماة بالرزنامة الغريغوارية

تسلطن سنة اثنتين وسبعين وألف ميلادية فاخذ يوسع مملكته وخطب باسمه فى مكة والمدينة وبيت المقدس وبغداد واصفهان والرى وسمرقند وبخارى وكشغار والجزيرة والشام وفلسطين أمر قريبه الامير سليمان فجال برجال فتح بهم أرمينية الكبرى وجرجستان والبحر الاسود والبحر الابيض وايالة البانية وايالة أرمينية الصغرى سنة ١٠٨١ ميلادية وسار حتى بلغ بوغاز القسطنطينية المسمى بسفور وفر اليونان من بلاد آسيا التى افتتحها الامير سليمان وجال الملكشاه فى أقاليم تركستان وبلغ قائد جيوشه أتزيز الخوارزمى شواطئ نهر النيل وصده المستنصر بالله فهجم على مدينة بيت المقدس ونهب ما فيها وامتدت مملكة هذا السلطان من بوغاز القسطنطينية الى نهر السند وأسر فى احدى غزواته مع رئاسة هيئته التى أدرجته فى زمرة الاسرى فدبر خروجه وزيره نظام الملك الذى أنشأ فى أيامه ببغداد المدرسة الحنفية والمدرسة النظامية وعمل عدة مساجد وطرقا وخلجانا سهل بها الارتباط بين جميع أهل المملكة التى مازال هذا الوزير بها مدبرا ساعيا فى نشر العلوم وتقدمها حتى وشى فيه بعض أعدائه الى هذا السلطان فعزل هذا الرجل الجليل القدر الذى كان عامود المملكة ثم قتله الاسماعيلية وسنه ثلاثة وتسعون سنة

مات السلطان ملكشاه سنة اثنتين وتسعين وألف ميلادية فقسم أولاده الاربع محمود وبارقيا روق وسنجار ومحمد المملكة الى ممالك أربع بلاد الفرس وكرمان والشام والاناضول بعد أن كانت بينهم من سنة اثنتين وتسعين وألف الى سنة

أربع وخمسين ومائة وألف ميلادية حروب أفنت رجالهم بلا فائدة وعصتهم حكام المدائن ثم توطن الامير أرطق سنة ست وتسعين وألف ميلادية مدينة بيت المقدس متأملا فيما يوصله الى السلطنة ثم هيأ سلطان الموصل الشوكة لابنه نور الدين ثم أخذ حاكم من خوارزم يبث الفتن فى البلاد السلجوقية حتى استقل بحكمها سنة سبع وعشرين ومائة وألف ميلادية قهرا عن سنجار سلطان بلاد الفرس الذى كان آخر العائلة السلجوقية وفتح خلفاء هذا الحاكم أقاليم ماوراء النهر وخراسان والعراق الفارسى وكرمان فجددوا المملكة الغزنوية وبقى تحت أيديهم الاقاليم الملاصقة لشاطئ نهر السند حتى جعلت الغورية كرسى السلطنة المحمدية ببلاد الهند فى مدينة لاهور من سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف الى سنة خمس ومائتين وألف ميلادية ثم فى مدينة دلهى ونهبوا مدينة بنارس وأخذوا اقليم بنغالة ووجد من عائلتهم ملوك الافغان فى اقليم بارو باميزوس القديم

المبحث الثالث

فى شوكة الامير محمد ابن الملكشاه سلطان خوارزم
وفى سلطنة العرب اذ ذاك واحياء الخلفاء العباسية
بعض ما كان لهم من الحكم

أخذت الغورية مملكة الغزنوية ولبثت تحت أيديهم خمسا وعشرين سنة فأغار عليهم السلطان محمد وسلبهم الاقاليم الغربية فعلا شأنه حتى أغار عليه المغول من سنة ثمان ومائتين وألف الى سنة ثمان عشرة ومائتين وألف وقويت شوكة السلجوقية فى القرن الحادى عشر بعد الميلاد ففوض القائم الحكم لهم من سنة خمس وخمسين وألف الى سنة أربع وسبعين وألف وبقى فى بغداد لا حكم له خارجها

وخلفه المقتدى الى سنة أربع وتسعين وألف ثم المستظهر الى سنة ثمان عشرة ومائة وألف

وألف فبعثا الى ملوك أصفهان تيجانا وأطواقا وأساور وسلطات تشريف اشارة الى تقليدهم السلطنة على بلاد الفرس ثم ولى المسترشد الخلافة الى سنة خمس وثلاثين ومائة وألف وضعفت شوكة السلجوقية اذ ذاك فصد المسترشد بجيوشه سلجوقيا أراد أن يتولى السلطنة قهرا وخلفه الراشد الى سنة ست وثلاثين ومائة وألف فاراد مسعود السلجوقى حفيد الملكشاه أن يتولى السلطنة فاخذ الراشد يدافعه حتى مات وخلفه المقتفى الثانى الى سنة ستين ومائة وألف ولم يدافع هذا السلجوقى خشية من سطوته القوية حتى مات فهزم هذا الخليفة السلجوقية عن بغداد وانقاد له أهل العراق العربى فذكروا اسمه فى الخطبة مع السلطان السلجوقى الذى لبث هو ومن بعده يدبرون المملكة من سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف الى سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف

وليس للخلفاء المستنجد والمستضئ والناصر والظاهر والمستنصر المتولين من سنة ستين ومائة وألف الى سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف تدبير فى المملكة نعم كان لهم المحاماة عن التجارة والصنائع والعلوم بلا تعرض لهم

وبنى الظاهر مساجد ومدارس ومارستانا ومستشفيات و بالجملة كان للسلجوقية الشوكة التامة فى أواخر القرن الحادى عشر وضعفت فى الثانى عشر ضعفا بينا بالاقاليم الشرقية من المملكة العربية وفى غرة القرن الثالث عشر كان ولاة اذربيجان ولارستان وفرسيستان مقتسمين للسلطنة بينهم وبين سلاطين خوارزم وخلفاء بغداد

وأغارت العرب على الاتراك المعروفين بالتتار المتولين الحكم السياسى حتى انقادوا فتمسكوا بالاسلام وتكلموا بالعربية واحترموا العلماء وحاموا عن المعلومات لئلا تضيع واستمدوا أفكارهم

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى حال الاقاليم الغربية من آسيا فى غاية القرن الحادى عشر بعد الميلاد ﴾ ﴿ وفى الحرب الصليبى المسمى لدى معاشر المسلمين بالجهاد الاول فى نصارى ﴾ ﴿ أوروبا الصليبية الراسمين الصليب على لباسهم وبيارقهم ﴾

أدخل الملكشاه السلجوقى أقاليم الجزيرة والاناضول والشام تحت طاعته ثم مات

سنة اثنتين وتسعين وألف ميلادية فانقسمت مملكته الى ثلاثة ممالك لارتباط لها ببلاد الفرس قواعدها حلب ودمشق وكذا قونية الممتدة سلطنتها الى الاناضول ثم كان بين ملوك حلب ودمشق تنازع فى أخذ مدن باقليمى الجزيرة والشام مع عجز الفاطمية اذذاك عن اعادتهما تحت حكمهم لانحطاط شوكتهم فان السلجوقية أخذوا منهم الاقطار الجازية

وأعرض المستعلى متولى الخلافة الفاطمية من سنة أربع وتسعين وألف الى سنة احدى ومائة وألف ميلادية عن محاربة السلجوقية بل أخذ يلقى بين ملوكهم لنيل المال دسائس دام بها القتال بينهم حتى أخذت بطارقة رومية المدائن تقول لمن فى أكناف بلادهم القاثوليقية ان الاتراك لوثوا قبر المسيح معدن الديانة الواجب حفظه عما لايليق فاجابهم من النصارى آلاف كثيرة قدموا تحت قيادة بطرس (وغوتيه Gautier) فهلك من الجيشين كثير ببلاد المجر والبلغار وقتل سائر من بقى بمملكة قونيه فعاد السلجوقية الى حروبهم الداخلية حتى قدمت كتائب أخرى صليبية عبرت بوغاز البوسفور وهزمت السلجوقية واجتازت جبال ايالة سيسيليا وأخذوا انطاكية وتداولوا مع أمراء الشام وساروا الى اقليم فلسطين فانضم العرب الى الاتراك وأظهروا الحماسة الدينية للذب عن بيت المقدس وقاتلوا مع الخليفة الفاطمى الذى أخذ المقدس من الاتراك الارطقية سنة تسع وتسعين وألف ثم انهزموا وسكن الصليبيون بالمقدس وجوانبه فقل تقدم فتوحاتهم وتقدم منهم الى جهة بغداد القائد (بودوين Baudouin) فاخذ من الجزيرة مدينة ايدسة العتيقة المعروفة الآن بأرفة

المبحث الخامس

فى سيرة أواخر الفاطمية من سنة أربع وتسعين وألف الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف ميلادية وسيرة زنكى ونور الدين وصلاح الدين

مازالت الحروب الداخلية بين المسلمين الفاطمية والسلجوقية زمن المستعلى

متولى الخلافة سنة أربع وتسعين وألف ومن بعده من الخلفاء الفاطمية الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف بدون تفكر من هؤلاء الخلفاء و وزرائهم فى اتحادهم بحكام البلاد الشامية لينصروا بهم على أهل الصليب بل أداموا قتال السلجوقية الذين اشتهر فى دواوينهم بالموصل وحلب عماد الدين زنكى الذى لقب نفسه بالاتابك وانشأ له سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف مملكة مستقلة بين اقليمى الجزيرة والعراق العربى وأخذ الموصل ثم دهم السلجوقى صاحب حلب فأخذها منه سنة سبع وعشرين ومائة وألف ثم أحيا بين المسلمين بغضاء الفرنج وأخذ منهم مدينة ايدسة فاستنجد من فى القدس وأتى اليهم من أوروبا الملكان لويز السابع الفرنساوى (وقنراد Conrade) الثالث الانكليزى فبذلا وسعهما فى أخذ دمشق ولم يفد ذلك شيأ وقدمات اذذاك عماد الدين زنكى وخلفه ولداه سيف الدين وكذا نور الدين الذى تمم مقاصد والده الحربية حيث أكثر من الاغارة على أهل الصليب ثم أغار على دمشق فأخذها من السلجوقية لضعف من بها بالحرب السابقة ثم استنجده وزير الديار المصرية لمقاتلة الخليفة الفاطمى فانجده على شروط لم يف بها فبعث قائده شيركوه بجنود تغلب بهم على الديار المصرية وتقلد الوزارة من قبل الخليفة الفاطمى جبرا ثم مات وخلفه فى الوزارة ابن أخيه صلاح الدين الايوبى وهو كردى شجاع معروف بعزة النفس والذكاء والامانة والوفاء بالعهود والتقوى والعدل والرفق حال الانتصار وحيازة المعلومات العربية فرنت سلطنته بأعلى درجات التمدن العربى

عزل العاضد آخر الخلفاء الفاطمية سنة احدى وسبعين ومائة وألف ميلادية وازال من مصر مذهب الشيعة بمذهب أهل السنة ولم يأذن بالتدريس فى المدارس الا للشافعية الا انه هم بعصيان نور الدين بن زنكى والاستقلال بحكم الديار المصرية ثم بلغه موت ابن زنكى فسار الى الشام وملك من سنة أربع وسبعين ومائة وألف الى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف دمشق وحمص وحلب فكان أول من له اليد على الديار المصرية والشامية والفرنج اذ ذاك متنازعون

فى حكم المدائن والحصون الحصينة سار أحدهم مخالفا لرأى الآخرين الى مكة والمدينة بعساكر نهب بهم قافلة مارة بالبيداء ومات أكثرهم بصحارى بلاد العرب فكان لهم بذلك ضعف انتهز به الفرصة صلاح الدين باخذ اقليم فلسطين ثم طبرية ثم سار الى المقدس ففتحه عن قرب فبدل جميع هياكلها النصرانية بمساجد اسلامية وحاصر مدن الفرنج على البحر الابيض المتوسط الا أن المسلمين انهزموا أمام مدينة صور فقوى عزم الفرنج وانتظروا مجئ الملكين (ريشارد Richard) الانكليزى (وفيلبش اغسطوس Ppilihpe Auguste) الفرنساوى وحصل منهم فى الغزوة الثالثة للامة المحمدية من سنة سبع وثمانين ومائة وألف الى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف قوة جاش بعد اضطراب و بذل ريشارد ملك الانكليز وسعه فى تخليص المقدس من سلطان الديار المصرية فلم يتيسر له ذلك فعاد الى أوروبا

المبحث السادس

فى وفاة صلاح الدين وبقاء السلطنة فى خلفائه مع علو الشان حتى جاءت دولة المغول

بعد سفر ريشارد مات صلاح الدين وأعداؤه يعجبون من علو همته والمسلمون يأسفون على فقده ثم اقتسم أولاده الثلاثة مملكته فكان لأحدهم مصر وللآخر دمشق و بيت المقدس و وهاد الشام وللثالث حلب وهضاب الشام ثم نهب عمهم الملك العادل سيف الدين أبو بكر مصر ودمشق وتولاهما من سنة مائتين وألف وأخذ من الصليبية مدينة طرابلس وغزا الغزوة الخامسة حين أتوا الى دمياط وخلفه ابنه الملك الكامل على مصر وابنه مولى الدين على دمشق ثم أتى الملك (فريدريق Frédéric) الثانى رئيس الغزوة السادسة الى اقليم فلسطين واهدى الى مولى الدين هدايا قبلها منه وترك له سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بيت المقدس بعد أن سفكت فيه دماء كثيرة وبذل المسلمون عظيم العزائم فى المحاماة عنه وكانت هذه الغزوات من الفرنج مشتملة على الاهوال وسوء

المقابلة

المقاتلة ثم أخذت فى التلطف ولذا لا يحكم على غزوات (مارى لويز Saint Louis) سلطان فرنسا بما خطر فى بال أهل أوروبا من موازاتها لتلك الحروب

ورأت سلاطين الايوبية بعد مولى الدين أن الفرنج أكبر أعدائهم فطردوهم من جميع ممالك آسيا وأبقوا لهم على البحر الابيض المتوسط يافا وعكا وقيسارية وأرسوف وانطاكية وأخذوا بيت المقدس ثانيا فكان تارة تحت حكم سلطان مصر وأخرى تحت حكم سلطان دمشق وبالجملة كان لاحد ذرية نور الدين جزء من الجزيرة وكان للايوبية فى ابتداء القرن الثالث عشر من الميلاد اليد على الشام ومصر وبعض اقليم فلسطين وبعض أقاليم بحيث جزيرة العرب كاليمن الذى فتحه أخو صلاح الدين سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف ميلادية وخلفه فيه أولاده الى غارة المغول سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف والخطبة مع ذلك باسم الخلفاء العباسية وأما الفاطمية فلم يكونوا فى عصر الايوبية الا فرقة ذات اعتقاد مخصوص لا اتحاد بينها

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى حزب الباطنيين وشيخ الجبل ﴾

كان لابى عبد الله آخر روساء الكرمانية التصرف المطلق فى المتعصبين لمذهبه فنهج نهجه رجل يسمى حسن الصباح سافر كثيرا وتبحر فى العلوم وعرف فرق الدين المحمدى وأخذ فى غاية القرن الحادى عشر من الميلاد يعظ الناس ويحثهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظن انه قريب من مذهب الكرمانية فتبعه جموع ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصن الموت المشيد على هضبة قرب قزوين فلقب بشيخ الجبل وأعلن بالعداوة للنصارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الاله الثانى الذى شغله الاقتصاص من الظالمين للمظلومين ونفذت أوامره فيمن معه فكان اذا أمر بقتل أحد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق جبل على أسنة الرماح أو طعن بطنه بخنجر أو بقتل أحد من غيرهم بادروا بقتله ولو وزيرا أو سلطانا أو خليفة عباسيا أخبر قومه ان شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كالهائم بسبب السكر بالحشيش مستعدين لارتكاب أكبر

الكبائر ولذا سماهم المؤرخون بالحشاشين لا بالحساسين أى القتالين كما زعم الفرنج وأذن لهم فى النهب فنهبوا وجالوا باسلحتهم فى الشام حتى بلغوا جبل لبنان وبنوا فى الشام أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التى تمر بأرضهم وقطعوا الطرق وملكوا فى غرة القرن الثالث عشر من الميلاد كثيرا من المنازل فى العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة وألف ميلادية بالعراق الفارسى فبذل الملكشاه عزائمه فى اعدامهم ولم يبالوا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذى كان الوزير الاعظم لهذا السلطان قتله أحدهم لشدة تعصبه وغيرته على مذهبه الدينى وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة مخاصمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى اغارة المغول واظهار الملك جلال الدين كبير العزم فى مقاومتهم وانقضاء الخلافة العباسية﴾

كان السلطان محمد ملك خوارزم ذا جلالة وشوكة فزع منها الخليفة العباسى الناصر لدين الله فاغرى ملوك الغورية فحاربوا السلطان محمدا الذى جمع بعد ذلك فى قصره أرباب الفتوى والعلماء فاخذ آراءهم وأعلمهم أن العباسية تعدوا فى الخلافة على بنى الحسين بن على بن أبى طالب وأشهر من ذرية على بن أبى طالب خليفة مقيما فى اقليم ماوراء النهر يسمى علاء الدين وجهز لغزو بغداد جيشا عظيما واذا قوم من العائلة السيتية محافظون فى بلادهم التتارية على ما كان عليه آباؤهم من الدين والعوائد والعيشة البدوية والحكومة والانقسام الى قبائل والطاعة لمشايخهم وحب النهب والحرب استولى كبيرهم جنكز خان على بلاد التتار والاقاليم الشمالية من مملكة الصين ثم قصد الاستيلاء على الاقاليم الغربية من آسيا وهدد اقليم ماوراء النهر بالتغلب عليه سنة تسع عشرة ومائتين وألف ميلادية فعدل السلطان محمد عن توجيه جنوده الى بغداد وبعثهم الى ماوراء النهر فهزمهم

المغول

المغول ومزقوهم كل ممزق فهرب السلطان محمد وعبرجيحون والتجأ الى بحيرة الخزر في بحر جرجان سنة مائتين وألف ميلادية وترك ابنه جلال الدين يدبر في مقاومة هؤلاء ثم فجع بما رآه من فرار قومه وانقضاض المغول على ماوراء النهر و بلاد خوارزم وخراسان وجيلان واذ ربيجان وملكهم في تلك البلاد ألفا وسبعمائة فرسخ ورجع رئيسهم جنكزخان الى مدينة كراكوروم تخت وطنه المبنية قرب صحراء شاموا وأقام فيها من سنة عشرين ومائتين وألف الى سنة سبع وعشرين ومائتين وألف فعاد جلال الدين الى بلاده بعد أن توجه الى الهندستان للاحتماء فيها ثم انضم اليه جموع لم ينقادوا للمغول وجدد من بقايا مملكة أبيه مملكة تمتد من منبع نهر الكنج الى أبواب مدينة الموصل بالجزيرة

ثم ولى جنكزخان ابنه الامير أوقطاى الخانية العظمى على المغول فامر رجاله فاغاروا على مملكة جلال الدين فهرب ثانيا وقتل في ديار بكر وأخذ اقطاى يقاتل من سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف الى سنة احدى واربعين ومائتين وألف سلطان قونية والخليفة العباسي المستنصر بالله ولم يعد عليه من ذلك كبير ظفر وخلفه الخان جايوك سنة احدى واربعين ومائتين وألف ولم تتقدم فتوحاته واكتفى بطرد سفراء خليفة بغداد وشيخ الجبل والملوك السلجوقية من ديوانه وخلفه منجوخان سنة احدى وخمسين ومائتين وألف فكلف اخويه كوبلاى وهولاكو بتوسعة دائرة مملكته و بعث كوبلاى فاخذ يفتح في الصين حتى أشرف على اعمامه واذا أخوه هولاكو متوجه من مدينة كراكوروم بجيش عظيم الى غرب آسيا فاعدم في أقل من سنتين مابقى من آثار حكم العرب في بلاد الفرس وصاحب بعض أهل بغداد وكاتبهم سرا ثم حاصرها وظن الخليفة المستعصم ان لاقدرة له على مقاومة هولاكو فاراد التداول معه فيما يرضيه فلم يصغ له وفتح بغداد سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف ميلادية الموافقة سنة ٦٥٦ هجرية ولبث المغول ينهبون في المدينة سبعة أيام وأحرقوا جانبا عظيما من أنفس الكتب المكتوبة بخط القلم ورموا في الدجلة من الكتب

ماسوّد ماءها على ما بالغ به بعض المؤرخين وتعجبوا من أموالها الغزيرة مع انهم نهبوا قبلها بخارى وسمرقند ومرو ونيسابور وغيرها وخنقوا المستعصم وجروه بين أسواق بغداد واسوارها مضرجا بالدماء فكان آخر الخلفاء العباسية

﴿ المبحث التاسع ﴾

﴿ فى عدم تغلب المغول على مصر والشام وعزل المماليك الملوك الايوبية ثم عزل العثمانية هؤلاء المماليك ﴾

أدخل خلفاء صلاح الدين الأيوبى فى قصورهم أرقاء جددوا بالقاهرة من المفاسد والفتن ماجدده عساكر الاتراك غير المنتظمة وهؤلاء هم المماليك الذين منعوا المغول بعد استيلائهم على بغداد من استيلائهم على مصر والشام

وفرت الخوارزمية من جنكزخان وأغاروا على الشام فاستنجد سلطان دمشق بالصليبية فانجدوه فأعطاهم طبرية والمقدس وعسقلان فانضم المماليك وسلطان مصر الى الخوارزمية وقاتلوا سلطان دمشق زمنا أخذوا فيه المقدس مرات ثم حاربت المماليك الخوارزمية من سنة أربعين ومائتين وألف الى سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ميلادية فمزقوا شملهم كل ممزق وسدوا بعد ذلك بثلاث سنين عدوان سنت لويز ملك فرنسا فى واقعة المنصورة واسروه وعقد معه سلطان مصر الكردى شروطا لم يرضوها فعصوا سلطانهم وولوا أحد رؤسائهم ايبك المعز لدين الله وجميع وسائل المملكة و وارداتها تحت تصرفهم فلم ينازعهم أحد وأخذوا اقليم الجزيرة وكذا الشام بعد ان أخذه هولاكو سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف ميلادية ثم ذهب من الصليبية ما كان بايديهم من البلاد الاسلامية وذهب سنت لويز الى اقليم فلسطين فاخذ يتودد مع خان المغول وشيخ الجبل ليستعين على هؤلاء المماليك فلم يجد ذلك نفعا

وبعد أخذ المغول بغداد أتى الى القاهرة من الخلفاء العباسية عائلة لادخول لها فى الاحكام السياسية بل فى الاحكام الدينية كتقرير حكم سلاطين مصر ولبثوا كذلك من سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف الى سنة سبع عشرة وخمسمائة

وألف ثم تغلبت العثمانية وقطعوا دابر المماليك ونفذوا حكمهم على جميع الايالات المعروفة فى الخرائط الجغرافية بتركية آسيا

﴿المبحث العاشر﴾

﴿فى أن تمدن العرب لم يذهب بذهاب دولهم﴾

لاخفاء ان شوكة العرب أخذت تزول شيأ فشيأ حتى زالت خلافتهم وفقدوا حكمهم السياسى فى غير بحيث جزيرتهم وزال ذكرهم من تاريخ الامم المشرقية زمن تقدم الاتراك والمغول الذين أغاروا من شمال آسيا على غربها وشرقها نعم التمدن العربى لم يزل ظاهرا بعد الخلافة بل كانت التقلبات فى بلاد آسيا معضدة لتمدن العرب فقد أحضر السلطان محمود الغزنوى الى ديوانه العلامة البيرونى الذى أحاط بكل فن واشتهر على أبناء عصره واستمد الملكشاه من مدرسة بغداد الاصلاح الذى أحدثه فى رزنامة الحساب والتقويم الفارسى وبنى هولاكو رصدخانة فلكية لنصير الدين الطوسى الشهير بالعلوم الرياضية ونقل أخوه كوبلاى العلوم والفنون من الاقاليم الغربية من آسيا الى الصين حين تسلطن عليه ثم كان بعد قرنين عائلة تيمور لنك فكان ولده شاه روخ وحفيده أولوغ بيك وارثين لما فى المدرسة البغدادية العربية من العلوم والفنون ثم كان زمن الاولين من السلاطين العثمانية علماء برعوا وألفوا كتبا باللغة العربية والفارسية فكان لديهم آخر أشعة شموس العلوم التى ختم بها ذلك العصر المديد

﴿المقالة الخامسة﴾

﴿فى عظمة سلطنة العرب ثم انحطاطها فى الاقطار الغربية من ابتداء﴾
﴿محاربة الاموية العباسية الى استيلاء الدولة التركية على شمال﴾
﴿أفريقية وطرد النصارى المغاربة من اسبانيا﴾

﴿الباب الاول﴾

فى سيرة الملوك الاغلبية والادريسية والفاطمية والزيرية الحاكمين فى الاقاليم

الشمالية من آسيا ثم فى سيرة الخلفاء الاموية حكام اسبانيا بعد انقراض الاموية بالممالك المشرقية من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة الى سنة تسع وستمائة وألف ميلادية الموافقة سنة ١٢٥ الى سنة ٣٩٩ هجرية

﴿ وفيه خمسة عشر مبحثا ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى حالة اسبانيا وسير عبد الرحمن الأموى اليها وتأسيسه الخلافة الأموية بقرطبة ﴾

أسلفنا أن نتيجة حرب الاموية والعباسية انقسام ممالك العرب المسلمين الى قسمين أحدهما بالمشرق وهو الممالك الاسلامية فى آسيا والايالة المصرية وقد سبق الكلام على تقلباته وثانيهما بالمغرب وهو مملكة اسبانيا والايالات الشمالية فى أفريقية وسنورد لك حوادث هذا القسم المقارنة للحوادث المشرقية بادئين بحالة اسبانيا فنقول

كان ولاة اسبانيا وأصاغر مشايخها يكلفون أهلها تأدية مطالب شاقة غير مبالين بخلفاء العباسية لبعدهم عن اسبانيا التى كان من بها من القبائل الحميرية والعراقية والشامية يخاصم بعضهم بعضا ويرون قبائل البربر فى أفريقية بعين الغيرة والحسد فعظم باسبانيا سوء الانتظام ولم يبال أهلها بما يلزمهم به حكامهم من التكاليف الشاقة فكان كل ذلك باعثا لحزب جسيم على احداث حكومة جديدة

ثم شاع لديهم نجاة الامير عبد الرحمن حفيد الخليفة هشام الأموى من ذبح السفاح والتجاؤه الى بعض أقاليم أفريقية لدى القبيلة المسماة بالزناتة أعظم قبائل أفريقية لبلوغ كتيبتها سبعمائة وخمسين فارسا فبعثوا اليه ثلاثة سفراء ركب معهم فى سفينة الى اسبانيا حتى بلغ مينا على نحو خمسة عشر فرسخا من غرناطة فقابله الناس بالترحاب ثم دخل مدينة اشبيلية وبقرطبة الرئيسان من طرف العباسية يتنازعان قيادة العسكر والسلطنة ثم اتحدا على ذلك الاموى

حين

حين رأيا ميل أهل قرطبة اليه فسلماها اليـه ونصر عليهما فى واقعة موزارة فاستقل بالحكم وانتصر على أعدائه مرة أخرى وظفر بهم ثم أطلقهم وأبقى اليهم أملاكهم وأموالهم ثم ادخل جميع المدن تحت حكمه وبايعه أهل اسبانيا سنة ست وخمسين وسبعمائة ميلادية فانفصلت من ذلك الوقت الخلافة المغربيـة عن الخلافة المشرقية ببغداد

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى اضطرابات الايالات الشمالية من أفريقية بتخاصم العرب والبربر ﴾
﴿ وفى سلطنة الملوك التغلبية ﴾

كان بالايالات الشمالية من افريقيـة مغاربة مسلمون مسمون بالبربر مختصون بالحرية السياسية لعدم حاكم عليهم حتى ذهب اليهم من آسيا عرب اجروا عليهم حكم الخلفاء العباسية ثم أخذ عبـد الرحمن بن حبيب يستميل العرب والبربر حتى اتخذ منها أحزابا زمن محاربة الاموية والعباسية من سـنة ست واربعين وسبعمائة الى سـنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ميلادية واسـتقل بالحل والعـقد لاشتغال العباسية ثم انتصروا فانقاد لهم سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة حتى كلفه الخليفة المنصور سـنة خمس وخمسـين وسبعمائة بمطالب افضت به الى الاعلان بالاستقلال والخطبـة باسمه فى مسجد مدينـة القيروان ثم طمع أخوه الياس وأوقع بين العرب والبربر فتنة أثارت حربا سفك فيها كثير من الدماء حتى انتهت سـنة سـبعين وسبعمائة ميـلادية بنصر العرب فاجتهـد أميرهـم أغلب وجبر الجميع على الانقياد للمنصور ثم عصت البربر المهدى والرشيد عدة مرات خسر فيها العباسية خسارات عظيمة صمم بها الرشيد سنة ثمانمائة ميلادية على خلع حكم الايالات المغربية على ابراهيم بن الاغلب فاستقلت الاغلبية بالحكم من هذه السنة الى سنة احدى عشرة وتسعمائة وخلطوا دم البربر بدم العرب بالتصاهر فاتحدا أخلاقا ودينا وزال مابينهما من التباغض وانقاد لحكم ابراهيم بن الاغلب مابين ابتداء سواحل الاقيانوس الاطلنطيق وحدود ايالة مصر الغربية وخطب فيه باسمه مع اسم الخليفة العباسى

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى استيلاء الادريسيين على تلمسان وانشائهم مدينة فاس ومساعدة بنى الاغلب على التقدم فى الفنون والصنائع﴾

بعد زوال الشحناء بين أهل الايالات الغربية من شمال أفريقية ظهر من العلوية رجل جليل يسمى ادريس اتخذ من تلك الايالات حزبا قوى الشوكة واستولى على تلمسان وجميع المغرب الاقصى سنة ثلاث وثمانمائة ميلادية وأقام بمدينة واليلى وازال من تلك الايالات الحكم السياسى للتغلبية والدينى للعباسية وأتبعهما للادريسية المنشئين مدينة فاس ومسجدها ومدارس وكتبخانات و بها ظهرت الحركة العلمية التى حث عليها العباسية فى الممالك المشرقية ثم اتخذوا فاس تختا جديدا لمملكة المغرب ومركز تجارة بين عرب اسبانيا وعرب افريقية واجتهد كل من العباسية والاغلبية فى ازالة حكم الادريسية عن المغرب الاقصى فلم يحصلا نتيجة وأخذت الاغلبية تحامى عن بلاد المغرب الوسطى وبلاد أفريقية ونصرت فى غزوات بالممالك النصرانية التى على سواحل البحر الابيض المتوسط وأدخلوا فى الاقاليم الافريقية جميع مبادى التمدن الاسلامى التى كانت بالشام والعراق وأنشؤا مدينتى القصر القديم و رصادة وأخذوا يقيمون فى تونس والقيروان وطرابلس فامتلأت تلك المدن مبانى ابدت للناظرين الاقواس الحادة والدعامة المزخرفة على حسب فن العمارة الرومانى وبنوا قناطر على مجارى سيول امطار سريعة التيار واجتهدوا فى احياء العلوم والصنائع والتجارة والفلاحة وانشؤا مراكز تجارية سهلت مخالطة سكان الصحراء بسكان السواحل وجددوا طرقا ابدوا فيها الأمن وجعلوا نظارة محال البوستة فى ايدى اعيان البلاد و رتبوا بتلك المحال ملاحظين لابقاء التواصل التام بواسطة السعاة والبريد الخيالى من ابتداء حدود المغرب الى حدود مملكة مصر وعمروا سفنا بحرية حكموا بها على البحر الابيض المتوسط

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى الغزوات البحرية لبنى الاغلب واستيلائهم على جزيرة سيسيليا وبلوغها شأو التقدم زمن تحكمهم عليها ﴾

أخذ بنو الاغلب يغزون فى سائر القرن الثامن من الميلاد سواحل البحر الابيض المتوسط ويبعثون فى السفن رجالا يخربون سواحل مملكتى ايطاليا وفرنسا وجزائر قرسقة وسردينيا وسيسيليا وبالغ مؤرخو الفرنج فى الحكايات المتعلقة بتلك الغارات واضطربت أقوالهم فى أزمنة الغارات وقال مؤرخو الاسلام ان بنى الاغلب غزوا بعد جلوسهم على سرير السلطنة جزيرة قرسقة فى سنى ٧١٠ و٧١٣ و٧٧٢ ميلادية وجزيرة سردينيا فى سنتى ٧٢٤ و ٧٣٩ وجزيرة سيسيليا فى سنى ٧٢٠ و٧٢٤ و٧٤٣ و ٧٤٧ و ٧٧٣ ميلادية ثم غزوا جزائر لورنس ومالطة وغزوا سواحل اقليمى پوليا وقالبره وترك اليونان جزائر بليارة وقرسقة وسردينيا حين هجم عليها هؤلاء فطلب بطرك رومية المدائن من ملوك الفرنج ان يجعلوها تحت حمايتهم فجهز شرلمانية ملك فرنسا سفنا حفظت تلك المدائن من صولة العرب حتى مات سنة ٨١٤ فعاد العرب الى غاراتهم زمن المقاتلات الداخلية فى عهد ملك فرنسا (لويز Louis الهادى) فتعدى عرب اسبانيا على سواحل فرنسا وجزيرة قرسقة أكثر من غيرها وعرب مغرب افريقية على سواحل ايطاليا وجزيرتى سردينيا وسيسيليا التى شتم حاكمها ضابطا يونانيا يسمى (أوفيميوس Euphémios) فاخذ هذا ذلك الضابط قهرا وغار منه ضابط معه فاخذ منه مدينتى بالرمه وسيراغوسه فذهب أوفيميوس الى زيادة الله خليفة ابراهيم ابن الاغلب فانجده بجيش تحت قيادة القاضى أسد مؤلف الاسدية سار بسفن من مينا سوس حتى بلغ مينا مزارة سنة ٨٢٧ فحارب هو والضابط ونصرا على العدو بالبيداء وعجزا عن فتح المدن خصوصا بالرمه وسيراغوسة وقصريانى ومات القاضى اسد واراد جيشه العود الى بلادهم باشارة الضابط

اليونانى فرأوا أمامهم سفنا يونانية تمنعهم المرور فاحرقوا سفنهم سنة ٨٢٨ وأقسموا ليأخذن سيسيليا ثم مات الضابط فاشرفوا على الهلاك حتى قدم محمد بن الاغلب وأتى سيسيليا بثلثمائة سفينة اغاثهم وأخذت مدينتى جرجنتى ومزارة ثم بالرمه سنة ٨٣١ فايقن الناس بفتح سائر الجزيرة التى أمدها امبراطور القسطنطينية اليونانى سنة ٨٣٦ بجيش هزمه العرب قرب قصريانى التى قاومت العرب ولم تسلم اليهم الا سنة ٨٥٩ وتبعها فى المقاومة مدائن نوتو وطارومينة وقطانه وسراقسطة ولم تسلم لهم الا فى سنة ٨٧٨

وأخر انتصار العرب على جميع أهل هذه الجزيرة ما كان بها من الفشل الداخلى وتعدد الولاة عليها من سنة ٨٧١ الى سنة ٨٧٣ ميلادية فقد تولى فى تلك المدة سبعة ولاة على تلك الجزيرة التى لم ينتشر بها المسلمون لقلتهم بل سكنوا مدنها بعد ان استسلموا النصارى ونهبوا كثيرا من الكنائس والديور وقدروا الخراج فانتفت التغيرات والزيادات التى كان وزراء السلاطين اليونانية يتخذونها لانفسهم وقسموا تلك البلاد الى اقليمين السراغوسى والبانرميتانى

وتولى فى مدائن مزارة ونوتو ومونه ثلاثة ولاة تحت يد كل وال حاكم فوق القائدين الموكلين بادارة المصالح فى الخطط التى دون تلك الولايات وبالجملة أجاد العرب فى ترتيب وتقسيم تلك البلاد وقدموا فيها الفلاحة والصنائع نقلوا اليها شجرات القطن من الشام وقصب السكر من طرابلس الغرب ولسان العصفور والفستق واستخرجوا مافيها من معادن الفضة والحديد والنحاس والكبريت والملح الاندرانى واستعملوا أنواع الرخام والفرفيرى والصوان واليشم فى المبانى الموجود منها فى ضواحى بالرمة عدة قلاع تؤذن بمهارتهم فى فن العمارة وفشا نسج الحرير بجزيرة سيسيليا ومنها انتشر فى أوربا فى القرن الثانى عشر بعد الميلاد على ماقيل

المبحث

﴿المبحث الخامس﴾

﴿في جولان الاغلبيين في ممالك ايطاليا وتأسيسهم عدة نزلات اسلامية على سواحل البحر الابيض المتوسط﴾

لما أخذت العرب جزيرة سيسيليا وخربوا جزيرتي بنزا وايشيا ونهبوا سواحل اقليم قالبرة وأغاروا على مصب نهر التبر وأخذوا مدينة بالرمة سنة ٨٣٦ تقدموا الى ايطاليا فحاربوا ملك فرنسا بعد شرلمانيه كما حاربوا اليونان باقليم ابوليا والامراء اللبردية أصحاب مدينة بنيوان وأخذوا مدينة برندس ثم مدينة باري سنة ٨٣٩ وأخذوا المينا التي بالبحر الادرياتيق فتمكنوا ان يخربوا سواحل دلماسيا وسواحل الاقاليم الشرقية من ايطاليا وبهددوا بلاد بيلوبونيسه والجزائر اليونانية بالتغلب عليها حيث تركها سلاطين القسطنطينيه بلا اغاثة وأخذوا مدينة ترنتة سنة ٨٤٤ زمن الفشل بايطاليا وأغاروا على دوقة بنيوان وخربوا الدير الكبير الكثير الاموال المسمى دير جبل قسين وأغاروا على مدينتي غايطه وأمالفي فقابلهم أهلهما بعظيم البسالة ومدينتا سالرنة ونابلي اذ ذاك في خطر عظيم وبنى العرب قلعة على مصب نهير غاريليانون ثم أرادوا السفر في نهر التبر الى داخل البلاد فأمر البابا برومة ان يعلو الناس سور مدينة استيه فأغاروا على ضواحي مدينة رومة ونهبوا كنيستي ماري بولص وماري بطرس وعادوا بالغنائم سنة ٨٤٦ فهدموا الاستحكامات الحربية في سوبطا ويكشيا ثم عادوا للاغارة على أقاليم ايطاليا سنة ٨٤٨ فوجدوا سلسلة حديد معترضة بنهر التبر وجميع البلاد شاهرة أسلحتها تحت قيادة البابا ليون الرابع فذهبوا الى جارجليانو

وقد حرك ما كان بمدينة رومة من الاخطار غيرة ملك ايطاليا لويز الثاني حيث تصدى للمحاماة عن النصارى ونزل في اقليم بوليا وقاتل العرب سنة ٨٦٨ في نواحي مدينة لوسيرة سنة ٨٦٧ فغلبهم وقاومهم ثلاث سنين حتى أخذ مدينة

باری سنة ٨٧١ ثم استعان باليونانية وغلب العرب بمدينة سالرمة سنة ٨٧٥ ولم يترك بايديهم من ايطاليا الا مدينة ترنتة ثم تعاهد العرب بعد خروجهم من ايطاليا مع أهل مدائن نابلى وأمالفى وسالرنة وتوجهوا الى ممالك الكنيسة الكبرى الرومانية وهددوا البابا حنا وتغلبوا على بلاده حتى على مدينتى رومة وراوينة فابعدهم عن بلاده بوعدهم جزية قدرها خمسة وعشرون ألف رطل فضة كل رطل ثمان اواق ثم ذهب سنة ٨٨٠ الى ملك فرنسا ثم ملك المانيا يستنجدهما الا ان العرب اكتفوا بعد مشارطته على هذه الجزية عن الغارة على ايطاليا وكان نهبهم مدينة قابو آخر غاراتهم حتى انتهى القرن التاسع من الميلاد

وقد بدا فى تلك الفترة الزمانية اختلال الاحكام والحوادث التى دبرها كل من (تيودورة ومارورزيه Téodora Marozi) مع تفاشل العرب وتمزق الاقاليم الافريقية التى هى مركز شوكتهم بالمقاتلات الداخلية ولقد كانت المنشآت العربية بسواحل البحر الابيض المتوسط مهمة نظرا الى المقاصد السياسية وكذا التجارية حيث كان بجوار قلعتها مكتب تجارى بين العرب والبردية وعقد جمهور أملفى مع العرب شروطا أخذوا بها ناحية من نواحى مدينة بالرمة

وقد كابد أهل مدينة البنادقة مشاق كثيرة من العرب واستغاثوا سنة ٨٧٠ باليونانية فغلبهم العرب وتمكنوا من اخذهم مدينة غرادو وتسلطنوا فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى على سواحل البحر الابيض المتوسط وملكوا غير جزيرة سيسيليا جزائر مالطة وغزو وكامينوا و بنتلاريه وأخذوا بعد مدينة بالرمه جزيرة سردينيا وأخذوا أيضا بقرب مدينة سنتروز محطة مهمة تعرف بمحطة فركسينيت التى سهلت للعرب الطريق الى جبال البه بلا منازع وذلك سوى ما أخذوه من جزيرة قرسقة والجزائر البليارية

و بذلك يعلم ان ما حازه العرب من الفتوحات بالبحر الابيض المتوسط تعلو فتوحات عرب أفريقية وعرب اسبانيا

﴿المبحث السادس﴾

﴿في سلب الفاطمية السلطنة من الاغلبية وتداخل خلفاء قرطبة بينهما﴾

قد حسن الاغلبيون سياستهم بحسن معاملتهم و رفقهم بالناس وصدوا الطولونية المغيرين عليهم حين استقلوا بأحكام الديار المصرية ثم تسلطن منهم أبو اسحاق من سنة ٨٧٧ الى سنة ٩٠٢ وفعل مظالم أبغضت بها الناس عائلته فاخذ العلوية يثيرون الناس عليه و بعثوا في البلاد رسلا يخبرون ان السلطنة ستنقل الى مهدى ثان اخبر النبي بظهوره سنة ثلثمائة هجرية و وجوب المسارعة الى طاعته ومازالوا كذلك حتى بثوا هذه الدعوة لدى الرعايا وقام على أبي النصر زيادة الله الاغلبي شقيقه وطرده من القيروان ففر الى مصر ثم الى العراق العربي ولقب عبيد الله الفاطمي نفسه بأمير المؤمنين بعد ان كان مكتفيا بلقب المهدى وأمر ببناء المهدية ليتخذها تختا ويهجر القيروان وشرع حين أشرفت على التمام في فتوحات انقاد له فيها جزيرتا سيسيليا وسردينيا وسار برجال أخذ بهم صحارى برقة وأخذ الجزية سنة ٩٣١ ممن استقلوا بالحكم كالملك الادريسي سلطان المغرب الاقصى وعائلة مكار في مكاسة والمدرارية في سجلماسة والرسطامية في طهرت وغيرها ثم بعد عن تلك البلاد فعاد من بها الى الشقاق وأغار أمير مكاسة فطرد أمير فاس الادريسي الذى بذل عرب زناتة نفوسهم له واستنجدوا الخليفة الاموى صاحب اسبانيا فبعث كتائب مكثت بمدينتى طنجة وسبتة زمنا عملوا فيه استحكامات حربية ثم أغاروا على الفاطمية بفاس سنة ٩٣٣ فاخذوا فاس وتولى الادريسي على جميع المغرب الاقصى من طرف الخليفة الاموى ثم هجم في سنة ٩٥٤ قائد من قواد العساكر الاموية على تونس فضرب عليها غرامات لنهبهم منه قبل ذلك سفينة بها ارقاء لخليفة قرطبة الاموى فسار عبيد الله الفاطمي بجيش من كتامة وصنهاجة مزق بهم سنة ٩٦٠ شمل والى طهرت من قبل الخليفة الاموى ففتحت له مدينتا فاس وسجلماسة أبوابهما وتبعهما سائر

المدن الامدائن سبتة وطنجة وتلمسان لاشتمالها على بقايا جيش والى طهرت ثم ترك المعز لدين الله تلك البلاد فعادت خطبتها الى الخليفة الاموى

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى ترك الفاطميين بلاد المغرب للزيرية وتوطن العائلة الحادية فى مدينة بجاية ﴾

طمع عبيد الله الفاطمى فى اعدام الشوكة الدينية لبنى العباس فى المشرق فوجه الى الديار المصرية عدة جيوش آخرها جيش جوهر القائد الذى فتحها سنة ٩٦٩ ميلادية فاسس بالقاهرة الخلافة الثالثة للفاطمية الذين ذكروا من ذلك الوقت بالتواريخ المشرقية واعرضوا عن الالتفات الى ممالكهم المغربية فعرضوا سنة ٩٧١ على يوسف بن بلقين بن زيرى شيخ قبيلة صنهاجه ان يخلفهم فى الحكم عليها مع الاعتراف بسلطنتهم فقبل وأسس عائلة حكمت أكثر من قرن ونصف تحت يد الاموية أصحاب اسبانيا لانفصال الايالة المصرية عن الاقاليم الغربية وهو اذ ذاك مجتهد فى الاستقلال بالحكم حتى بتس فانضم الى الادريسية وبنى زناتة وأثارهم على الاموية الذين بطشوا بعد ذلك بالادريسية وأزالوا ملكهم من سنة ٩٧٦ الى سنة ٩٨٥ وبابن بلقين وابنه الامير منصور فنكصت الزيرية عن توسيع ملكها سنة ١٠٠٥ ولم يحفظوا فتوحات الاغلبيين فى البحر الابيض المتوسط وذلك ان ملوك الجرمانية ملكوا معظم ممالك ايطاليا فانضمت الزيرية الى اليونان وصدوا من ملوك ايطاليا (أوتون Othon) الاكبر سنة ٩٧٢ وأوتون الثانى فى واقعة بازنتلوا سنة ٩٨٢ ثم هزم أوتون الثالث الزيرية واليونان ولم يبق لهم بايطاليا الا مدينة ترنتة وكان ولاة جزيرة سردينيا يفزعون من مدينتى جنويزة وبيزة لعلو شأنهما وتقدم عمارتهما البحرية وهجموا على جنويزة سنة ٩٣٦ فأخذوها عنوة فاحترس أهلها من مثل ذلك وغاب عن بيزة شبانها فهجم عليها الزيرية سنة ١٠٠٥ وكادوا يأخذونها لولا امرأة شجعت الناس فنجت بها المدينة من الزيرية الذين لم يكن لهم فى داخل بلادهم شوكة

وقصر

وقصر حكمهم على اقليم تونس والساحل ومدينة الجزائر ومدينة بجاية ونحوهما وابت كتامة الانقياد لابن بلقين شيخ صنهاجة وساعدت الاموية على قبائل زناتة وكان من الزيرية أمير يسمى حمادا استقل فى جنوب سهول بجاية بالحكم على مدينة أشير وأمراء آخرون بعضهم متوطن بمدائن مختلفة وبعض يحكم قبائل فى البرارى وبالجملة كانوا محصورين فى قواعد بلادهم منهمكين فى افناء أموالهم الوافرة فى زخارف قصورهم وأوطارهم البهيمية وأحوالهم الفاسدة التى ظن بها الناس ان لايبقى التمدن فى عصر هؤلاء على ما كان عليه فى افريقية أيام الاغلبية الا أن اتصال الايالة المصرية وما فيها من ارتفاع منار العلم منع ماتقتضيه تلك الاحوال الفاسدة

هذا ما كان عليه عرب افريقية فى ابتداء القرن الحادى عشر بعد الميلاد من أخذهم فى الانفصال واقترابهم من الانحطاط وكذلك كان عرب اسبانيا بعد ان مضى عليهم عصر طويل نالوا فيه عظيم الفخار والسلطان

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى عز اسبانيا وجلالتها زمن الاموية وخلافة عبد الرحمن الاموى الاول﴾

لبث هذا الخليفة بجزيرة اسبانيا على حالة التمدن مفارقا للجهالة والخشونة التى كان عليها الأمم الغربية ثلثمائة سنة خضع فيها من فى أوروبا من المسيحيين لسلطان القوة وعنيت فيها العرب بتحصيل العلوم والفنون اختيار الاجبارا كما فعل الفرنج امتثالا لملكهم شرلمانية وشاركت الخلفاء الرعايا فى الآراء العامة واشتياقهم الى تقدم المعارف والصنائع وظهرت فى اسبانيا مبادى التمدن العربى من سنة ٧١١ بسبب نظامات احدثتها الفتوحات الاسلامية ثم كان بها حروب أوقفت ادارتها السياسية حتى جلس عبد الرحمن الاول الاموى على سرير الخلافة سنة ٧٥٥ فازالها واتبع الشعائر الدينية فأثبت فى عقول رعاياه احترام عائلته الاموية والشعائر الدينية فنمت فى أسرع وقت جميع وسائل

السعادة العامة وذهب من اسبانيا ما كان بافريقية والممالك الشرقية من التعصب الدينى الموجب اراقة كثير من الدماء لانعزال فرق العقائد عن السياسة وانحصارها فى علمى الآداب الدينية والفلسفة ولم يخرج جدالها عن منهج الاعتدال ولبث عبد الرحمن الاول فى الخلافة الى سنة ٧٨٧ حسن النظر السيامى لطيف الطبع شجاعا يوثر ماتنتجه الفنون والصنائع من الاعمال الجليلة وما تبتدعه العقول السليمة من الاشياء التى ترفع العقل وترغبه عن الزينة والتحلى بالجواهر الثمينة لقبته رعاياه بالعادل لما يرون من ان العدالة أول الفضائل

المبحث التاسع

فى اقتفاء خلفاء عبد الرحمن الاول آثاره وفى فخامة عبد الرحمن الثالث

ولى الخلافة بعد عبد الرحمن الاول ولده هشام سنة ٧٨٧ غلب عليه الحلم والاحسان فاحبته رعاياه وانشأ عدة عمارات اكتسب فيها الفقراء والمساكين فضلا عما يفيضه عليهم من بحار زكاته وصدقاته نصح قبل وفاته ولده الحاكم بقوله يابنى ان الممالك ملك لله وهو يؤتيها من يشاء وينزعها ممن يشاء كما يختار وحيثما انه قد أجلسنا على سرير سلطنة اسبانيا فلنشكره جزيل الشكر الابدى ولنصنع الخير بخلقه لنكون عاملين طبق أوامره المقدسة فانه تعالى لم يجعل فينا الشوكة العظمى الا لنفعل الخير بعباده فلتجعل عدلك مستقيما بين الغنى والفقير وعامل جنودك برفق وبر وأمرهم بالحماية عن البلاد وانههم عن الظلم والجور بين العباد وحام عن الفلاحين الذين نفقات من نتائج أشغالهم واستلفت نظرك نحو مزارعهم ومحصولاتهم حتى تكون الرعية سعيدة الحال فى ظل سلطنتك ولتتمتع الرعية فى الامن بخيرات الحياة ونعيمها توفى سنة ٧٩٥ فخلفه ابنه الحاكم وكان متكبرا قاسيا غليظ الطبع معتزلا عن الناس فاضاع

بذلك

بذلك بهجة علمه وشجاعته اعتراه عند كبره خبل حمله على الانتقام حتى غلبت عليه الحسرات عند موته سنة ٨٢١

فخلفه ابنه عبد الرحمن الثانى المعاصر للمأمون العباسى وكان كجده هشام فى الحلم والاحسان زائدا عليه بشدة رغبته فى الفنون حف بالشعراء والبارعين فى الموسيقى فأحدث فى أخلاق عرب اسبانيا عظيم الرقة حتى اختص ذلك بعد بالطائفة الشوالية عاقب جارية فعلت غير مراده بسد باب مكانها بقطع من فضة وكلفها هدم ذلك بيدها مات سنة ٨٥٢

فخلفه محمد الاول الى سنة ٨٨٦ والمنذر الى سنة ٨٨٨ وعبد الله الى سنة ٩١٢ سلكوا المسالك الجيدة فى تدبير الممالك ولزموا العدل غير أنهم لم ينشؤا مبانى لمقاتلات داخلية

ولى بعدهم الخلافة عبد الرحمن الثالث سنة ٩١٢ فادخل فى اسبانيا علوم بغداد واجتهد فى تقديم العلوم والفنون وجمل قرطبة ومدائن الاندلس بالمبانى الفاخرة و بنى قرب قرطبة لجاريته زهرة قصرا وصفته التواريخ العربية بما لا يتصوره الذهن وكان عصره أزهر أعصر خلفاء الاموية فى اسبانيا لذهاب الشقاق والمخاصمات التى أطفأ نارها قريبه الامير المظفر وانقاد له المغرب الاقصى فى أفريقية وبالجملة كان حائزا للنصر الحربى والعلم الفائق والمال الوافر والزينة وجميع أسباب الاشتهار الدنيوى الا أنه كان سيئ البخت حيث قتل من أولاده واحدا كان يحزب الناس عليه ليتولى الخلافة بعده ثم كف نفسه عن جميع الملاذ حتى مات سنة ٩٦١ فوجد فى بعض أوراقه مانصه انه قد مضت خمسون سنة من منذ ما توليت الخلافة وتمتعت بعلو الشان وكثير من خزائن الاموال والملاذ والحظوظ حتى أنفدت كل ماظفرت به منها وان الملوك المقارنين لى فى عصرى يعتبروننى ويخشوننى ويغبطوننى وجميع ماتشتهيه الرجال قد أنعم به الله على من فضله وقد أحصيت فى مدة خلافتى التى قضيتها فى العز والسعادة الظاهرة الايام التى ظننتنى فيها سعيدا فرأيتها أربعة عشر

يوما فياأيها الناس قدروا بعقولكم ماقيمة عظمة الملوك والدنيا والحياة

﴿ المبحث العاشر ﴾

﴿ فى مجد الحاكم الثانى وهشام الثانى وحكم المنصور ﴾

تولى الحاكم الثانى الخلافة سنة ٩٦١ فاعمل فكره فيما فيه سعادة الرعية وتكثيرا لأشغال العامة النفع وعدل عن الزخرفة فكثرت الاموال فنقص الخراج ثم مات بعد ١٥ سنة وابنه هشام الثانى طفل فتولى حكم اسبانيا المنصور الذى كان مقلدا بحجابة الخليفة حتى مات سنة احدى وألف نخلفه ابنه عبد الملك الملقب بلقب أبيه والجارى على نهجه حتى مات سنة ثمان وألف فتولى الخلافة هشام الثانى وعجز عن مقاومة الاعداء لسوء تدبيره فاخذت الدولة فى الانحطاط

﴿ المبحث الحادى عشر ﴾

﴿ فى سياسة الاموية باسبانيا واضطرابات تلك المملكة زمن خلافتهم ﴾

تولى الاموية الخلافة بقرطبة ثلاثة قرون فعلوا فيها فوائد نفيسة منها انهم لم يصرفوا ايراد اسبانيا فى الغزوات البعيدة وأضمروا بغض بنى العباس الذين قتلوا الاموية بدمشق وسلبوا الخلافة منهم وأراد الامير يوسف أن يحكم اسبانيا نائبا عن خلفاء العراق العربى فصدت الاموية غارة معاهده على بن مغيث والى قيروان من غير أن يشهروا سلاحا واستمالهم اليونانية فى سنى ٨٢٣ و ٨٤١ و ٨٤٩ الى قتال عرب ممالك الاسلام المشرقية فقبلوا ذلك ووعدوهم المساعدة ولكن لم يفعلوا من ذلك شيأ وكان بالمغرب الاقصى قبائل الزناتة عاصين ففتحوه سنة ٩٣١ بعد ذهاب كثير من الرجال والنقود ولم يحدثوا نزلات الا فى افريقية بل اقتصروا منها على المغرب الاقصى لسهولة بعث جيوشهم اليه وأوقفوا بفتحهم المغرب تقدمات الفاطمية العازمين اذ ذاك

على

على الاغارة على اسبانيا قبل الديار المصرية ولم تزل قرطبة مركز حكومتهم ثلثمائة سنة تخلفوا فيها مع انحصار القوة النافذة الحكم فى رجل واحد منهم الا أن الفتن مازالت تشتعل بينهم ويطفؤنها ومنها ما كان فى ابتداء القرن الثامن الميلادى فان عبد الرحمن الاول عهد بالخلافة لابنه الثالث هشام الاول فشق ذلك على ولديه الاول والثانى وهما سليمان وعبد الله اللذان حاربا أخاهما سنة ٧٨٩ ليسلباه الخلافة أو يستقلا ولو فى اقليمى مريدة وطليطلة فهزمهما فى واقعة بلش ثم انقادا له وعفا عنهما ثم مات سنة ٧٩٦ ميلادية وخلفه ابنه الحاكم فثار عليه عماه سليمان وعبد الله فى كثير من ولاة البلاد طالبين قسمة اسبانيا اثلاثا فهزمهم الحاكم فى واقعة لرقة ثم فى واقعة أخرى بسهول مدينة مرسية سنة ٨٠٠ التى مات فيها سليمان وقد عفا عن عبد الله ثم مات سنة ٨١٢ فخلفه ابنه عبد الرحمن الثانى وسارع بجيش الى مدينة والنسة التى وثب اليها عبد الله عم أبيه فى كثيرا ستاجرهم من رجال افريقية فخيره بين الحرب والانقياد اليه فاختار الحرب ثم نكص عنها لامر رآه وألقى نفسه بين الخليفة عبد الرحمن سنة ٨٢١ فقابله بالاحترام وأباح له التصرف فى أمواله الخاصة ثم سعى أولاد الامير عبد الله سنة ٨٩٥ والخليفة عبد الرحمن الثالث سنة ٩٤٩ فى تقويم الرعية فاخمدا نار تلك الفتنة بتدبيرهما ولم يكن بين الخلفاء الاموية غير هذه الحرب الى القرن الحادى عشر بعد الميلاد وأما ولاة الاقاليم الاسبانية فقد أبدوا للخلفاء معارضة ولم يمتثلوا أوامرهم الا خوف ان يسلبوا مناصبهم بل طمعوا فى الاستقلال حين رأوا أنفسهم ذوى قوة واستعدوا للاعلان بالاستقلال اذا رأوا خليفة حلت به مصيبة وأما الولاة الذين أوقعوا المسلمين فى أكبر الورطات بعد تشتيت أحزاب الامير يوسف فهم ولاة كارمونة وبايظة المعينين لعلى بن مغيث على غزواته سنة ٧٦١ ووالى طرسوس المساعد للامير سليمان وأخيه عبد الله على عصيانهما مرات ثم أضرم القتال فى شمال اسبانيا مدة سنة ولاة سراقسطة ومريدة وطليطلة وحوسقه حين حثهم على ذلك رجلان لا يعرف أصلهما وهما عمر بن حسن

وابنه كالب وكان عمر لصا يقطع الطريق ثم سار بولده الى بلاد بين بلاد النصارى والمسلمين مظهرا أن يسكن بلادا حائدة عن الفريقين يعتبر فيها الدينين على السواء ثم عضده كثير من الولاة والقواد وحكم من سنة ٨٦٣ الى سنة ٨٦٦ أكثر اقليم اراغون ثم غلبه الخليفة محمد فالتجأ الى جبال برينة بين اسبانيا وفرنسا وألف جوعا فتحوا بمساعدة ملك ايالة نوارة اقليم اراغون ثانيا من جبال برينة الى نهر ابرة ثم قتل فى واقعة ايبر فاخذ ولده كالب بثأره وشد عزمه لمقاومة المنذر وأخذ طليطلة وكذا قونسة سنة ٨٨٦ بعد أن فتحت له أبوابهما ثم سار بجيوشه حتى قرب من الوادى اليانع ومن الوادى الكبير وهو يثير أعداء الخلفاء عليهم فى سائر الجهات من سنة ٨٨٨ الى سنة ٨٨٩ ميلادية وملك جميع البلاد من مدينة طالورة الى منبع نهر التاج وكذا ايالة اراغون وجزء من ايالة قطالونية والسواحل من مدينة طرسوس الى مدينة مرسية وارتاح من مناوشات المسلمين فاصر على الاغارة على النصارى فانهزم فى واقعة زامورة سنة ٨٩١ وتعصب عليه الخلفاء الاموية وملوك مملكة ليون فانتصر عليه الخليفة عبد الرحمن الثالث سنة ٩١٣ فانقاد له جميع الجهات الشرقية من اسبانيا ورجع اليه بعد شهر مائتا مدينة فلم يبق بيد كالب الا طليطلية ومدن قليلة من ايالة اراغون وبقى بعد ذلك عشر سنين مقاوما لاعدائه المذعورين من بطشه الشائع ثم مات بعد سنة ٩٢٢ فتفرق حزبه الا طليطلية فان سكانها يهود ونصارى كانت لهم الغلبة السياسية فى اسبانيا ثم انقادوا للحكم الاسلامى قهرا حتى انتهزوا فرصة عصيان الاموية فما زالوا كذلك مرتقبين ان يعود اليهم ماذهب حتى كابدوا بعد موت كالب أهوال المجاعة فانقادوا سنة ٩٢٧ وكانوا قبل حزب كالب مجبورين على الانقياد للحاكم سنة ٨٠٠ وعبد الرحمن الثانى سنة ٨٢٨ الى سنة ٨٣٨ ومحمد الاول سنة ٨٥٣ الى سنة ٨٥٩

وكان فى هذه المدينة من أنواع العصيان الهائلة مالم يوجد فى عصيان مدينة

مريدة سنة ٨٢٧ وعصيان جبال الويرة سنة ٩٢٦ الناشئين عن التشديد في تحصيل الخراج وان ترتب عليهما مقاتلات في نواحي البكرزا وشواطئ نهر التاج كما عصت قرطبة الحاكم ابن هشام سنة ٨١٧ ميلادية حين رتب لحفظه خفراء جعل لهم جمارك المتاجر المجلوبة من البلاد الاجنبية فكان بذلك في سائر الجهات ثورة أراد الخليفة العقاب عليها فانقض الناس على خفرائه وذبحوا منهم كثيرا فسار بمماليكه وعبيده لقمع أهل قرطبة فهرب من وجد له مفرا ونهبت بيوتهم في ضواحي المدينة وارتحلوا بعائلاتهم من اسبانيا وتوجه بعض الى ناحية فاس فاكرمه أميرها ادريس بن ادريس وصار الباقي لصوصا بحرية نهبوا الاسكندرية وفتحوا سنة ٨٢٠ جزيرة كريد ثم أنشؤا فيها مدينة قندية سنة ٨٤٣

وكان الاوائل من خلفاء عبد الرحمن الاول يتخذون خفراءهم من مغاربة الزناتة ثم أحضر عبد الله من القسطنطينية سنة ٩٠٠ من الميلاد ومن بعده أرقاء من سلاوونية وعلموهم حركات السلاح واتخذوهم خدما انتفت بهم المشاجرات بين العرب وبربر افريقية من سنة ٧٥٥ الى سنة ١٠٠٨ ميلادية ولم يكن لهم دخول في السياسة لقوة الخلفاء حتى أخذت الدولة في الانحطاط في ابتداء القرن الحادي عشر فظهر تداخلهم في الامور السياسية

﴿المبحث الثاني عشر﴾

﴿في حروب المسلمين مع النصارى باسبانيا﴾

كان عرب اسبانيا متوطنين في أقاليم سبتمانية خلف جبال برينة لديهم مخاصمات واضطرابات مع احتياجهم الى مقاومة النصارى بأقاليم استورية و بلاد الغالة وجبال برينة وجبال مملكة أوقييد وكذا بحدود ايالة جاليسة فان الامير بيلاد الغوطي ألزم أمراء اسبانيا قبل عبد الرحمن الاول ان يتركوا بهذه الحدود امارة صغيرة تاوي اليها النصارى

ثم ولي عبد الرحمن الاول الخلافة فوجد هذه الامارة ثابتة الاساس في شمال

نهر منهو وسكان جبال برينة يمنعون الجيوش الاسبانية من المرور باقليم قطالونية الى بلاد سبتمانية حين حاصر مدينة نربونه الفرنساوية والملك (بپين Pépin) القصير سنة ٧٥٦ ميلادية فضم هذا الخليفة اليه ملوك أوقيد وأوقع الرعب فى قلوب هؤلاء النصارى حتى انقادوا لأن يؤدوا الجزية كل سنة عشرة آلاف أوقية ذهب وعشرة آلاف رطل فضة وعشرة آلاف فرس وعشرة آلاف بغل وألف ذراع من الزرد ومثلها من الرماح والسيوف ثم بلغه تسليم مدينة نربونة لمحاصريها وضياع جميع اقليم سبتمانيا من العرب سنة ٧٦٠ ميلادية وظن أن لاقدرة له على فتح الدرب لتمر جيوشه من جبال برينة ثم خلط شرلمانيه ملك فرنسا الرومانيين بالجرمانية ثم أغاروا على ايالتى قطالونية واراغون وخربوا جميع ما مروا عليه من البلاد حتى بلغوا شواطئ نهر ايرة ثم غدر بهم حين رجوعهم من جبال برينة النواريون والوسقونيون المنضمون الى العرب وقتلوا (رولند Roland) ابن أخ شرلمانيه وأخذوا غنائمهم وعاد لعبد الرحمن الاول ايالتا قطالونية واراغون الا مدينة جيرونية فدخلت سنة ٧٩٣ تحت طاعة ابنه هشام الذى بعث جيشا بفتح سبتمانية ثانيا فاخذ نربونة فكلف شرلمانيه ولده لويز ملك ايالة اكيتانيه ان يحارب العرب فكان بينهما بحدود جبال برينة من سنة ٧٩٦ الى سنة ٨١٢ ميلادية حرب أخذ فيها لويز بلاد نوارة وما بين ابتداء السجر الى ساحل البحر من بلاد قطالونية وانضم الى الفرنساوية نصارى استورية فى أكثر غزواتهم فامتنعوا من تادية الجزية وشهروا السلاح وعساكر المسلمين مفرقة اقساما مع ضعف شوكتهم بعدم امتثال الولاة والقواد فاحتموا من النصارى

وملك القس الثانى المتسلطن سنة ٧٩٣ الى سنة ٨٤٢ مابين ابتداء نهر منهو وشواطئ نهر الدويرو وحصر مقاتلته العرب فى حوالى مدينة زامورة ومات الملك شرلمانيه فاستقل ولاة البلاد بالحكم وقاتلوا الجيوش الاسلامية عند مرورها باسبانيا وتلقب والى نوارة سنة ٨٣٥ بالملك وأخذ يغير على بلاد

قسطيلة

قسطيله واراغون فكان اذ ذاك بين النصارى والمسلمين حرب عمت دماؤها الارض فان الخلفاء وملوك النصارى وان تهادنوا مرات على ترك الحرب الا أن سكان الحدود الفاصلة بين البلاد الاسلامية والنصرانية لم يكن بينهم مهادنة بل كانوا دائما يتواعدون الملاقاة فى تلك الحدود ثم كان سنة ٨٧٢ واقعة على شواطئ نهر صهاجون الملتقى بنهر الدوير وقاتل فيها عساكر ملوك نوارة وليون تحت لواء واحد وسفك فيها كثير من الدماء ولم يظهر أحد الفريقين على الآخر وسنة ٨٧٨ واقعة فى سهول مدينة زامورة نصر فيها الملك الفنس الثالث المشهور بالاكبر وملك فى هذه الواقعة زامورة وتيسر له السبيل الى البلاد المروية بنهر التاج فأغار أهل غاليسة على مدن ويزو ولاميغو وقومبرة وسالمنك حتى مدينة طالورة فظهر كنتات قسطيلة وانتهزوا الفرصة بعصيان عمر بن حسن وابنه كالب فى توسيع دائرة شوكتهم

ولم تزل الاموية مشغولين بما بينهم من المشاجرات الداخلية عن محاربة النصارى الذين تقدموا فى غزواتهم حتى كان بين كنتات قسطيله وملوك نوارة وليون تنازع انتهز به الخليفة عبد الرحمن الثالث الفرصة فى اعادة عصاة المؤمنين الى طاعته وقد حرض أولاد كالب راميرا الثانى فجال فى البلاد حتى بلغ طالورة ففتك بها ضربا بالسلاح واحراقا بالنار فبعث عبد الرحمن جيشا هائلا الى بلاد غاليسة ومملكة ليون فهزموا ملك ليون على شواطئ نهر الدوير وسنة ٩٢٩ ثم سار النصارى سنة ٩٣٤ فى بلاد لوزيتانيا حتى بلغوا مدينتى بداجوز واسبونه ورجعوا خوفا من الجيوش الاسلامية

واستنفر الخليفة عبد الرحمن الناس للجهاد سنة ٩٣٨ ميلادية وحاصر زامورة محصنة بسبعة أسوار وخندقين مملوءين ماء وهجم عليه راميرا الثانى بعساكره ثم انهزم فدخل جيش المسلمين زامورة بعد ان هدموا جانبا من سورها فرأوا خندقا أرادوا اجتيازه ففتك بهم النصارى وقتلوا منهم كثيرا جعلهم من بقى من المسلمين كالقنطرة وعبروا عليهم الى الجانب الآخر من الخندق ثم دخلوا المدينة

ولبثوا بعد ذلك سنتين يحاربون النصارى و ينصرون عليهم حتى طلب رامير الثانى سنة ٩٤١ الهدنة خمس سنين فامتدت حتى مات الحاكم سنة ٩٧٦ ميلادية ومع ضعف النصارى عن تجديد حرب المسلمين لاضطرابات فى مملكة ليون أثارها كنتات قسطيله وملك نوارة ولم يدهمهم الخليفة عبد الرحمن مع استعداده لاستحسان تمتعه بفوائد الصلح ثم عقد مودة مع (شنس Sanche) ملك قسطيله ثم ولى هشام الخلافة وله ١١ سنة تحت وصاية امرأة تخشى المسلمون من النصارى حتى ولى الصدارة محمد بن عبد الله بن على المشهور فى جميع الاندلس بشدة العزم وغزارة المعارف ففرحوا لهذا الوزير الذى استنفرهم للجهاد وأعلمهم انه يريد فتح جميع اسبانيا وحلف ليؤيدن البغضاء للنصارى كما حلف فى الازمان السالفة القائد عنبال ليؤيدن البغضاء للامة الرومانية وأخذ يقود كل سنة جيشا يجول به فى بلاد ليون وغاليسه وقسطيله ونوارة وقطالونية ثم يعود الى محطاته الاسلامية ليقتسم الغنائم خرب سنة ٩٧٨ بلاد غاليسه فلقب بالمنصور الذى غلب عليه من ذلك الوقت وأخذ فيما بين هذه السنة وسنة ٩٨٣ مدينتى ليون واسترغة وتوجه سنة ٩٨٤ الى بلاد قطالونية فحارب (بوريل Borel) والى برسلونة من طرف فرنسا وهزمه فوجب على سكان بلاد قطالونية ان يفتدوا أنفسهم وأموالهم ثم أغار الوزير المنصور من سنة ٩٨٦ الى سنة ٩٩٤ على بلاد غاليسه عدة مرات وصل فى احداها الى مدينة ثمبستله وأحرق فيها الكنيسة المشهورة للقديس يعقوب وأخذ نواقيسها فوضعها بمسجد قرطبة وهزم فى سنة ٩٩٥ ملك غرسية ثم توجه لقمع الزناتة الافريقية فعاد النصارى الى المحاربة وعاد بوريل المطرود من برسلونة الى ممالكه بمساعدة فرنسا ثم عاد هذا الوزير بعد اطاعته الزناتة الى اسبانيا فهزم النصارى فى واقعة مرورة سنة ألف ميلادية فاتفق شنس الاكبر وملك قسطيلة والفنس الخامس ملك ليون وحاربوا هذا الوزير سنة ١٠٠١ فى نواحى قلعة النسور يوما لم يظهر فيه أحد الفريقين على الآخر ثم هجم المتدرعون من الجيوش النصرانية واخترقوا الجنود الاسلامية طولا وعرضا

وذبحوا

وذبحوا منهم كثيرا ثم فر بهم هذا الوزير مصابا بجروح ولم تتبعه النصارى لجمود نوتهم ولبث مدة لا يداوى جروحه كراهة له فى الحياة بعد هذه الهزيمة التى كانت أول هزيمة له ثم مات فأظهر المسلمون عظيم الاسف عليه

وخلفه فى الوزارة ابنه عبد الملك وأخذ يحارب النصارى فى سهول قطالونية وليون من سنة ١٠٠١ الى سنة ١٠٠٨ وكان النصارى يفوقون عرب اسبانيا فى معرفة الفنون الحربية وعلى شريفهم ووضيعهم اتباع الملك فى الغزوات بخلاف عرب اسبانيا فمخيرون فى السفر للجهاد الا اذا استنفروا فينفرون جميعا مدة محدودة ولذا كان للنصارى الفوقان عليهم فى المعارك الحربية وأما نصرات الوزير المنصور فلحمية كان يثيرها فى عساكره الذين كان اندفاعهم على الاعداء لا يقاوم نعم كان للعرب فى المعارك البحرية قوة لا تعادل مع ما كان لهم فى مينيات قادس والجزيرة والمنقار والمرية وطرطوس وطراغونة من السفن المصنوعة بالمدن الثلاثة الاخيرة ومدينتى قرطاجنة واشبيلية وكان من الرعية كثير يجهز سفنا تجارية ينقل فيها تجارات المشرق الى اسبانيا ومنهم من يصنع للسرقة سفنا يغير بها على سواحل اسبانيا وفرنسا وايطاليا وتعود عرب اسبانيا لبس الدروع والزرد وقضى رؤساؤهم شبيبتهم فى تعلم حركات المزاريق والسيوف التى استعملوها حين فتكهم بالنصارى الذين لم يعرفوا ذلك ان يقدموا تعلم الفنون الحربية على الفلاحة أو التمتع بالملاذ الذى استلزمه تقدمهم فى التمدن

﴿ المبحث الثالث عشر ﴾

﴿ فى انشاء عرب اسبانيا نزلات ومحال اسلامية فى جزائر البحر الابيض المتوسط ﴾
﴿ اقتداء بما فعله الاغلبيون وفى دهمهم اقليم برونسه وانشائهم نزلة فى ﴾
﴿ مدينة افركسينيت وفى غارات القوم النرغانية ﴾

توطن العرب سنة ٨٢٠ ميلادية فى جزائر بلياره وأخذوا سنة ٨٤٠

جزيرة قرسقة فبقيت مستقلة عن غيرها بالحكم الى سنة ٨٥٠ وخربوا
نواحى مدينتى مرسيليا وأرلس مرات ووجدوا فى نواحى مدينة سنتروبز
بقعة يمكنهم ان ينقضوا منها على جميع اقليم برونسه فنزلوا فى محطة افركسينيت
سنة ٨٨٩ ومكثوا فيها جميع القرن العاشر تزوج بعضهم نساء تلك الجهة
واشتغل بفلاحة أرضها واشتغل بعض بقطع مرور الناس من فرنسا الى ايطاليا
ثم جال سنة ٩٣٥ فى اقليمى تارنتيزة والس ثم فى بلاد سويسة التى نهبها المجر قبل ذلك
وألزموا سكان مدينتى فريجوس وطولون سنة ٩٤٢ بالمهاجرة منهما وقد همت
مملكة سويج ونرويج المسماة أيضا بالمملكة الاسكنديناوية بالغارة على اسبانيا
حيث أخرجت سنة ٨٤٣ فى أرض لوزيتانيا المسماة الآن بمملكة البرتغال فى
غرب اسبانيا جيشا من النرغانية للاستيلاء على مدينة لسبونة التى استنجد
والبها جيرانه لصدهم فذهبوا الى مدينة صيدونة باقليم الغرب ودهموها وساروا
سنة ٨٤٤ فى نهر الوادى الكبير حتى بلغوا اشبيلية فنهبوا نواحيها وأرادوا
التوطن بها فاجلتهم مشايخ القبائل العربية وأرسوا سفنهم قرب مدينتى ملاغة
وقرطاجنة فنهبوا المسجد الشهير بمدينة الجزيرة ثم ارتحلوا وأفرطوا فى النهب
والتخريب فحافظت الخلفاء بالسفن فى جميع جهات السواحل وبعثوا لطرد هؤلاء
النرغان سفنا حربية طردتهم وبعدت فقد شوهد منها سفينة فى مصب نهر
لوارة فى غرب فرنسا على ما هو مدون فى التواريخ القديمة باللغة الانكليزية

﴿ المبحث الرابع عشر ﴾

﴿ فى اتساع أفهام العرب الاسبانية وحسن اخلاقهم واستعدادهم العقلى ﴾

فاق عرب اسبانيا الفرنج فى العلوم والصنائع والاخلاق كبذل النفس
والكرم مع ما امتازوا به من معرفة قدرها وعزتها الناشئة عما اعتيد
عندهم من تلاقى الخصمين بالسلاح ولذا حلف بعض قواد العساكر أن
لا يعود الى مقابلة الخليفة عبد الله حين سخر من لحيته وقد أبر فى يمينه

وأيقنت الفرنج ملوك قسطيله ونوارة بصداقة عرب اسبانيا واكرامهم الضيوف فذهب عدة منهم الى قرطبة يستشيرون حكماءها المشتهرين بالطب وكان هؤلاء العرب فى سائر الجهات منقادين لأبى العائلة مبجلين للشيوخ ذوى غيرة شديدة على مراعاة العدل أفقرهم كأكبرهم فى الاعتناء بحفظ العائلة من العار لايمنع خمول أصل أحدهم من الوصول الى أرقى المناصب غير معولين فى اعتبار الشخص على شرف حسبه ونسبه فقط بل مع اعتبار فضائله واخلاقه لانهم لم يكونوا اذ ذاك باقين على ما كانوا عليه زمن فتح اسبانيا من الاضرار بالحرية البشرية لتغلب الدين على عقولهم بل كانوا متفننين فى الفهم والعمل بالقرآن الدال على أهمية اكتساب الفضائل والاعمال الصالحة ولذا كان الخلفاء يشوقون الناس الى الشغل ووقاية الاملاك من العدوان وكان قضاتهم يرون أنفسهم كالمحكمين بين الخصوم لاقضاة ولايتجاوزون الرفق بالناس الا نادرا

والذى ساعد هؤلاء العرب على بلوغهم شأو العظمة اتساع العلوم والفنون والفلاحة والصنائع ذاق جميعهم لذة المعارف وتنافسوا فى ابتكار مايمتازون به وكان اقتراحهم الشعر يرفع قدر نفوسهم ولابد لقضاتهم من حوز معلومات غويصة حتى يعتبرهم الناس زمن قيامهم بوظائفهم وكانوا يكتبون على جميع المبانى الجليلة اسمى المهندس والآمر بالتشييد ويجزلون الثناء على كل ماهر فى فن وقد بلغوا الدرجة العلية فى فنون العمارة والموسيقى والقريض ولذا اقتفى الفرنج أثرهم فى أساليب ابنيتهم وزخارفها وأتقن على بن زناب اجناس الاصوات وما فى الصوت البشرى من الوسائل والطرق النغمية أنشأ فى قرطبة مدرسة وركب للعود وترا خامسا بعد أن كان باربعة ومارسوا ضروب الشعر خصوصا نظم الحكايات المشتملة على نكت مشوقة فبرع فيها كثير من الرجال وبعض النساء وتعلموا فى المدارس علوم الفلك والجغرافيا والمنطق والطب والنحو والهندسة والجبر ومبادى علم الطبيعة والكيمياء الطبية والتاريخ الطبيعى وهو علم المواليد

الارضية الثلاثة ملئت كتبخاناتهم نسخا منقولة من كتب قدماء العلماء اليونانيين ومن كتب فلاسفة الاسكندرية واستمد جوبرت بابة رومية المدائن آخر القرن العاشر من اسبانيا معارف عجب منها أبناء عصره من النصارى فاتهموه بالسحر

﴿المبحث الخامس عشر﴾

﴿فى صنائع عرب اسبانيا وتجارتهم وفلاحتهم ومبانيهم وأشغالهم العامة﴾

فاق عرب اسبانيا غيرهم فى الصنائع عثروا على معارف الرومان والفنيقيين فاستخرجوا بها المعادن المطروقة وعلى معادن أخرى كمعادن الزئبق وكذا معادن الياقوت التى وجدوها قرب مدينتى ملقا وبجاديكاميربس واستخرجوا من البحر بقرب سواحل الاندلس المرجان وبقرب طراغونة اللؤلؤ وأتقنوا صناعة الدباغة ونسج القطن والكتان والنيل وبلغوا أقصى الغايات فى صناعة الأقمشة الحرير والصوف ولم يتحدث الناس بالمشرق وسواحل أفريقية الا فى حسن صناعة نصال السلاح بطليطلة والحرير بغرناطة والسروج والجلود السختيان بقرطبة ورغب جميع أهل أوروبا كل الرغبة فى الجوخ الازرق والأخضر المصنوع بقونسية والبهارات والسكر والفسة واتجروا مع ذلك فى نحو الزيت ودودة الصباغة والعنبر الخام والبلور المعدنى وهو بلور الصخور والكبريت والزعفران والزنجبيل ولا مانع ان يكونوا استعملوا أوراق الحوالة المسماة بين التجار بالكمبيالة التى عزى ابتكارها الى الامة البردية أو استعملوا طريقة تماثلها

وكانوا يرسلون بضائع الى تجار بالممالك الشرقية فيرسلون اليهم بدلها نحو العود القاقلى والكافور وأكراك السمور الخراسانية والبسط الفارسية وبذلوا غاية عنايتهم فى الفلاحة التى أدوها وبقيت آثارها فى سهل هوسطاة بالنسبة وسهل ويغات غرناطة الواصلين بالرى الى أقصى درجات الخصوبة وقد أبدعوا فى طريقة رى سهل هوسطاة الذى يقسمه الى نصفين نهر طونة الذى يصب فى

البحر قرب والنسة فانهم أوقفوا ماء هذا النهر بجسر مانع على فرسخين من مصبه ثم قطعوا منه سبعة جداول ثلاثة فى شاطئ وأربعة فى آخر يفتح كل فرع منها فى يوم من الاسبوع بحيث يرتفع الماء الى المستوى الضرورى وقسموا كل جدول من تلك الى جداول ثانوية صغيرة يفتح كل منها فى ساعة بعد حصول ذلك الارتفاع حتى يصل الماء الى أصغر مربع من الارض فكان كل جدول مع فروعه على هيئة مروحة ولعدم انحدار ذلك السهل انحدارا هندسيا تدريجيا رتبوا له مساقى صغيرة وقناطر عليها مجارى مياه موزعة على المزارع وبالجملة فعلوا بذلك السهل ما استحق به ان يلقب ببستان اسبانيا وصنعوا لما لا يمكن سقيه بهذه الكيفية ما يسمى لدى العامة بالسواقى وحفظوا مياهها فى حياض أو جداول يصرف منها عند الاحتياج ونقلوا الى اسبانيا الزراعة بقواعدها العلمية من آسيا وكلدة والشام وأخذوا يبذرون الحب فى الارض بمجرد حصاد ما فيها ويأخذون منها كل سنة ثلاث حصائد وزرعوا بها الارز والقطن والتوت وقصب السكر والنخل والفستق والموز ودوحة الكاميلياء الحمراء والبيضاء وأزهارا وبقولا نقلت بعد الى جميع البلاد الغربية من أوربا وورد يابونيا

وكان فى الجزء الذى يملكه المسلمون من اسبانيا ست تخوت وثمانون مدينة كبيرة وثلثمائة مدينة أقل مما قبلها وما لا يحصى من الضياع والقرى والكفور وفى قرطبة وحدها ٢٠٠٠٠٠ بيت و ٦٠٠ مسجد و ٥٠ مستشفى لمرضى و ٨٠ مدرسة كبرى عامة و ٩٠٠ حمام سوق وعدد ساكنها مليون وبذلك يعلم أنها ليست الآن على حالتها القديمة وانه لا وجه لاستغراب ما كانت عليه من عظيم الثروة والزخرفة التى تنافس فى اظهارهما عليها الخلفاء الذين وصلوا الى حيازة ما فى المملكة من الاموال بترتيب العشور والخراج والجمارك وفردة التجار ويؤخذ من ذلك ان وارد هؤلاء الخلفاء كل سنة يبلغ ١٢ مليونا و ٤٥٠٠٠ دينار من الذهب سوى خمس غنائم الحرب وجزية اليهود والنصارى ومع ذلك كله لا يزال

العقل متعجبا من كثرة مابذله عرب اسبانيا فى مبانيهم فان مسجد قرطبة الباقى الآن يضاهى فى الفخامة المسجد الاموى بدمشق طوله ٩٠٠ قدم وعرضه ٢٥٠ قدما وفى عرضه الايمن ٣٨ صحنا والايسر ٢٩ صحنا وفيه ١٠٩٣ عامود رخام وفيه من جهة الجنوب ١٩ بابا مبطنة بصفائح من نحاس التوج (نحاس المدافع) وأوسطها مرصع بصفائح ذهب و باعلاه ٣ أكر مذهبة فوقها رمانة من العسجد وقناديله ٤٧٠٠ أحدها فى المحراب من الذهب الابريز ويصرف عليه كل سنة ٢٤٠٠٠ رطل زيتا و ١٢٠ رطلا من العنبر والعود القاقلى وكانت هذه المدينة تصبح مضيئة وحاراتها مطيبة عما يلقى فيها من الزهور مع استعمال الالحان المطربة فى المتنزهات والميادين العامة

وقد أسلفنا الكلام على مدينة زهرة وقصرها الذى بناه الخليفة عبد الرحمن الثالث على شواطئ نهر الوادى الكبير على فراسخ قليلة من قرطبة ولم يبق له أثر وحكى فيه مؤرخو الاسلام مانصه ان قباب القصر المذكور كانت على ٤٣٠٠ عامود من أنواع الرخام كلها منقوشة بالمزينات على حد سواء وكانت ارضه ومواطنه مرخمة بترابيع الرخام المختلف الالوان بأظرف وأجمل تشكيل وكانت حيطانه مبطنة أيضا بتلك الكيفية وسقوفه منقوشة باللازوردى والذهب وكان فى مساكنه العظيمة فساقى مياه عذبة تنصب وتغيب فى أحواض من الرخام الابيض واليشم المتنوعة أشكاله وكان يشاهد فى قاعة جلوس الخليفة فسقية يخرج من وسطها صورة بجعة من ذهب معلقة فوق رأسها لؤلؤة عظيمة وكانت تلك البجعة قد صنعت فى مدينة القسطنطينية وأما اللؤلؤة فهى هدية أهدى بها السلطان ليون حضرة الخليفة وكانت قد انشئت حول القصر بساتين واسعة وبنى فى وسطها أيضا قصر منفرد لكى يستريح فيه الخليفة بعد رجوعه من القنص وكان هذا القصر المعد للاستراحة مبنيا على اعمدة من رخام ذوات تيجان مذهبة وكان ينبع فى وسطه عين ماء صاف كالزئبق بياضا وتنصب من فم الفسقية على هيئة جرزة القمح فى اناء

مستدير

مستدير مصنوع من الفرفيرى اه

ولم يصرف جميع أموال خلفاء اسبانيا فى المبانى الفاخرة لتزيين المملكة فقط بل صرف بعضها فى عمارات نافعة فقد بنى الخليفة الحاكم قناطر وفتح طرقا وانشأ فيها محطات للسياحين وبنى فى قرطبة مسجدا سماه باسمه وكان انشاؤه باهتمام المقلد فى هذه المدينة بالضبط والربط وقيادة جيوش المملكة وبالتأمل فيما اسلفناه يعلم ان عرب اسبانيا اول الامم المتمدنة فى القرن الحادى عشر بعد الميلاد بل كانوا يفوقون فى ذلك العصر جميع أمم أوربا الا أن ميلهم الى الشقاق أثار بينهم نار الحرب وعجل دمار سلطانهم فى ذلك الزمان المحتاجين فيه الى نفوذ كلمتهم ليتمكنوا من مقاومة نصارى اسبانيا

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ من المقالة الخامسة ﴾

﴿ فى توقيف حزبى المرابطين والموحدين تقدم نصرات النصارى على عرب المغرب (مسلمى اسبانيا) من سنة ١٠٠٨ الى سنة ١٢٣٢ ميلادية الموافقة سنة ٣٩٩ الى سنة ٦٢٩ هجرية ﴾

﴿ وفيه اثنا عشر مبحثا ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى انحطاط الخلفاء الاموية فى اسبانيا وتمزيق خلافتهم المؤسسة بقرطبة ﴾

ولى هشام الثانى الخلافة وليس أهلا للقيام بتدبير المملكة فولى الصدارة المنصور وكانت له نصرات ودّبها المسلمون ان تخلد الحكومة فى ايدى ذريته وخلفه ابنه عبد الملك الى سنة ١٠٠٨ ولم يكن لهشام الثانى أولاد فحضه حزب العربين على ان يعهد بالخلافة للامير عبد الرحمن أخى عبد الملك بن المنصور فأبت الاموية ذلك وكان بين الحزبين تنافس به اتقدت الحرب ست سنين نهب فيها مافى قرطبة مرات وعزل هشام فولى الخلافة محمد بن المهدى الاموى سنة ١٠٠٨ الى سنة ١٠١٠

ثم هشام الثانى من هذه السنة الى سنة ١٠١٢ ثم الامير سليمان أمير العرب الافريقيين ولم يره المسلمون أهلا للخلافة فتجددت خصومات بعد سنتين وازداد هولها بظهور على بن حامد فى عائلة بنى حامد المنتسبة الى على بن أبى طالب من جهة فرع الادريسيين وكان رئيسها على بن حامد حاكما على المغرب من طرف هشام الثانى فما زال كذلك حتى ولى الخلافة سليمان السالف فاثبت نسبه وزعم أنه الاحق بان يخلف بنى أمية فى الخلافة فاخذ وارد اقليم المغرب وأحضر من داخل افريقية كثيرا من الزنج وجند منهم ومن العرب والبربر جنودا سار بهم الى اسبانيا فسهل له النزول فيها وفى مدينتى ملاغة والجزيرة أخوه القاسم ثم عزل سليمان فى أسرع وقت عن الخلافة لكراهة الناس له وولى ابن حامد الخلافة مع بقاء الاندلس بيد بقية من الاموية لو اتحدت كلمتهم لامكن ان يظفروا به لكن عبد الرحمن الرابع والخامس ومحمد الثانى وهشام ابن محمد المتولين الخلافة من سنة ١٠١٧ الى سنة ١٠٢٩ ساء حظهم بحروب قتل فيها اخوتهم وعدم مالهم من بقايا الوسائل الحربية ثم مات على بن حامد فاستقل كل من أخيه القاسم وابنه يحيى بجنود أوقفهم ازاء الآخرين سنة ١٠٢٩ وأصبحت بلاد اسبانيا الاسلامية فوضى لا رئيس لها

وبالجملة ضعف هشام عن تدبير المملكة أفضى الى تداخل أرباب المطامع فى تدبيرها فكان بينهم من الحروب الداخلية مالم يفض الى ابتكار قوة سلطانية بل الى انفصال الأقاليم المنقادة للعرب وصيرورة كل واحد منها مملكة مستقلة

وبالتأمل فيما سلكه ولاة الأقاليم مع الخلفاء الأموية يعلم ما كانوا يستفيدونه فى قتال الاموية مع العلوية فانهم كانوا يعقدون كما يشاؤن شروطا مع أحد المتسابقين الى الخلافة قاصدين بقاء حكومتهم بايديهم زمن حياتهم أو بعد مماتهم فى عائلاتهم بل ألزموا العلوية والاموية ان ينزلوا لهم عما كان بأيديهم من الأقاليم التى كان بها التنازع فى مقابلة تشكرهم تشكر عبودية أوحلفهم لهم على مصادقتهم وذلك سبب احداث الحكومة السيادية الولائية فى اسبانيا

ولم

ولم يكونوا منفردين بحب الاستقلال بل مثلهم الوزراء والقواد الذين اشتغلوا بمصالحهم الخاصة معرضين عن المصالح العامة بلا تبصر فى العواقب فحدث سنة ١٠٢٩ ميلادية بالأندلس سوى الامارات الصغيرة ست ممالك وهى مملكة قرطبة ومملكة اشبيلية ومملكة كرمونه واسيجه ومملكة ملقا ومملكة الجزيرة ومملكة غرناطة وأما طليطلة فصارت تحت مملكة مستقلة عن تلك الممالك وكذا اقليما الجرف ولو زيتانيا كان لهما ملك فى مدينتى لسبونة و باداجوز

وحدث بالساحل الشرقى من اقليم المرية الى مدينة مرويد وثلاث ممالك مملكة مرسية بين المرية ونهر سيجورة ومملكة دنيا من نهر سيجورة الى نهر اكسوكار ومملكة بالنسيا من نهر اكسوكار الى مرويدو وأما الاقاليم الشمالية من بحيث جزيرة اسبانيا فمنقسمة بين ملوك سراقسطة وطرطوس وهوسعه ولو بقى مع هؤلاء الولاة الحكومات الاربع على حدودها الاصلية وهى حكومات قرطبة وطليطلة ومريدة وسراغوسه لما كان انحطاطهم سريعا بتلك المثابة أو أنشؤا قبل عصيانهم الخلفاء معاهدة بينهم لبقى لكل مابيده وأمكنهم مقاومة النصارى الذين احدثوا اذذاك ببلادهم ممالك صغيرة الأن كل واحد استقل بالحكم على جهة مدعيا استحقاقه السلطنة على جميع اسبانيا فاغار كل على الآخر فحل بالامة العربية الدمار بذهاب شجعانها وجيوشها التى كانت تقاوم بها النصارى

المبحث الثانى

فى توسيع ملوك اشبيلية حكمهم حتى عم اسبانيا الاسلامية وعدم نجاحهم فى ذلك وفى شقاق العرب الذى تقدمت به فتوحات النصارى فى اسبانيا

لما تمزقت مملكة الأموية باسبانيا اكتفى ملوك النصارى ذوو الشوكة والمجاورون لهم وهم ملوك سراغوسه و باداجوز بحكمهم ما جاورهم من العرب الى ايالتى اراغون والجرف واشتد حرص ملوك طليطلة على اعلاء شأن الخلافة وكذا ملوك اشبيلية المؤسس لهم الخلافة ابن عباد المسمى أيضا بابن عاضد فانه أشاع

بجميع اسبانيا ان هشاما الثانى ظهر واعترف له بين الناس انه الوارث للخلافة فى مدينة قرطبة ثم مات ابن عباد نخلفه ملوك اشبيلية التى هى من أحسن المدن وضعا وفيها من وسائل العظمة والغنى مالم يكن فى غيرها ولبثوا غير متعرضين للملوك الاصاغر بالأندلس حتى ضعفت قوتهم بالحروب الداخلية فأضرم ملوك اشبيلية حينئذ نارا لوغى وأخذوا مدائن جبل طارق ونيبلة وهو لقة وكرمونة ثم وجد ملك اشبيلية وهو المعتضد الاول المسمى ابن عباد الثانى ان ملك طليطلة هزم ملك قرطبة سنة ١٠٦٠ ميلادية فى واقعة الجوطور وحصره بقرطبة فسارع المعتضد الاول الى نجدته وطرد عنه الاعداء ثم قبض على هذا الملك وأخذ ممالكه ثم أراد التغلب على مدائن ملاغه وغرناطة وايسيجه فصده ملك ملاغه المنتسب لعائلة بنى حامد بجيوش كثيرة ثم خلفه المعتضد الثانى المسمى ابن عباد الثالث فأخذ منه ملك طليطلة مدينتى قرطبة واشبيلية بمساعدة الفنس السادس ملك قسطيلة ثم أخذهما ثانيا لمحبة سكانهما له ومزق ممالك طليطلة التى اتسعت بانضمام مدينة قونسة وعدة خطط وهى خطط مرسية والنسة واليقنتة ثم دهم الملوك المتحكمين على الممالك بعد التمزيق فغلبهم واحدا بعد آخر وأزال السلطنة من مدينة مرسية ثم أخذ مدينتى ملاغة والجزيرة وانتقل منهما الملوك الادريسيون الى طنجة أو سبتة سنة ١٠٧٩ وبلغ ذلك ملوك سراغوسة وباداجوز فتعصبوا عليه فضم اليه سنة ثمانين وألف الفنس السادس ملك قسطيله على ان يعطيه من الفتوحات ثلاث مدائن باداجوز وغرناطة والمرية وأبى أعطاءه طليطلة ثم حاربا فلم يفتحا الا طليطلة سنة ١٠٨٥ فاخذها الفنس فقام جميع الاندلس على ابن عباد وألزموه رفض تلك السياسة الذميمة المؤدية الى أن يملك النصارى جميع اسبانيا ولم تكن عاقبة تلك الحروب الداخلية التى أخذ فيها النصارى طليطلة مجرد تعطل الاشغال والصنائع وخراب المزارع وذهاب عظمة مدينة قرطبة التى

لاتخلفها

لاتخلفها مدينة اشبيلية بل مع حيازة النصارى نصرات جبروا بها ماحصل لهم من الهزائم فى الحقب الماضية وتقدموا شيأ فشيأ حتى بلغوا وسط بحيث الجزيرة

وقد تداخل كونت قسطيله وكونت برسلونة من سنة ١٠٠٨ الى سنة ١٠١٤ فيما كان بين محمد المهدى وسليمان من الحروب التى أخذ فيها هذان الكونتان مدنا جليلة وحصونا فى حدود بلاد العرب ثم أخذ الفنس الخامس مملكة ليون زمن تخاصم الاموية والعلوية وشرع فى فتح الجزء الذى فى جنوب نهر الدويرو ثم مات سنة ١٠٢٦ وهو محاصر لمدينة ويزو وخلفه ابنه برمود الثالث وخاف ان يعدو عليه ملك نوارة حيث ضم الى ممالكه كونتة قسطيلة فوجه برمود عسكره اليه وكان بينهما حرب انقسم بها سنة ١٠٣٥ ممالك نصارى اسبانيا حيث اختص مملكا اراغون وقسطيله بعقد الحرب مع المسلمين وصارت مملكة نوارة تشبه جمعا من عساكر احتياطية وانضمت مملكة ليون سنة ١٠٣٧ الى مملكة قسطيلة التى صارت اذ ذاك خفراء على بلاد النصارى باسبانيا وأخذ الملك فريننـد الاول من سنه ١٠٣٥ الى سنة ١٠٤٤ أقاليم استورية وغاليسة وبسقاية وليون وقسطيله وأخذ فى ايالة البرتغال مدائن ويزو ولاميغو وقوميرة وقوى سلطانه حتى خشى المسلمون باسه وضم ملك اراغون اليه كونت برسلونة وأغار على ملكى سراقسطه وهوسقه فانقادا ودفعا الجزية اليه من سنة ١٠٦٣ الى سنة ١٠٦٦

وكان ماسلف نتيجة المشاجرات التى انقدت بين عرب اسبانيا ثم كان بين النصارى ببلاد قسطيلة سنة ١٠٦٦ الى سنة ١٠٧٣ حروب داخلية خربت تلك البلاد ونجت بها المسلمون من استيلاء النصارى عليهم ومات فريننـد فتنازع أولاده الثلاثة فى تقسيم مملكته فطرد سنش وهو الاكبر أخويه غرسية والفنس من بلاد غاليسة وليون فاستعان غرسية بملك اشبيلية المسمى بالمعتضد والفنس بملك طليطلة المعروف فى تواريخ الافرنج القديمة بالمأمون ثم مات سنش زمن حصاره

مدينة زامورة التى كانت تحت يد أخته الست أو رّاقه (براء مشددة بعد همزة مضمومة) فاحضرت رعيته أخاه الفنس من بلاد الاسلام سنة ١٠٧٣ فتولى جميع ما كان لوالده فريننند وبعث جيشا ساعد ملك طليطلة على أخذه مدينتى قرطبة واشبيلية من المعتضد الثانى مكافاة له على اكرامه له زمن ضيافته ولبث مسالما له حتى مات فعاد لمحاربة المسلمين برجال ذوى شجاعة واقدام منهم سيد (بسكون الباء) وكذا (ردريغ دو بيوار Le Cid Rodrigue be Bivar) الذى أخذ يخرب السهل الممتد من حدود قسطيلة القديمة الى شواطئ نهر التاج من سنة ١٠٨١ الى سنة ١٠٨٥ ميلادية وحاصر هذا الملك طليطلة فساعده المعتضد ومال اليه سكان هذه المدينة الذين أكثرهم يهود ونصارى فالقوا اليه مفاتيحها بعد مبايعته على أن يحترم المساجد ويبقى حكم القضاة بين المسلمين على ما هو عليه وخرج ملكها المسلم بالاشراف فتوطنوا بمدينة والنسة وانقاد للفنس بفتحه هذه المدينة جميع الحصون التى أمام نهر التاج وهى مقدة ومدريد وغواد الكسارة وقورية وأما بلاد الوادى اليانع فاخذها بالسيف

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى ترك المسلمين جزأ من أملاكهم فى البحر الابيض المتوسط﴾

كما أخذ النصارى من المسلمين بلادا باسبانيا أخذوا منهم بلادا فى جزائر البحر الابيض المتوسط فقد خرج أهل جنويه وبيزة فى جزيرة سردينيا وطردوا منها الحاكم عليها من طرف الزيرية الذين أرادوا فيما بعد الاستيلاء على تلك الجزيرة ثانيا فبعثوا جيشا من افريقية فصدهم أهل بيزة وقتلوا سائرهم قرب مدينة كاليارى

وأخذ أهل جنوية جزيرة قرسقه من لصوص الاندلس المتحكمين عليها حين تخلى المسلمون عنها وكان العرب اذ ذاك يغيرون على بلاد ايطاليا فوجدوا سنة ألف ميلادية فى مدينة سالرنة أعداء مهاجرين من بلاد النرمندية عاهدوا اليونان وساعدوهم على أخذ مدينة ترنتة من المسلمين سنة ١٠٣٥

ثم دهم اليونان جزيرة سيسيليا سنة ١٠٤٣ ليأخذوها من المسلمين فعجزوا لتنازع بينهم وبين النرمنديين اذ ذاك

ولم تقدر جماهير ايطاليا على أخذ الجزائر البليارية التى أخذها والى مدينة دنيا من لصوص بحرية توطنوا فيها وجعلوها مركز أعمالهم وهو جد لولاة الذين استقلوا بالحكم فى اسبانيا

وشغل الزيرية عن منع تلك المصائب ما كان فى بلادهم الافريقية من الفشل والفتن التى لم تنتج غير استبدال حاكم ظالم بآخر مع ما كان من بنى حماد المتوطنين فى مدينتى أشير وبجاية من نهبهم الحدود المجاورة لهم وارسال الفاطميين من القاهرة جيوشا تدهم طرابلس وامتناع قبائل البادية من تأدية الخراج مع اتساع دائرة غاراتها باقترابها من سواحل البحر الابيض المتوسط

﴿المبحث الرابع﴾

﴿فيما يتعلق بحزب المرابطين﴾

لم يهتم عرب الاقاليم الشرقية فى آسيا بما حل بافريقية واسبانيا من عدوان النصارى بل قام بذلك سكان برارى المغرب وهم القبائل الافريقية المتوحشة التى تأبى أن يحكمها أجنبى وينتسب منها الى بنى صنهاجة الكبرى قبيلتا لمطونة وغوادلة اللتان اغراهما عبد الله بن تشفين أحد فقهاء مدينة سوس وأخذ يثير فيهم الحمية الدينية حتى انقادوا اليه وتلقبوا بالمرابطين وجعل قائدهم ابن أخته أبا بكر ففضوا مدينة سجلماسة ثم بلاد دهرة وانفذوا حكمهم على قبيلة معمورة احدى القبائل الخمس العظام النازلة فى شمال افريقية ثم اجتازوا سنة ١٠٦٨ جبل أطلس ليتوطنوا فى نواحى مدينة أجة التى بين الجبال والبحر الابيض المتوسط فنزل بهم قائدهم أبو بكر بالاجة أياما يسيرة ثم أسس مدينة سماها مراكش ثم ولى الحكم خاله يوسف بن تشفين وكان تقيا سياسيا ذا جلالة ووقار وصفات قاهرة ألزمت الرعية بالطاعة ثم اختاره المرابطون قائدهم فرتب خفراء كثيرة من عبيد اشتراهم من بلاد الأندلس وسواحل

بلاد غينة ثم سار بهم فاخذ مدينتى فاس ومكناس من العرب والبربر (أى المغاربة) ثم اشتغل بعض عساكره بالفلاحة وبقى معه الاكثر فاخذوا على التوالى مدائن سبتة وطنجة وصالة التى التجأ اليها بنو حامد حين طردوا من مدينتى ملاغة وفاس فاعترف جميع المغرب بسلطنة يوسف بن تشفين سنة ١٠٨٤ ميلادية

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى انتقال يوسف بن تشفين الى اسبانيا﴾

لما اشتد الخطب بعرب اسبانيا هرع ملوك اشبيلية وباداجوز وغرناطة الى يوسف بن تشفين فاستنجدوه على النصارى وأعطى له المعتضد ملك اشبيلية مدينة الجزيرة فارتحل وعبر البحر ونزل فى بحيث جزيرة اسبانيا سنة ١٠٨٦ بجيش جرار عمت بهم الحماسة والنشاط جميع بلاد الاندلس ونصروا فى عدة واقعات منها الواقعة المهمة التى عقدت فى جهة زلاقة

ورأى ابن تشفين جمال السهول الاسبانية فتاقت نفسه لأخذها وأدرك منه الاندلسيون ذلك فانحلت بينه وبينهم عرى الاتفاق وأخذوا فى أسباب خيبة مقصده فانتهز الفرصة الملكان الفنس السادس وسنش صاحب ايالة اراغون حيث جمعا رجالا عادا بها الى المحاربة فجال البطل سيد برجاله فى اقليم مرسية وأخذ سنة ١٠٨٧ مدينة اليد الحصينة وأخذ سنش مدينة هوسقة عنوة سنة ١٠٨٨ وأبقى الفنس حدود مملكته آمنة من العدوان عليها بل وجه من طليطلة عساكر خربت سنة ١٠٩٠ من البلاد الاسلامية الى شواطئ الوادى اليانع ولم يبق من سنة ١٠٩٠ الى سنة ١٠٩٤ فى جميع البلاد الاسلامية التى فى جنوب اسبانيا سلطنة غير سلطنة المرابطين الذين أخذوا مدن قرطبة وكرمونة وبيظة وممالك المرية وملاغة وغرناطة ونهبوا اشبيلية فسلم ملكها نفسه اليهم دفعا لغوائل النهب ثم أخذوا مدن كراطيورة ودنيا ووالنسة والجرف ولوزيتانيا ولم يبق على استقلاله الا مدينة سراغوسة سنة ١٠٩٤ وقد

ظهر

ظهر أن السير الذى سلكه ابن تشفين لم يكن لتعصب دينى حيث أبقى سنة ١٠٩٥ القائد النصرانى المسمى سيد يتوطن برجاله فى مدينة والنسة وتفرغ من الحرب للتمتع بالملاذ فاخذ ينتقل من قرطبة الى مراكش ومن افريقية الى بحيث جزيرة اسبانيا غير مهتم بما حصل للدين الاسلامى من الخطوب وعرب اسبانيا مهتمون فى اعدام تصرفه المطلق الذى انفذه عليهم فاتفق جمع من الولاة بنواحى مدينة والنسة وشيمينة زوجة القائد سيد على المدافعة عن هذه المدينة التى افتتحها زوجها هذا هو السبب فى بقاء والنسة بايدى النصارى سنة ١٠٩٩ لاجيش المرابطين فقد هددوا شيمينة بالتغلب عليها ثم مات سنة ١١٠٧ رئيسهم يوسف بن تشفين الذى تحصل من الخليفة العباسى ببغداد على تقليده حكومة اسبانيا لينفى به عدوانه عليها حيث كان باذن الامام خلفه ابنه على فى هذه السنة ونصر فى واقعة اوقلس على الفنس السادس لكنه دهم أهل الاندلس وملك سراغوسة الذى ضعف حاله بدهمات المرابطين وعساكر ملك اراغون ثم انضم كوالده الى النصارى الذين استولوا سنة ١١١٨ ميلادية على مدينتى قلعة اجود وداروكة وكان كرسى مملكته مدينة قرطبة التى عامل من معه من المرابطين أهلها معاملة أمة مغلوبة لامعاملة الاخوة الاسلامية فعصى أهلها سنة ١١٢١ ولم تكد عساكره تكفى فى الزام أهل هذه المدينة الطاعة له الا بغاية الجهد ادخل فى بحيث جزيرة اسبانيا قبائل جمة من أهل افريقية واعطاها اسلاب واملاك القبائل العربية القديمة التى كانت فى بحيث تلك الجزيرة يجدد ما كان سببا فى تنازع قبائل العرب فى آسيا وقبائل العبد ارية من ضروب البغضاء التى نشأ عنها عود المسلمين باسبانيا الى الحروب الداخلية وانقسامهم الى عسكرين متعادين وخلفه ابنه تشفين سنة ١١٤٤ فسلك مسلكه فى تزعزع الحكم واضطرابه .

﴿المبحث السادس﴾

﴿في تجديد ملوك النصارى الحرب مع المسلمين باسبانيا﴾

كان النصارى منذ غارة المرابطين لايعدون على المسلمين بل يدافعون عن بلادهم حتى كان هذا التنازع بين المسلمين فعادوا الى قتالهم واضطرب جميع أوروبا بعظيم حركة الحرب وهرع الى اسبانيا من الشوالية (الفداوية) جم غفير لمساعدة النصارى وأدى كل من (ريمند البرغونى Raymonde de Bourgogne) (وهنرى البزنسونى Heuri de Besançon) خدما حربية شكرهما عليها الملك الفنس وزوج ريمند ابنته الاميرة أوراقه وهنرى ابنته الاميرة طيريزه وأعطى هنرى جميع مافتحه من ايالة لوزيتانيا صداقا لطيريزة ولبث ريمند يؤمل ان تكون له السلطنة على بلاد قسطيله ثم ملك قسطيلة وليون

وكان نصارى اسبانيا سنة ١١٢٠ ميلادية حاكمين على البلاد الممتدة من طليطلة الى نهر ابرة ثم أغار الفنس صاحب ايالة اراغون على مدينة والنسة وغلب المتعصبين عليه من الولاة الافريقية وفتح سهول الاندلس ودخل تحت ألويته العرب الذين كانوا فى نواحى غرناطة وكانوا اثنى عشر ألفا ثم أغار على مملكة مرسية سنة ١١٢٥ ونهب مافى خلوات غرناطة وأخذ معه من العرب كثيرا توطنوا فى مدينة سراغوسة وقد أمر ملك المرابطين عساكره ان يقبضوا على النصارى الذين فى حدود البلاد الاسلامية ويشتتوهم فى داخلها ففعلوا أكثر من ذلك حيث ألزموا النصارى المتهمين بمراسلة العدو أن يبيعوا أملاكهم ثم نقلوهم الى بلاد افريقية (المغرب) لكن الفنس ريمند ملك قسطيلة وليون لم يخف من ذلك بل أغار سنة ١١٣٣ بجيش عظيم على بلاد الاندلس فخرب ضواحى اشبيلية وقادس واستحق بغزواته وتوسطه بين ملكى نوارة واراغون تلقيبه بالامبراطور (ملك الملوك) وكذلك الملك هنرى غزا جهة الجرف فجمع ولاة مدائن باداجوز وبجا واقورة والواز رجالا وقاتلوه فهزمهم قرب هضاب أوريقه فتأيدت شوكته وتسلطن على تلك البلاد

﴿ المبحث السابع ﴾

﴿ فى ضياع جزيرة صقلية من المسلمين وطردهم منها الى المغرب ﴾

سكن الشوالية النرمنديون ومنهم روبرت جسقارد وأخوه روجير فى كمتنه (امارة) أورسة (بفتح الهمزة وكسر الواو) وامارة قابو وأنشؤا فى جنوب ايطاليا مملكة مستقلة مع معارضة كل بابا برومية المدائن واليونان والالمانيين ثم رأى جسقارد وروجير تنازع الامراء الخمسة حكام مدائن بالرمة وبيرانيره ومسينة وترابانى وباقى فعبرا بوغاز جزيرة سيسيليا سنة ١٠٦٤ ميلادية فتداخل بين هؤلاء الامراء روجير ثم ترك صفوف المسلمين وجمع لديه نصارى الجزيرة سنة ١٠٦٨ وحارب المسلمين زمنا طويلا لم يعده فيه أخوه فاحتمى فى مسينة وأخذ يدافع عن نفسه وكاد أن تقتله العساكر التى بعثها الزيريون من افريقية ثم أتى أخوه جسقارد بالمدد فغير صورة الاحوال التى كانت فانقاد له مدينتا قطانة وبالرمة وقهقر جيش المسلمين سنة ١٠٧١ فثبتت سلطنة النرمنديين على جزيرة سيسيليا وخافوا ان يذهب مافيها من العرب والمغاربة بالعلم الفلاحى والصناعى الذى حقق لهذه الجزيرة العز والرفاهية فجادوا على من بقى فيها بامور كثيرة ثم أراد روجير أن يسلب سلطنة العرب على البحر الابيض المتوسط فتبع أثرهم أولا على صخر جزيرة مالطة التى خفق عليها علمه سنة ١٠٩٨ ثم هدد ولده روجير الثانى بلاد افريقية واستولى من سنة ١١٢٥ الى سنة ١١٤٣ على الجزائر التى بقرب سواحلها وظهر بجيشه سنة ١١٤٦ أمام مدينة طرابلس زمن اتقاد المشاجرات بين الزيريين فأخذها ثم أخذ مدائن سفكس وسوس ومهدية وقيروان وتونس سنة ١١٤٨ فترك الزيريون هذه المدن فى أيدى النصارى وفروا الى داخل البلاد وبذلك يعلم ان الامة الاسلامية كانت وسط القرن الثانى عشر فى حالة انحطاط كلى بالممالك الغربية وان حكمها على البحر الابيض المتوسط وجزائره قد ضاع فرجعت الى اسبانيا التى كان تأخر زوال الدولة

الاسلامية منها نتيجة سلطنة المرابطين بها الذين لم تخرج سلطنتهم عنها ولم يشرعوا في غزوة بحرية بالبحر الابيض المتوسط خلاف جزائر بليارة التي انتهبوها سنة ١٠٩٦ من وال أندلسي ولم يأخذوا جزيرة قندية ثانيا من أهل مدينة ونديق التي أخذوها من المسلمين وظهر بعد هؤلاء المرابطين حزب ظهر من برارى المغرب فنهجوا نهجهم وأعادوا لدين الاسلام رونقه يسيرا من الزمن

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في ظهور الموحدين بدل المرابطين وتحكمهم في بلاد كثيرة بشمال افريقية (بلاد المغرب)﴾

اعلم أن بعض الاقوام المنقادين لرجال قبيلتي لمطونة وجودرة الملقبتين بالمرابطين كانوا يرونهم بعين الحسد ويشتهون ان يحوزوا لانفسهم مثل ماحازوه من الاموال وقام بتنجيز ذلك رجل يسمى محمد بن عبد الله أحد أصاغر الخدم بمسجد قرطبة اطلع في صباه على مبادى العلوم ثم سار الى بغداد فاخذ فيها العلم عن الامام الغزالى وفهم مايمكن ان تناله العلماء من التحكم بالعقائد الدينية على حكومة الامم وجاء المغرب لنشر عقيدة أستاذه الامام الغزالى فنزل بمراكش وشرع بمحض قوة فطنته في زوال سلطنة المرابطين فاخذ ينتقد كل مارآه من رؤسائهم مغايرا لما أمر في القرآن باتباعه وسب نساء على بن تشفين لخروجهن سافرات الوجوه فطرد من مراكش فأعلن الأمة ان هذا أوان احياء الآداب الدينية وأنه المهدى الجديد المعيد للفضائل والعدل واستصحب رجالا ذوى همة أخذوا ينصحون وينذرون فهرع جم غفير من مراكش وأجمة الى استماع نصحهم وانذارهم مستحسنين قصدهم تجديد دين الامة ثم رأى هذا الرجل كثرة حزبه وخوف ملوك تلك البلاد منه ووقوع أبصارهم عليه فرحل الى بلدة تنمال باقليم سوس وضم اليه رجالا لقبهم بالموحدين وأمرهم ان يبنوا بذلك المحل قلعة لايمكن العدو الهجوم عليها وجعل أمور هذا

الحزب

الحرب شورى بين عشرة من أفطن تلامذته أجلهم رجل يقال له عبد المؤمن وبين سبعين رجلا ثم انضم اليه أعداء المرابطين ومنهم قبائل حنطوطة وهرجة وجدموية ثم وجد حزبه كافيا فى بلوغ مراده فبدأ سنة ١١١٢ فى محاربة المرابطين ونصر عليهم فى ثلاث وقائع ثم حاصر سنة ١١٢٣ مراكش التى هى مركز شوكة عائلة المرابطين فى الاقاليم الشمالية من افريقية فنصر فى بعض وقائع ثم غدر به وسفك دم كثير من عساكره سنة ١١٢٥ وبلغ به الخطب حد اليأس حتى ترك دعوى العظمة فابتكر له تلميذه عبد المؤمن وسائل حربية جديدة وأخذ يثير الحمية فى قلوب الرجال حتى جبر سنة ١١٣٠ جميع الخسارات فصمم رأيه على العود الى الحرب وعهد اليه شيخه بالخلافة ثم توفى بعد أربعة أيام فقام باعباء الخلافة التى هو حقيق بها فانه كان متعودا أكثر من شيخه على الحرب وقيادة الجيوش مجبولا على عظيم المواظبة وأكيد النية تام الجلالة والاعتبار يخترع المقاصد التى تعد من قبيل المجازفة فينفذها ففرح به الموحدون وتحقق لديهم ماأملوه فيه بتحصيله فى زمن يسير مملكة تفوق مملكة المرابطين بكثير حيث أدخل تحت حكمه جميع القبائل الممتدة من مدينة تمال تحت بلاده المطيعة له الى مدينة صالة ثم أخذ بلاد فاس وبلاد طاسة سنة ١١٣٧ ثم سار الى تلمسان الباقية مع مدينة عران وبعض أقاليم مجاورة لمراكش بيد تشفين بن على رئيس المرابطين فصف عساكره بقرب تلمسان على هيئة شكل مربع مركب من أربعة صفوف صف متسلح بالمزاريق الطوال التى تركز فى الارض مائلة وهو أشجع الصفوف وأولها وصف متترس بالتروس الحامية من نبال الاعداء وصفان رماة بالقسى ورماة بالمقاليع وهما وراء الاولين وبين هذه الصفوف خيالة تثب على العدو من منافذ ثم تدخل فى ذلك المربع فتلتئم المنافذ وأخذ يقاتل بهم على هذا الوصف حتى هزم جيش المرابطين وهم أكثر من جيشه وفر رئيسهم تشفين الى تلمسان ثم الى عران فصادفته نكبة مات بها سنة ١١٤٥ ميلادية ثم انقاد لعبد المؤمن مدن وقاومته مدينة حصينة يمر بها نهر فجعل له جسرا متينا حتى ارتفعت مياهه

ثم أزال ذلك الجسر على حين غفلة فاسقطت المياه أسوار المدينة على ما قاله بعض مؤرخى الاسلام ولم يبق بيد المرابطين بعد هذه الحوادث الا مدينة مراكش سنة ١١٤٦ فاخذها عبد المؤمن عنوة

وقد أمره شيخه المهدى ان يضم المسلمين الذين فى الجهات الغربية من الدنيا الى بعض تحت حكم رئيس واحد ويجعلهم ذوى افكار واحدة فادخل تحت حكمه من سنة ١١٤٦ الى سنة ١١٥٨ مدينة سجلمس وقبائل بين مدينتى عران وتلمسان وأزال من بقى من عائلة بنى حماد فانضموا الى الزيريين المطاردين الى الصحراء ورأى النصارى النرمنديين الممدوحين لديه بالشجاعة متوطنين بافريقية منضمين الى ملوك بجاية لئلا يعد وعليهم فأمر بالسفر من مدينة صالة صباحا فضرب طبل عمقه خمسة عشر ذراعا يسمع صوته من نصف مرحلة وسار الى تونس وسط السهول التى بساحل افريقية الشمالى محفوفا بقواد الرجال وأكابر المشايخ راكبين خيولا بسروج مرصعة ذهبا وفضة بايديهم مهريات كعوبها من عاج وبحديدها رايات وأربطة ذوات ألوان وو راءهم الموسيقيون بالآلات المطربة كالأبواق والكاسات والجيش يسير الى الظهر ويستريح الباقى وهو أربعة أقسام لكل منها علم ومهمات ودواب مخصوصة يقف كل عند الوصول الى المعسكر فى أسرع وقت بموضعه على حسب رتبته معه زاده وما يلزمه ثم حارب بهذا الجيش النرمنديين فاخذ من ابتداء سنة ١١٤٨ على التوالى مدائن تونس وطرابلس وسفكس ومهدية وقابس وقيروان ومدنا أخرى ثم صد عدوان قبائل الصحراء الممتنعة من تأدية الخراج المضروب عليها وصد ملك جزيرة سيسيليا الذى كان يود الى سنة ١١٨٠ أن يعيد اليه ما أخذه المسلمون منه ولم يرجع عن مقصده الا بعد شروط عقدها مع خليفة عبد المؤمن ثم طلع من جزائر بليارة رئيس من المرابطين برجال نزل بهم قريبا من بجاية سنة ١١٨٤ فملك بجاية وقابس وسفكس وذكر فى الخطبة اسم خليفة بغداد العباسى فصده هؤلاء الموحدون وأعادوا اليهم ما أخذه من المدن واقتفوا أثره

فى كل جهة حتى جزائر بليارة التى أدخلوها تحت حكمهم سنة ١١٢٥ ودهم صلاح الدين الايوبى هؤلاء الموحدين سنة ١١٧٢ ففتح طرابلس ولم يقدروا على الانتقام من الأيوبية لكونهم أعظم ملوك المشرق شوكة

﴿المبحث التاسع﴾

﴿فى خروج المسلمين باسبانيا على الملوك المرابطين﴾

دهم الموحدون فى أقاليم المغرب المرابطين الذين عجزوا عن بعث مدد الى والى مدينة باداجوز ووالى مدينة الواس فوثب أهل الاندلس على الرؤساء الذين نصبهم على بن يوسف ونصر الفنس هنريقة فى واقعة أوريقه على المرابطين سنة ١١٤٣ وخرب الملك الفنس الثالث ملك قسطيلة وليون مدينتى اندوجار وبائله خلف نهر الوادى البانع وجبال سيرا مورينة سنة ١١٤٦ ومدينة قالطراوة سنة ١١٤٧ وحاصر مدينة المرية فى البحر ثلاثة أشهر ثم أخذها ولم يمكنه أخذ قرطبة وحاصر ملك البرتغال مدينة لسبونة وانفتح له بأخذها طريق الى الجرف وأمكنه السفر فى نهر التاج فسافر فيه بمساعدة سفن المقاتلين من الانكليز والفلمنك التى ألقت مراسيها فى مصب ذلك النهر سنة ١١٤٧ وخرب سنة ١١٥٢ نواحى قرطبة التى عجز الفنس الثالث عن أخذها

ولو جدد عرب اسبانيا وحدة لحكومتهم وجعلوا لوسائلهم الحربية مركزا كليا لامكنهم مقاومة النصارى الا انهم لم يتفكروا الا فى عصيان ملوك المرابطين لافى اختيار ملك آخر فطمعت الى منصب السلطنة سنة ١١٤٤ أنظار أهل المدن المعتبرة كمرسية و والنسة وغرناطة واشبيلية وقرطبة وغيرها فادعى كل هذا المنصب بلا حق وانفصل عن الآخر فذهب المرابطون من أسبانيا سنة ١١٤٦ فتوطنوا فى افريقية وجزائر بليارة تاركين بالاندلس جيشا ضعيفا تحت قيادة عبد الله بن غانية الذى اتحد بالنصارى وبعث الى بلاد القصبة عساكر قليلة حققت له حكم غرناطة ثم أخذ مدينتى قرطبة واشبيلية حتى جاء

عبد المؤمن بالموحدين الى اسبانيا فقتل ابن غانية الذى لم يبق بعده للمرابطين أثر فى بحيث جزيرة اسبانيا

المبحث العاشر

فى غارة الموحدين واستيلائهم على اسبانيا

كان باقليم الجرف من اسبانيا وال متحزب للعقيدة الدينية التى نشرها الغزالى وتلميذه محمد بن عبد الله دعا هذا الوالى الموحدين الى الغارة على اسبانيا فبعث عبد المؤمن جيشا فتح جزأ عظيما من اقليم الجرف وأوقف سير ملك البرتغال النصرانى سنة ١١٤٧ ثم جيشا آخر حارب من سنة ١١٥٢ الى سنة ١١٥٦ مدينة المرية وأخذها من الفنس السابع وجيشا ثالثا فتح من سنة ١١٥٦ الى سنة ١١٦٠ غرناطة والبلاد الممتدة الى الوادى اليانع وكذا مدينة والنسة من ملكها المعاهد للنصارى والمستولى على جميع ساحل اسبانيا الشرقى ثم قاوم أهل والنسة عبد المؤمن وأخرجوها من حكمه ثم مات وخلفه ابنه يوسف فبدأ بقتالها قبل محاربته نصارى اسبانيا وأخذها بعد قتال شديد من عرب الاندلس الذين أبدوا فى المدافعة عنها أعظم بسالتهم فى واقعة الغلاب وكذلك أخذ مدينة مرسية فانقاد له من سنة ١١٦٥ الى سنة ١١٧٢ ولاة دنيا والبقنطة ومدن أخر

المبحث الحادى عشر

فى محاربة الموحدين نصارى اسبانيا وفيما كان من الشوكة للأميرين يوسف ويعقوب

مكث الموحدون مقتصرين على منع غارات النصارى على البلاد والمدن الاسلامية حتى كانت الحوادث المذكورة أخيرا فارادوا محاربة النصارى فوجدوا مملكتى اراغون وقطالونية متحدتين ومملكتى قسطيلة وليون منفصلتين بعد موت الملك الفنس وان ملك البرتغال أشد ملوك النصارى بأسا على

المسلمين

المسلمين حيث لم يزل يوسع مملكته غير مريد وضع السلاح فوجه الامير يوسف اليه جميع جيوش الموحدين فاخذ طراغون من أهل اراغون ثم سار بجيوشه الى مدينة سنتارم المستولى عليها أهل البرتغال سنة ١١٨٤ وحاصرها فوثب عليه أهلها فقتلوه وهزموا جيشه فخلفه ابنه يعقوب وهجم على تلك المدينة وملكها وأخذ بثأر والده وحاز لعظيم فضله كسالفيه يوسف وعبد المؤمن مملكة رحبة ممتدة من طرابلس فى شواطئ نهرى ابرةو التاج ثم أخذ من سنة ١١٨٤ الى سنة ١١٩٥ يحارب النصارى الاسبانيين وسار بجيش عرمرم دهم به الملك الفنس الثالث قرب مدينة العرقوص فهزمه وأسر منه عشرين ألف رجل أطلقهم سنة ١١٩٥ وأخذ بهذه النصرة مدائن قالتراوة وغواد القصاره واسقالونه ومدريد ثم اجتهد سنة ١١٩٧ فى أخذ طليطلة ولم يقدر فتسلى عنه بذبح سكان مدينة سلامنقه ومروره ممن ممالك قسطيلة وليون مع اتلاف البرتغال كل ماقدروا عليه بالسلاح والنار

وقد جدد هؤلاء الموحدون لاسبانيا الرونق الذى كان لها زمن الأموية فقد جدد كل من عبد المؤمن ويوسف ويعقوب حب التزين والاعياد الفاخرة وحاموا عن العلوم والصنائع وعملوا بالشريعة الاسلامية وأسسوا مدارس عامة وأخرى للشبان وغمروا بعطائهم علماء الاسلام واشتهر فى زمنهم بالطب والفلسفة وقرض الشعر ابن رشد وابن زهر وأنشأ الامير يوسف باشبيلية عمارات فاخرة ومسجدا وقنطرة من سفن على نهرها وأصلح اسوارها وأوصل اليها مياها غزيرة فى مجار انشأها مع رصيفين بنهر الوادى الكبير وأسس يعقوب لتقليد ذكر نصره فى واقعة العرقوص مسجدا ارتفاعه ٢٢١ قدما متوجا بكرة حديد مذهبة قيمتها مائة ألف دينار موضوعة على قائم زنته وحده عشرة قناطير ثم أزيلت تلك الكرة وبقى من هذا المسجد الى الآن برج زيد فى ارتفاعه ٨٦ قدما ونصب عليه تمثال جسيم بهيئة دالة على الايمان (فى علم الرموز الاصطلاحية) وأنشأ هذا الامير أيضا فى جميع جهات مملكته مارستانات لمرضى وتكايا للفقراء

والجرحى فى الحرب وحفر آبارا فى الصحارى وخانات فى الطرق للمسافرين وزاد مرتبات القضاة والفقهاء للاستعانة بالقضاة على فتن الاغنياء وعصيانهم وانفراد الفقهاء للاشتغال بالشريعة

المبحث الثانى عشر

فى مقاتلات بعد السالفة وفى واقعة طولوسة وزوال سلطنة الموحدين من اسبانيا

استفاد عرب اسبانيا من نصرة الموحدين هدوّا لم يقدروا على ايجاده وانقادوا لهؤلاء الموحدين لاظهارهم بذل نفوسهم فى مصلحة الدين باذلال ملوك النصرانية الذى قام به الامير يعقوب حتى مات فخلفه ابنه محمد الناصر فى الجلوس على كرسى السلطنة سنة ١١٩٩ فغزا جزائر بليارة سنة ١٢٠٥ وهو يستعد لمحاربة النصارى من منذ تسلطن حتى رحل سنة ١٢١٠ من مراكش دار اقامته بجيش قال بعض المؤرخين انه ستمائة ألف رجل من خمسة أقسام برابرة ومغاربة ومتطوعة من سائر الجهات وموحدون وعرب اسبانيا فحل بالنصارى رعب أذكرهم مصائب واقعة العرقوص والتخريبات التى أعقبتها فتحالفت جميع ملوكهم على التعاون على المسلمين وشهر البابا اينوسان الثالث الاستنفار الى الغزو وأخذ رودريغ رئيس أساقفة طليطلة يمر فى ايطاليا وفرنسا وينشئ خطبا يحث فيها الفرنج على محاربة المسلمين وبعث الى الفرنج الساكنين بشرق أوروبا يرجوهم المساعدة وحضر الى اسبانيا بعدد كثير واجتاز جبال البرينات الى اسبانيا ٦٠٠٠٠ نصرانى ثم اجتمع الفريقان فى سفح جبال سيرا مورينة بالسهول المسماة لاس نواس بقرب مدينة طولوسة فنشر الامير محمد أمام صفوف عساكره علما أحمر محاطا بسلسلة حديد موكلا بخفارته نخبة جنوده الذين وقف أمامهم باحدى يديه سيفه وبالاخرى القرآن الشريف المشتمل على آيات الثواب الابدى فأثار بهذا الوقوف أعظم الحماسة

والحمية فى قلوب جنوده الذين فاقهم النصارى فى الحمية وحسن التدبير حيث
وثب سنش ملك نوارة فقطع سلسلة الحديد وهزم الخفراء سنة ١٢١٢ وأخذت
من المسلمين مدائن طولوسة وبليش وبانظة وعبيدة سنة ١٢١٣ ومدينة
القنطرة سنة ١٢١٦ وبعض مدن فى اقليم الجرف قال بعض المؤرخين استشهد
فى واقعة طولوسة المسماة يوم العقاب نحو مائتى ألف مجاهد ولكن لانحكم به
بل بالنتائج التى يعرف منها قدر أهمية الواقعة من اضمحلال مملكة الموحدين
وانقطاع محاربتهم بعد ذلك للنصارى الذين قوى سلطانهم فى اسبانيا بهذه
الواقعة التى عاد منها الأمير محمد الى مراكش فخلع السلطنة على ولده
أبى يعقوب وهو غير كفؤ لها فأبت طاعته حكام أقاليم اسبانيا وافريقية ثم توفى
سنة ١٢٢٣ فاتقدت نار الشقاق الداخلى الذى كان سببا فى زوال دولة
الموحدين ولبث النصارى مشغولين عن المسلمين بشقاقهم الداخلى منذ وقعة
طولوسة حتى انقطع هذه السنة فجلس فيها أحد الملكين جاك (يعقوب) الاول
وفرديند الثالث على كرسى مملكة اراغون والآخر على كرسى مملكة قسطيلة
وولاة والنسة وطليطلة واشبيلية ومرسية معلنون بالاستقلال بالحكم وموقدون
لنيران الحرب بينهم مع التنازع بين ذرية الملك عبد المؤمن فى اقليم الاندلس

وكان أرباب المشورتين اللتين انشأهما المهدى سابقا متشوفين الى الاختصاص
بالحكم فهددهم المأمون الذى شهر سلطنته سنة ١٢٢٧ حزب ذوقوة فعارضوه
ونصبوا له قرينا وهو يحيى بن ناصر الذى مات فى سهول صيدونية فقتل المأمون
هؤلاء المشايخ وعلق رؤسهم على اسوار مراكش وألغى المشورتين ونسخ
سياسة المهدى ومنع ذكره فى الخطب وجعل من نجا من المشايخ نواب القضاة فى
الدعاوى الخصوصية وعامل أهل المغرب بقسوة أعدمتهم سنة ١٢٢٨ الميل الى العصيان
وبالاندلس حينئذ من ذرية قدماء ملوك سراقسطة محمد بن هود أثار لدى
مغاربة اسبانيا بغضاء مغاربة افريقية وأخذ منهم جيشا جرارا هزم به المأمون

قرب مدينة طاريفة سنة ١٢٢٩ وألزم المأمون الاقامة بمراكش وأخذ مدائن مرسية ودنيا وجزا طيبوره من سنة ١٢٣٠ الى سنة ١٢٣٢ وأخذ باسبانيا غرناطة وقرطبة واشبيلية ومريدة وأما والنسة فبيد جيل بن زياد قبل ذلك بكثير وما جاورها من البلاد بيد محمد بن الحمار واستقل اقليم الجرف بالحكم فلم يبق سنة ١٢٣٢ بيد الموحدين الا الجزائر البليارية وأخذ ملك البرتغال سنة ١٢٢٧ مدينة الواس المجاورة للوادى البانع وهدم ملك ايالة ليون مدينة باذا جوز وتقدم فلك الى الوادى الكبير وبلغ الملك فرينند الثالث وسط الاندلس وفتح قرب غرناطة مدينتى لوجه والحمراء التى فر أهلها الى غرناطة فسكنوا منها خطة سموها باسم بلدهم الحمراء وأخذت عساكر الموحدين تخرب فى حدود ايالة قطالونيه فحاربهم الملك جاك (يعقوب) الاول وهزمهم وأغار على جزائر بليارة فأخذ جزيرة مايورقة عنوة وانقاد له جزيرتا ايويسة ومينوركه سنة ١٢٣٢ فعدم حكم الموحدين من اسبانيا هذه السنة وبقى حكمهم بعد ذلك فى المغرب مدة اعترف فيها واليا تونس وتلمسان بالاستقلال عن الموحدين

﴿ الباب الثالث ﴾

﴿ فى انحطاط سلطنة العرب فى الممالك الغربية وتحكم الدولة العلية على مدينتى ﴾
﴿ الجزائر وتونس وانشاء سلطنة الأشراف فى مراكش من سنة ١٢٣٢ الى ﴾
﴿ سنة ١٦٠٩ ميلادية الموافقة سنة ٦٢٩ الى سنة ١٠١٨ هجرية ﴾
﴿ وفيه أربعة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى عصيان رعايا المغرب ملوك الموحدين وفى سلطنة عائلة أبى حفص ﴾
﴿ فى تونس وسلطنة بنى زيان فى تلمسان و بنى مرين فى مراكش ﴾

كان بهزيمة محمد الناصر فى واقعة طولوسة اضمحلال سلطنة الموحدين فقد عصت بها رجال اسبانيا وانحطت سلطنته بالمغرب الذى لم يدخل من ذلك الوقت

الوقت مع اسبانيا تحت حكم واحد لكن كان بينهما ارتباط به ساعد الاسبانيون قبائل المغرب اللاتى كافأنهم على ذلك بالحكم الجورى فلم يقبلوا منها مساعدة الا مع الحذر ثم عبرت تلك القبائل بوغاز جبل طارق مرات من سنة ١٢٣٢ فعملت باسبانيا غزوات لم تنتج الاظفر النصارى لشدة التئامهم وقد أبطل المأمون قوانين المهدى فأضر بملوك الموحدين و ردفه خلفاؤه المجردون عن السياسة الآخذة بالباب الرعية فعصاهم والى تونس سنة ١٢٤٢ ميلادية واستقل بالحكم الذى استمر فى عائلته المعروفة بعائلة أبى حفص

وأسس بنوزيان سنة ١٢٤٨ فى مدينتى تلمسان والجزائر سلطنتهم الممتدة الى نواحى فاس ورفع أبو يوسف فى قبيلة بنى مرين ببلاد المغرب لواء العصيان وهدد الموحدين بالتغلب على مدائن فاس وطازة ومراكش وحاربهم من سنة ١٢٥٠ حتى نصر عليهم سنة ١٢٧٠ وانقاد له عرب المغرب وهم البرابرة القاطنون بغرب افريقية وقد بقى الحكم متوارثا للحفصية بتونس والزيانية بتلمسان والمرينية بمراكش من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر بعد الميلاد

ولا يمكن الآن ان نبين حدود تلك الممالك الثلاثة بغاية الضبط اليقينى بل الظنى فنقول ملك الحفصية الى نهاية أرض بجاية والزيانية أرض تلمسان والجزائر والمرينية جميع البلاد الممتدة من تلمسان الى الاقيانوس الاطلنطيق وكان بين هؤلاء الملوك بحدود ممالكهم حروب توجب تغيرا كليا لكل مملكة هاجرت منها قبائل الى غيرها

ولضعف فائدة ذكر سلسلة هؤلاء الملوك وسنى توليتهم أعرضنا عنها ملتفتين الى الوقائع التاريخية فنقول ان عيشة البدويين أقل الاشياء موادّ لبسط القصص التاريخية ومع ذلك مارفعوه من المدن الى درجة علية من العز والرفاهية باق على ما كان عليه من الاهمية والرونق وقد افتخر أهل تونس و بجاية والجزائر وتلمسان وفاس ومراكش لدى الملوك الحفصية والزيانية والمرينية بذكر علمائها

والمشتهرين من أرباب صنائعها كما افتخروا بذلك زمن الملوك الزيرية والخلفاء الاموية وقد نظم ملوك الأغلبية الذين كانوا ذوى شوكة فى البحر الابيض المتوسط جيوش لصوص بحرية أتلفوا بلاد النصارى وأخذوا يخرجون من سفنهم من مينا الاقيانوس الاطلنطيق وينحدرون بها فى طول سواحل افريقية ويقتربون من جهات مدارى الجدى والسرطان واتجروا من ذلك الوقت فى الزنج والتبر والصمغ والعنبر ووصف عرب المغرب بمشاركتهم لغيرهم فى المقاتلات التى بين ملوك افريقية من القرن الثالث عشر الى السادس عشر

وقد غلب المرينية الحفصية والزيانية وأدخلوا مدينتى تلمسان وتونس تحت حكمهم مرتين احداهما سنة ١٣٤٧ والاخرى سنة ١٣٥٥ ثم رجعتا الى ملوكهما فبقيت تحت أيديهم

وشوهد فى أغلب الازمان بالمغرب ملكان يتنازعان السلطنة فى مدينتى فاس ومراكش تحتى مملكتيهما وطمع فى سلطنة بنى زيان بتلمسان امراء ذوو قوة مستولون على مدينة الجزائر وتوابعها وأما ملوك تونس فكانوا ذوى شوكة تامة لم ينازعوا فى سلطنتهم بل أخذوا طرابلس من المماليك البحرية الذين خلفوا الأيوبية فى السلطنة المصرية

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى استغاثة عرب افريقية بملوك الدولة العلية على ملك فرنسا وملوك اسبانيا والبرتغال المغيرين على بلادهم وفى الممالك البربرية﴾

كان العرب الذين ملكوا أفريقية وتوطنوا فيها لم يتفكروا بعد ذلك فى نصرة الاسلام وماقيل من مدهم أيديهم على عرب اسبانيا فما قصدوا به الا جمع قبائلهم لا تجديد مقاتلات لعودهم بالتدريج الى ما كانوا عليه من المعيشة بالبيداء خاملين ولذا لم يبارز والملك مارى لويز حين قاتل المسلمين سنة ١٢٧٠ ولم ينتهزوا الفرصة بقطع دابر الفرنج المقاسين الامراض وشدائد القحط تحت اسوار تونس ولم يدهموا جيش الفرنج حين موت ملكهم الذى قهرهم

بل

بل أمضوا مع كرلوس دنجو ملك الصقليين معاهدة التزموا فيها ان تدخل متاجر الطليانية والفرنساوية بلاد المغرب بلا جرك من غير أن تعافى من ذلك متاجرهم الذاهبة الى بلاد الفرنج وان يبيحوا للنصارى العبادة الكاثوليكة بالبلاد الاسلامية

وقد فتح نصارى اسبانيا والبرتغال مدنا اسلامية مشرفة على بوغاز جبل طارق من جهة افريقية والبادئ بذلك البرتغال فانهم لما ملكوا اقليمى التجو والجرف المحصورين بين مملكة قسطيلة أملوا جوب الاقيانوسية والبحار لحوز الاموال والشوكة فأخذوا سنة ١٤١٥ مدينة سبتة وأخذت منهم فى عهد ملكهم ادوارد ثانى ملك من عائلة ملوك براجنسة ثم أعادوها اليهم برهنهم ولدا قاصرا من العائلة الملوكية ثم أخذ الفنس الخامس من سنة ١٤٣٨ الى سنة ١٤٨١ مدينتى طنجة وارزيلة ولم يتفكر البرتغاليون فى توسعة فتوحاتهم بتلك الجهة المغربية بل شرعوا فى استكشافات بحرية طويلة و بعثوا سفنا بلغت جزيرة ماديرة وجزائر أصورة و جزائر الراس الاخضر وقربوا من رأس عشم الخير الذى فى الجنوب الغربى من افريقية وقد حلوا فى مدائن طنجة وسبتة وارزيلة و وضعوا أيديهم على بوغاز جبل طارق (الفاصل بين المغرب ومملكتى اسبانيا والبرتغال) فنعوا المواسلات بين المغرب واسبانيا وأزلوا المصائب بمن فى بحيث جزيرة اسبانيا من المسلمين الذين أراد نصرتهم أحد ملوك بنى مرين فى واقعة ريو (نهير) سلادو سنة ١٣٤٠ والملوك الكاثوليكية لم يفكروا اذذاك فى حرب أهل افريقية ثم استولوا المينيات العظيمة التى على البحر الابيض المتوسط فأكثروا من سفنهم البحرية وجالوا فى بلاد المغرب بعد زوال مملكة غرناطة وسافر ديجو القرطبى من مينا مدينة ملقاسنة ١٥٠٤ فاستولى على عدة مدن بين مدينتى سبتة وعران وعلى مدينة بنون وقيلس ومدينة المرسى ومدينة والس وغيرها من المدن وغزا بلاد المغرب بعد سنة ١٥٠٩ الكردينال جزعنيس وزير الملك فرديننند صاحب مملكة اراغون ولم يدهم بنى واطان وهم

الفرع الثانى من بنى مرين ملوك مراكش بل سار بازاء ممالك بنى زيان المؤلفة من مملكتى تلمسان والجزائر فأخذ مدينة عران فأبقى فيها عساكر محافظين وبعث بطرس النفارى سنة ١٥١٠ من جزائر بليارة الى بجاية فالزم ملك تونس بتأدية الجزية ولم يظهر من العرب والمغاربة المسمى أوتيمى لصا شهيرا من الثقات لصد عدوان الفرنج فترجى ملك الجزائر لصوص البحر يدعى هروج الميتلانى ان يساعده فاجابه وجمع جيشا خمسة آلاف رجل ثم تمكن من مدينة الجزائر سنة ١٥١٦ فأخذها وقتل أوتيمى ثم طرد بنى زيان من تلمسان وصدعنها نصارى اسبانيا الذين وفد اليهم مددسنة ١٥١٨ فقاتلوه حتى قتلوه وأخذوا تلمسان فاستولى على مدينة الجزائر خير الدين أخو هروج المشهور باسم بربروس وأسس حكمه فى بلادها تأسيسا متينا ثم حصر نصارى اسبانيا المغيرين على عران ثم خاف من كثرة رجالهم ومن حركات العرب فرآى ان يدخل ممالكه تحت حماية الدولة العلية ويدخل عساكرها التركية غير المنتظمين فى أقاليم افريقية حيث كان ذلك العصر أعظم أعصر سلاطين القسطنطينية التى كان بها اذ ذاك السلطان سليمان حاكم مصر واناضول واليونان والبلغار ومهدد مملكتى الفرس والمجر بالتغلب عليهما والمستعد لصد الملك شرلكان كرلوس الخامس عن أقاليم افريقية ولذا الجأ اليه بربروس وتولى مملكة الجزائر نيابة عنه وأتى اليه من الدولة عساكر جاروا على العرب وجبروهم بالسيف على الطاعة ففقدت العرب الطباع الشريفة والهمم الكريمة واستبدلوا لباس العنفوان الطبيعى بلباس الذلة والمسكنة المضروبة عليهم الى أيامنا هذه

ودعا السلطان بربروس باشا لان يجعله قبطان باشا على السفن الحربية للدولة فاراد بربروس ابداء خدمة نافعة للدولة التى ميزته بهذه المرتبة فأخذ أميرا من الحفصية نازلا عنده بمدينة الجزائر معزولا عن ولاية تونس وسار به الى تونس مظهرا اعادة هذا الامير اليها مع اضماره ان يؤسس فيها حكم الدولة العلية

وعرف

وعرف السلطان باطنه فقلد محسوب بربروس حكم ايالة تونس ثم أمر باهلاكه سرا واستولى بربروس على جوليطة وحصنها فعصته الاهالى فحاربهم حتى انقادوا للدولة العلية

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى أواخر حروب نصارى اسبانيا والبرتغال مع المسلمين﴾

اسف نصارى اسبانيا على صيرورة الممالك المغربية المسماة أيضا بالممالك البربرية تحت يد سلطنة ذات شوكة متينة وعلم اللصوص البحرية الذين بالبحر الابيض المتوسط ان لهم بالمغرب محال يوزعون فيها البضائع والارقاء فلم يزالوا على ما كانوا عليه أولا من توسيع دائرة صيالاتهم البحرية وارجاف أهل السواحل الاسبانية والايطالية ولذا رأى شرلكان ملك اسبانيا وامبراطور المانية ان يوقف تقدم فتوحات الدولة العلية فتعصب لعائلة أبى حفص واحضر سنة ١٥٣٥ بمدينة كالياري عساكر من ايالتى نابلس وسيسيليا ومملكة بلجيقة ثم سار بهم بحرا وخرج قريبا من قرطاجنة فاخذ حصن جوليطة من بربروس ثم أخذ تونس فنهبتها عساكره وأعاد المعزول عن السلطنة من الحفصية الى ما كان عليه بخمسة شروط ان يكون نائبا فى حكمه عن سلطنة اسبانيا ويحرر رقاب الارقاء النصارى بلا فداء ويبيح للنصارى ان يؤدوا أعمال ديانتهم كما يشاؤن ويضع بحصن جوليطة من نصارى اسبانيا عساكر محافظين يؤدى لهم اثنى عشر الف محبوب من الذهب لمؤنتهم وتكون جميع مينيات مملكة تونس تحت يد شرلكان الذى أعطى اذ ذاك طرابلس الى شوالية مارى حنا القاطنين ببيت المقدس الذين طردهم العثمانية من جزيرة رودس ولم توقف تلك الغزوة سير ما كان بالبحر الابيض المتوسط من صيال أهل المغرب مع بقاء حكم الدولة على الجزائر التى وليها حسن أغا خليفة بربروس واجتهدوا فى تقوية ذلك الصيال ومنع جميع التجارات التى بين بلاد الجزائر وبلاد سواحل ذلك البحر وألزم أهل السواحل من ايطاليا

أوسيسيليا ان يضعوا عساكر بتلك السواحل لصد غارات سكان المغرب فجهز شرلكان سنة ١٥٤١ سفنا حربية لفتح الجزائر فكانت رياح كسرت سفنه الا قليلا فاعادت الدولة اليها تلك الأقاليم الغربية وبعثت سفنا أخرجت شوالية القديس حنا من طرابلس سنة ١٥٥١ وولت عليها رجلا شهيرا يسمى دراغوت الذي حاز سنة ١٥٦٠ نصرة أخرى على النصارى بالبحر الأبيض المتوسط وحضر دون جوان النمساوى الى حصن جوليطة بعد واقعة لبنته فأخذ تونس بلا ممانع ونأى عنها سنة ١٥٧٢ فسارع اليهاسنان باشا من طرابلس وأعاد فيها حكم الدولة العلية التى ثبت لها من ذلك الوقت الحكم على مدينتى تونس وطرابلس ثم همت النصارى بأخذهما من الدولة العلية فى عهد الملك لويز الرابع عشر فصد أهل مدينة الجزائر دوق دى بوفرت سنة ١٦٦٥ والمركى دومرتل سنة ١٦٧٠ وأطلق القلل على هذه المدينة القبطان دوقسن من سنة ١٦٨٢ الى سنة ١٦٨٩ ومارشال اسبانيا من سنة ١٦٨٨ الى سنة ١٦٨٩ ميلادية وحل بطرابلس من النصارى فى عهد الملك لويز الخامس عشر سنة ١٧٢٨ ماحل بمدينة الجزائر من الانتقام

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى بقاء مملكة مراكش على حالها وفى تسلطن عائلة من الاشراف عليها ﴾

بقيت مملكة مراكش مستقلة عن الدولة العلية فتولاها فى القرن الخامس عشر بعد الميلاد من بنى مرين الفرع الثانى منهم وهم الملوك الأواطازية ثم خلفهم سنة ١٥٥٩ عائلة الاشراف المتسلطنين عليها الآن ابتكر واعظمة شأن هذه المملكة ورتبوا فى قوانينهم ان الذى يخلف السلطان بعد وفاته أخوه لا ابنه ثم توفى الشريف عبد الله فتنازع السلطنة ولداه مولاى محمد الذى نصر أولا ونال السلطنة حتى هزمه أخوه مولاى ملوك فى ثلاث وقائع فذهب الى سيبستيان ملك البرتغال فاستغاث به على أخيه ووعده أمورا وأخبره أن له انصارا بمدينة ارزيلة التى أتى اليها هذا الملك فلم يجد بها أحدا وقد أعطاه الملك فيلبس الثانى

الخودة والدروع التى لبسها الملك شرلكان (كرلوس الخامس) عند دخوله منصورا مدينة تونس فظن نصرته مصمما على نصب صليب النصرانية على مساجد فاس ومراكش ثم تبع بعض كتائب السلطان ملوك ففرت أمامه حتى بلغت القصر الكبير فحملت عليه الجيوش العربية وهزموه وغرق أحد هذين المتنازعين فى السلطنة بنهر موقازن وتوفى الآخر بحمى مطبقة وقت التحام الحرب وبلغ ذلك رجال البرتغال فلم يجددوا غارات على افريقية وتفرغ الاشراف ملوك مراكش لحسم الفتن الداخلية هذا ما كان فى مراكش فى ابتداء القرن السابع عشر من أحوال العرب الذين حافظوا على ضروب من علو الشأن فى مملكة هذه المدينة وأما من فى الجزائر وتونس وطرابلس فكانوا تحت قسر جمع قليل من الأتراك يؤدون لهم خراجا ثقيلا لايتجاسرون على الشكاية من ثقله ويشهر بعضهم السلاح على بعض باغراء هؤلاء الاتراك وكان من العرب قبائل قليلة مستقلة عن الدولة العلية ومنقادة لمن تنتخبه من المشايخ

﴿ الباب الرابع ﴾

﴿ فى انحطاط دولة العرب باسبانيا وطردهم منها ﴾

﴿ وفيه خمسة مباحث ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى وقوع عدة ممالك اسلامية (من اسبانيا) تحت حكم ملوك النصارى ﴾

نعود الآن الى ماسلف من تاريخ عرب اسبانيا فنقول لما اغارت الاهالى على عساكر الموحدين المحافظين باسبانيا أوقعوا بهم أول نكبة وأخطبها لكنهم اماطوا عنهم جورا يلزمهم ان يستعدوا عقبه لصد النصارى بتجديدهم للحكومة مركزا عموميا تبنى عليه المصالح العامة لكنهم عدلوا عن ذلك وأخذ كل ينظر فى مصالحه الخاصة ولذا انقسمت الحكومة الاسلامية الى عدة دول صغيرة مستقلة عن بعضها لم يكن منها ذات شوكة فى الجملة الا مملكتا والنسة والجرو

وملكا ابن هود ومحمد الجمار وكان ذلك التفرق مساعدا للفرنج على أخذهم عدة ممالك واحدة بعد أخرى فقد فتح جاك (يعقوب) الأول جزائر بليارة ثم شرع فى فتح مملكة والنسة الذى اشتغل به سنة ١٢٣٤ عن تخليصه من تبوط المنسوب الى مدينة شمبانيـة (بارض فرنسا) سلطنة بلاد نوارة التى يستحقها بطريق الوراثة وقد اتخـذ ملك والنسة المسلم أعظم مايكون من العزائم لحفظ مملكته التى أخـذ ولاتها بعـد ذلك يبحثون عن استقلالهم ويبيعون البلاد للنصارى ببعض اقطاعات فسلموا للاراغونيين من سنة ١٢٣٢ الى سنة ١٢٣٨ المدائن التى بضواحى والنسة التى حاصرها جاك الأول برا وبحرا حين لم يبق بها سوى الجنود وأخـذ يشدد فى حصارها حتى بايعوه سـنة ١٢٣٨ على أن لايضر بأنفسهـم ولا أموالهـم ورخص لهـم فى الارتحال بالاموال وألزم من أقام ان يؤديا له من الخراج مثل ما كان يأخذه ملك اراغون من رعاياه وهـم بأخذ مدائن ويلنة ودنيا وكزانيوة ليأخذ بعد ذلك مملكة مرسية فسبقه الى تلك الجهات فرينند الثالث ملك قسطيلة سنة ١٢٤١ وأقام بين الاراغونيين والمسلمين الذين بمملكة مرسـية المنقسمـة بين ولاة أقاليم مرسية واليقنطة وأوريهويلة وشنشـلة والجامة مع انتشار الغـيرة والعـداوة بين هؤلاء الولاة ولذا بادروا بالانقياد لهـذا الملك مؤملين ان ينالوا منـه أحسـن مايكون من المعاهدات نعم أبى الانقياد لهذا الملك والى لرقة الحاكم على مدينتى موله وقرطاجنة ثم أخذ فرينند هذه المدائن سـنة ١٢٤٣ وضمها الى مملكة قسطيلة التى أوسعها سنة ١٢٣٣ بأخذه من حدود الوادى اليانع الى الوادى الكبير بعد ان أبدى رئيس عسكره المسمى (الواريريز Avar Brez) بشواطئ الوادى اليانع البسالة التامة والهمة العالية ثم أخذ مدينتى عبدة واندوجار من ابن هود الذى كان يدهم بلاده محمد الجمار من ناحية وملك الجرو من أخرى مع انه كان محفوفا بجنود كثيرة من الموحدين الذين لم يقويهم على منع هاتين المدينتين من فرينند بل لم يقـدر عـلى ضرب الحصار على قرطبـة التى أغار عليها الاراغونيون زمن اغارتهـم

على

على مدينة والنسة سنة ١٢٣٨ وقتل ابن هود وسط تجاهيزه الحربية فسلم المسلمون قرطبة معدن الفنون والزخارف الاسلامية الى فرينند الذى نصب الصليب على مآذن مسجدها الاعظم وبعث الى (قبستيل Compostelle) نواقيس كنيسة مارى جاك التى اقتنصها الحاجب المنصور وأخذ النصارى يجسون محاريب المساجد بلا ظهور حمية اسلامية تصدهم عن ذلك ثم أخذ فرينند مدائن بايزه واستيبه واسيجه والمودوفار وحاصر مدينة جان أو ياعان سنة ١٢٤٥ وهزم محمد الحمار أمام مدينة القالة أو القلعة فى واقعة أظهر فيها المسلمون أعظم الشجاعة

وسلك فرينند مسلك السياسة بتوليته محمدا الحمار على جميع بلاده الرحبة الممتدة من حدود الجزيرة الى المرية بين جبل طارق وهو بسقه بشرط ان يؤدى له جزية كل سنة وجنودا زمن الحرب ويذهب الى المشورة التى تنعقد فى قسطيلة ثم حاصر فرينند ومعه محمد الحمار مدينة اشبيلية التى كانت كرسى سلطنة المراوية والموحدين فقاومه أهلها زمنا طويلا لورود مدد اليهم من الوادى الكبير وعبورهم قنطرة من سفن على هذا النهر الى مدينة تريانة المشتملة على لوازمهم فجهز فرينند فى جون بسقاية وميناءات اقليم جاليسة سفنا صغيرة استولى بها على مصب نهر الوادى الكبير ثم ألق سفنا كبيرة كسرت تلك القنطرة بشراعها فكان لاهل اشبيلية مجاعة سلموا بها المدينة الى فرينند سنة ١٢٤٨ بشروط توافقهم وأخذوا منه لبيع أملاكهم ميعادا أطول من ميعاد أهل والنسة وقد تيسر لهم بأخذ مدينة اشبيلية سرعة انقياد جميع البلاد التى على ميمنة نهر الوادى الكبير وجالوا حين استيلاء البرتغال على مدينتى لولة وأيامنتة سنة ١٢٤٩ بسواحل البحر التى بين نهر الوادى الكبير والوادى اليانع جولة منتصر مؤيد فأخذوا مدنا بعضها للمسلمين

المبحث الثانى

فى مقاومة محمد الحمار آخر مقاومة وفى عظمة شان غرناطة

ظن النصارى قرب زوال مملكة العرب من اسبانيا واذا محمد الحمار أبدى من

الفضائل مثل ما كان للوزير المنصور بتأسيسه مملكة أعدم ولاتها الاستبداد وأفهم رعاياها ضرورية الاتحاد ورد اليها من الغنى والثروة ما يشبه العرب فى بحيث جزيرة اسبانيا بحسن ادارة الفلاحة والصنائع التى سلك فيها مسلك الملك لويز الرابع عشر والملك قلبرت حيث أخذ يثير الغيرة والتنافس بين أهل الصناعات ويشوقهم الى اختراع لطائف بدفع مكافآت لمن أتى بشئ من ذلك مع ترك تكاليف واجبة له عليهم فنجحوا فى تلك الصناعات وبرعوا فى نسج أقمشة الحرير وغيره وكذا فى البنيان براعة أهل قرطبة وكفى بقصر السباع المعروف بالحمراء شاهدا على ما كان لاهل غرناطة من الغنى والمهارة فى فن البناء مع مالهم من الاجتهاد التام بعلوم الفلك والطب والكيمياء والرياضة والنحو والمنطق

وأخذ هذا الملك يعمل بغرناطة أعيادا لتمثيل الوقائع الحربية وأعيادا لمناضلة الفرسان ومواسم لمقاتلة الأثوار وأخرى للتسابق ولعب أخذ الخاتم ويدعو أعيان الرعية الى الاعياد والولائم العظيمة ولم يكن ذلك نتيجة جوره بل رفاهية المعيشة فى سائر الرعية ولذا كانت مدينة غرناطة كرسى مملكته مأوى المسلمين المتشتتين لكثرة خيراتها الجاذبة جميع من لم يرد الاقامة تحت حكم نصارى اسبانيا وكثرت المهاجرة اليها حين أخذ الملك جاك يطرد المسلمين من مدينة والنسة سنة ١٣٤٩

ولم يزل ملوك غرناطة متوالين الحكم بها من سنة ١٢٣٨ الى سنة ١٤٥٢ ميلادية محسنين ترتيبهم السياسى فقد رتبوا فى كل بلدة خفراء منها وأعطوا جميع سكانها سلاحا يستعملونه حالة هجوم العدو فرفعوه مرات على ملوكهم الممتنعين من أداء واجباتهم الملوكية أو الذين لا يعبؤن بمشاورة الامة وجعلوا للعساكر المحافظين بالثغور اقطاعات من الارض تكفيهم وعائلاتهم لتبعثهم على الوقاية من الاعداء وألزموا أنفسهم مثل ملوك الاقاليم المغربية بالقيام بما يلزم طوائف الفقراء من نحو المأكل والمشرب واكثروا فى الاسواق المبيع الضرورى ورتبوا

فى غرناطة التى دائرها أكثر من ثلاثة فراسخ ضبطية وفى كل ثمن منها ضابطا ورتبوا عساكر تدور ليلا فى الاماكن التى لم يكثر طروقها وعملوا قوانين لزمن اغلاق المحال العامة كالاسواق وخصصوا كل حرفة بطائفة وعاقب كثيرمنهم من أفرط فى شرب الخمر وأمروا اليهود أن يتميزوا بعلامة من غير اساءة معاملتهم ومنعوا الربا فى النقود وابتكروا فى كتابة الحجج والصكوك طرائق واضحة تمنع المنازعة وشغلوا العلماء بتأليف رسائل فى الصنائع العملية وانقاد الائمة والفقهاء لقوانينهم النظامية بعد أن كانوا الى زمن هذه السلطنة مطلق التصرف يفعلون ماشاؤا وأحدثوا لتأدية العبادة قوانين تنبئ عن كمال ايمانهم وعلو أفكارهم وشرف التأديب والتهذيب الدينى منها انعزال النساء عن الرجال فى المساجد وخروجهن قبل الرجال واكثار الطاعة فى رمضان وتوزيع الزكاة والصدقات على الفقراء وأهلها أو ابقاؤها لتنفق فى عمارات عامة النفع ومنع اجتماع الناس ليلا وابطال الندب على الاموات عند دفنهم بقراءة أدعية على قبورهم ودفن الموتى عارين عن التمائم و باقات الازهار المعتادة قبل هؤلاء الملوك وكان المستعمل فى قوانين العقوبات على الجنح والجنايات الضرب بالسوط والنفى عن الاوطان واشهار المذنب بوضعه على خشبة فاستبدل هؤلاء الملوك ذلك بحبس المذنبين فى مكان يشتغلون فيه وأبطلوا رجم المذنبين وأمروا بدفن من يقتص منه بالقتل مثل دفن سائر المسلمين

وبما سلف يعلم أن مملكة غرناطة نظرا لما كانت عليه من الامور الجليلة تستحق أن تعتبر فى التاريخ من الممالك الشريفة لكن ساء حظها حيث لم يكن توارث سلطنتها مقررا على قواعد متينة فتولاها بعد الملوك الجديرين بتعجب الاجيال المستقبلة من عدلهم وحسن سياستهم ملوك جبابرة ليسوا بكفؤ للسلطنة التى عجلوا زوالها من بحيث جزيرة اسبانيا

ولنذكر سلسلة هؤلاء الملوك مع الايجاز فنقول تولى محمد الاول المعروف بالحمار

من سنة ١٢٣٨ الى سنة ١٢٧٣ التى تولى فيها محمد الثانى الى سنة ١٣٠٢ التى تولى فيها محمد الثالث الى سنة ١٣٠٩ منح الاولان بحسن تدبيرهما مطلق التجارة على مايخل بالنظام العام مع سعد جدهما بخلاف الثالث فكان دونهما فى ذلك حيث أثار عليه أخوه نصار أبو الجيوش ساكنى غرناطة وتولى بدله من سنة ١٣٠٩ الى سنة ١٣١٣ فجبره اسماعيل بن عمه فرج من ذرية السلطان محمد الحمار على التخلى عن السلطنة وتولاها من سنة ١٣١٣ الى سنة ١٣٢٥ وخلفه ولداه محمد الرابع الى سنة ١٣٣٣ ويوسف الاول الى سنة ١٣٥٤

وكان السلطان يوسف هو المحدث لترتيب المملكة وقوانينها القديمة فكان أجل الملوك الغرناطية مع انهزامه فى حرب نصارى اسبانيا بواقعة ريوصالادو وخلفه ابنه محمد الخامس الملقب بجاديس فعزله أخوه اسماعيل ورجل من أقاربه يقال له أبو سعيد واستعان كل من أبى سعيد ومحمد الخامس بملك قسطيلة فقتل أباسعيد ليأخذ ماله وأنجد محمدا فعاد الى السلطنة سنة ١٣٦٣ الى سنة ١٣٩٠ فخلفه يوسف الثانى الى سنة ١٣٩٦ المتولى فيها محمد السادس الذى حكم على يوسف أخيه الاكبر بالحبس المؤبد ثم أحس هو بقرب وفاته فأمر بقتل أخيه المحبوس ووجه له جلادا يقتله فوافاه وهو يلعب بالشطرنج فاستمهله حتى يتم لعبه فامهله واذا رجال من الديوان يبشرون المحبوس بموت أخيه وتوليه السلطنة بدله فتولى يوسف الثالث سنة ١٤٠٩ الى أثناء سنة ١٤٢٣ ثم بدت الفتن الداخلية منذ تسلطن هذه السنة الى سنة ١٤٢٨ محمد السابع الملقب بالميسر حيث سلك برعيته مسلك الجور فولوا بدله محمدا الصغير من أقاربه وعزل بعد سنة بمحمد السابع المعزول فألبس ملك قسطيلة الذى أغار على غرناطة يوسف الرابع الملقب بالحمار تاج السلطنة الغرناطية وأغرى سنة ١٤٣٢ جمعا شهروا يوسف الرابع الملقب بالحمار سلطانا ثم عاد محمد المعزول الى السلطنة فى هذه السنة حتى طمع فى السلطنة سنة ١٤٤٥ من أقاربه محمد التاسع الملقب بعثمان

أو

أو السمين واسماعيل الثالث فعزلاه وتنازعا فى السلطنة فنصر محمد وتولاها سنة ١٤٥٤ ثم غلبه اسماعيل الثالث فتولاها حتى مات فانتقلت لولده حسن سنة ١٤٦٥

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى اضطرابات قسطيلة وغارة بنى مرين وواقعة ريوصالادو﴾

نعود الآن الى تكملة ماأسلفناه قبل المبحث السابق فنقول ان ملوك غرناطة كانوا لايخشون الا بأس أهل قسطيلة منذ فتح ملكها فرينند الثالث مدينتى مرسية وشبلية فكانوا يستميلون وزراء وجلساء هذا الملك بنحو العطاء وقبول كلامهم فى دعاوى المخاصمة بديوان غرناطة الا أن اختلاف أهل هاتين المدينتين جنسا ودينا أحال اتحادهم ولذا كان هذا الملك منشوقا للغارة على غرناطة فلم يمكنه أهل قسطيلة من ذلك لوقوعهم فى فتن داخلية منها أن الفنس ولد فرينند الثالث الناشر أزياجه ومعلومات عرب اسبانيا فى أوروبا صرف نصف عمره فى تطلبه امبراطورية ممالك المانيا ثم صرف النصف الآخر فى قتال ولده الثانى المسمى سنش حيث اختارته الدول ملكا على قسطيلة مع حياة والده فتطلب سلطنة قسطيلة أولاد الاميرة بلنشة بنت الملك مارى لويز الفرنساوى وأرادوا اقامة حقوقهم الوراثية بمساعدة فرنسا وانكلترة فأوقدوا لذلك نيران حروب أشرفت على الانتهاء واذا جور بطرس أثار من سنة ١٣٥٤ الى سنة ١٣٧٠ حرب ترنسطامار وأوقع اسبانيا فى بلايا العدوان عليها من عصابات دوجكلان والأمير نوار ثم كان بقسطيلة فى القرن الخامس عشر حنا الثانى قبل بلوغه وهنرى الرابع ضعيف الرأى الملقب بالعاجز القوة فاقتضى قصور الاول ومخافة تدبير الثانى أن لاتحارب مملكة قسطيلة فى هذا القرن مملكة أخرى

وكان محمد الثانى ملك غرناطة زمن اضطراب قسطيلة مشتغلا بالهجوم على مدينة جبل طارق ومدائن الجزيرة وطارفة من جهة وعلى مدائن هو يسقه

وبائلة وقادس والمرية من جهة أخرى معرضا عن انتهاز الفرصة بالغارة على اسبانيا حين اضطراب مملكة قسطيلة ثم هم مع أبي يوسف ملك بنى مرين فى أواخر القرن الثالث عشر بالغارة على اسبانيا وأخذا منها مدينتى طاريفة والجزيرة وأعد ماسفن قسطيلة قرب مدينة الجزيرة وأغارا على بلاد الجرو فلم يجبن سنش عن صدهما باعدامهما السفن السابقة بل أغار على داخل بلادهما سنة ١٢٨٠ ونصرو ولت الدول الفنس العاشر السلطنة سنة ١٢٨٣ ميلادية مكافأة له على شهامته ثم قام عليه أحد أولاده فاستعان بابى يوسف المرينى على قمع هذا الولد فقبل ثم عكس أمره حيث أحرقت سفنه الحربية وأخذ منه أهل قسطيلة مدينة طاريفة وأخذ منه محمد الثانى مدينة الجزيرة سنة ١٢٩٦ وجعل فيها محافظين

واشتهر النصف الاول من القرن الرابع عشر بحروب فان أهل قسطيلة أخذوا سنة ١٣٠٩ مدينة جبل طارق وحاصروا مدينة الجزيرة فأعطاهم المسلمون عدة مدن أقل أهمية منها لابعادهم عن البلاد الاسلامية وأسس اسماعيل بن فرج بين أولاد ملوك نصارى اسبانيا البالغين عداوة ينتهز بها الفرصة زمن قصور الفنس الحادى عشر عن البلوغ فتيقظ منهم اثنان لذلك وأزالا ماينهما من المنافسة فى السلطنة وحاربا غرناطة بلا تدبر ففرق المسلمون عساكرهما وقتلوهما ١٣١٩ بالموضع المعروف بسياراد ولوص أنفته فقوى عزم المسلمين وأخذوا سنة ١٣٢٩ مدائن بائلة ومرطوس وعيدة حتى مدينة جبل طارق وأمكن الملك محمدا الخامس ان يأخذ من النصارى سوى ذلك لوساعده أهل افريقية الذين لم ينتظموا معه وأخذوا منه الجزيرة ومربلة ورندة ولم ينتظم المسلمون تحت لواء واحد الا فى عهد الملك يوسف الثانى فان الملك أبا الحسن المرينى نزل باسبانيا وأخذت سفنه الحربية تطرد من بوغاز جبل طارق سفن أهل البرتغال وقسطيلة فلحقه الملك يوسف وحاصرا جيوش البرتغال وقسطيلة فى مدينة طاريفه زمنا طويلا هم فيه تلك الجيوش بالخروج من المدينة

المدينـة ثم كان بين الفريقـين بشواطئ نهر ريوصالاد و واقعة هى الثانية من واقعتى طولوزة انهزم فيها أبو الحسن المرينى فعاد الى فاس سنة ١٣٤٠ وترك لاهل غرناطة جميع مايملكه فى اسبانيا ليستر عار هزيمتـه ثم أعدمت سفنه الحربية سفن جنويزة والبرتغال واراغون المجتمعة لتحقيق السلطنة على البحر الملح للنصارى الذين أخذوا مدينة الجزائر سنة ١٣٤٢ فتجددت لهم ميناحسنة لملاحظتهم جميع السواحل الافريقيـة واستقلوا من ذلك الوقت بجيوشهم بلا احتياج الى مساعدة وأخذوا يتفكرون فيما ينسى الامم فتوحاتهم ومفاخرهم العظيمة واشتغل القسطيليون بفتنهم الداخلية عن أخـذ مدينتى جبل طارق والمرية ثم ساعدهم البرتغال الفاتحون عدة مدن من افريقيـة ومنعوا مخالطة مسلمى اسبانيا بمسلمى افريقية

﴿المبحث الرابع﴾

﴿فى اعدام النصارى سلطنة غرناطة من بحيث جزيرة اسبانيا﴾

تنازع السلطنة يوسف الرابع الحمار ومحمد السابع فاستمد أحدهما دولة قسطيلة الاسلامية فامدته بجنود نصروا على خصمه فى صحارى غرناطة سنة ١٤٣٢ فكان ذلك الانتقاد الثانى للحروب بين مسلمى اسبانيا ومراكش وأما ما كان من سادات أهل قسطيلة ومشايخ العرب الذين يودون اظهار الباس والشهامة الحربية من الغارات على بلاد الاعداء فكانت منازلات لم تستدع حربا عامة بين هاتين الامتين

وتولى سلطنة غرناطة سنة ١٤٦٥ السلطان حسن المعروف بالشجاعة وحب الوطن لكن رماه أهـل غرناطة بالتكبر والقسوة وتغلب حب جارية نصرانية على عقله مع اختياره ولدها ان يكون خليفته دون ولده أبي عبد الله ابن السلطانة زوريا فكان بينهما عداوة ازداد به ضعف هذه المملكة سنة ١٤٧٦ بخلاف مملكة قسطيلة فان عظماءها وان أوصلوا هنرى الرابع الى أقصى درجات

الحطة والمذلة لكنهم انقادوا بعد وفاته سنة ١٤٧٤ لابنته ازابله المتزوجة فرديننذ ملك مملكة نوارة والوارث لملك مملكة اراغون ثم كان لهذين الزوجين سنة ١٤٧٩ التصرف فى الممالك الثلاث كيف شا آ طلبا من السلطان حسن الجزية التى كان والده يؤديها فأبى قائلا للسفراء اذهبوا فقولوا لاسيادكم ان غرناطة ليس لديها ذهب ولكن حديد لاعدائها ثم دهم مدينة زهرة وأخذها سنة ١٤٨٠ فاخذ أهل قسطيلة مدينة الحما المعضدة لغرناطة التى سار عقب ذلك لاخذها فالتهبت نيران الحرب الداخلية

وعزل أصحاب الامير أبى عبد الله أباه حسنا عن السلطنة وولوا ابنه فاظهر للناس نصرته على نصارى قسطيلة فى واقعة لقصة المقتضية انه أولى بالسلطنة من ولده ولم يجد ذلك نفعا فأقام بريف غرناطة ثم عاد الى السلطنة يسيرا و وقع ابنه عبد الله الجبان فى أيدى نصارى قسطيلة وهم يحاربون مع فتورهمتهم وأطلقوه سنة ١٤٨٤ لعلمهم ان عزله أباه يساعدهم على بلوغ ما ربهم أكثر من النصر على أبيه الذى ألزم بخلع السلطنة على عمه المعروف بالزجال واحتقر ابناء الوطن أبا عبد الله فترجى فرديننذ أن ينصره فأجابه وأغار حالا على مملكة غرناطة فأخذ مدائن الويجا وهزم الزجال أمام مدينة لورقة فتنازل عبد الله عن غرناطة سنة ١٤٨٦ لفرديننذ الذى رخص لابى عبد الله أن يدهم جميع مملكة الزجال فحاصر أبو عبد الله ملاغة وأخذها ثم وجه عساكره الى مدائن المرية وبازه وورا فبذل الزجال وسعه فى القتال حتى يئس فأمر الناس أن يسلموا الى نصارى اسبانيا وسلم هو مملكته الى فرديننذ الذى أعطاه بدل ذلك اقطاعات واسعة بسائر مملكته سنة ١٤٩٠ وألحق أهل غرناطة برعاياه فى الاعتبار وحفظ الحرية والاموال والاعلان بشعائر الدين والخراج الذى كان يؤخذ منهم سابقا ورأوا من سلوكه دلائل الهدوّ الدائم فانقاد لحكمه من حلفوا أن يدافعوا عن أنفسهم حتى تنفد وسائلهم الحربية لكن بعض المسلمين حرض على الغدر بالنصارى وشهروا السلاح وحصنوا غرناطة مصرين ان يموتوا

تحت

تحت أطلالها فهرب الملك الزجال الى افريقية فتمثل فريند فى تاسع مايو سنة ١٤٩١ بثمانين ألفا أمام أسوارها ووكل عبد الله رؤساء رجاله فى المدافعة عن تلك المدينة التى قاسى الاهوال فى حصارها نساؤها واطفالها وشيوخها وتنافس جميع أهلها فى صد العدو وبنت الملكة ايزابلة هناك مدينة سنتافية اعلانا بانها لاترحل قبل فتح غرناطة وقطع فريند اختلاط أهل غرناطة بغيرهم حتى ضاق بهم الامر فخرجوا على النصارى مخاطرين بانفسهم فهزمهم النصارى بجوار اسوار المدينة وطلب فريند من أبى عبد الله ان يسلمه المدينة بعد شهرين ان لم يات اليها مدد فى برأو بحر و وضع امضاءه على شروط بذلك فاستنجد أهلها سلاطين أفريقية والقسطنطينية فبعث ملوك القسطنطينية دون غيرهم سنة ١٤٨٦ سفنا اقتصرت على تخريب سواحل بحيث جزيرة اسبانيا فخاف أبو عبد الله من قيام أهلها عليه وسلمها قبل الميعاد الى فريند الذى رتب له اقطاعات كافية فى أرض البوقسارة ثم أقام أبو عبد الله فى صحارى افريقية لما ركبه من العار والذلة ونصب النصارى على ذروة قلعتى الحمراء والبابسين اعلام سلطنة قسطيلة واعلام سنجاق (مارى يعقوب) وزينوا مسجدها الاعظم بحلية العبادة النصرانية القاثوليقية وأمر القائد (كزيمنيس Ximénès) باحراق الكتب العربية المحفوظة منذ قرون و وضع فريند يده بلا ممانع على المحلات المهمة فى الجبال وعلى مملكة غرناطة فانقضى من اسبانيا حكم العرب الممتد من سنة ٧١٠ الى سنة ١٤٩٢ ميلادية

وكأن زوال سلطنة غرناطة اعلام بموتهم فانهم لم يسألوا بعد أخذها عن شروط التسليم المشتملة على تمتعهم بالحرية والمال والسلاح والدين والمساجد والعوائد وبقاء ترتيب القائدين للجنود والقضاة المكلفين بالحكم فى الدعاوى على مقتضى الشريعة الاسلامية وعدم الجبر على تأدية شئ سوى الخراج والتكاليف التى كانوا يؤدونها لملوكهم المسلمين

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى السياسة التى سلكها ملوك اسبانيا مع المسلمين المطرودين عنها سنة ١٦٠٩ ميلادية﴾

لم يقصد فريننـد بشروط تسلمه غرناطة الا الحصول عليها لا اجراء تلك الشروط التى منها التمتع بالدين فانه رأى ان المسلمين بكثرتهم وغناهم وحبهم للاستقلال ربما كانوا مانعين نفوذ حكمه فصمم رأيه على أن يسلبهم العبادة الاسلامية والاخلاق العربية شيأ فشيأ ولم يبدل ذلك أول وهلة خشية أن لا ينجح مقصده فاتخذ متجسسين على التدين بدؤا بمدح أهل قسطيلة وماهم عليه من الصلاح والاستقامة ليأمنهم المسلمون وينسوا ما كانوا عليه من سوء المعاملة وأوهموهم انه يجب عليهم العمل بشروط التسليم بغاية الدقة وانهم لا يؤذون الا اليهود المالكين لحصة عظيمة من أموال البلاد أو الذين رحلوا من وطنهم (غرناطة) أو تركوا دين آبائهم ودخلوا فى دين النصرانية وأوقعوا سنة ١٤٩٢ بهؤلاء من العذاب أنواعا أفزعت المسلمين والمتجسسون اذ ذاك يدعون الى النصرانية المسلمين الخائفين ان يحل بهم ما حل باليهود من سوء العذاب ثم أعلنت النصارى بمنع التدين بالاسلام واغدقوا بالذهب على من استنصر ثم حكم فريننـد سنة ١٤٩٩ بطرد من لم يستنصر من جميع اسبانيا فانقاد ظاهرا للذهاب الى الكنائس لعبادة المسيح المسلمون بسائر المدن الا سكان جبال البوقسارة فلم يمتثلوا وشهروا السلاح فهزمهم هذا الملك وأتلف مزارعهم وأخذ أموالهم وطردهم من البلاد نعم تحمل النصارى ان يتدين بدين الاسلام أهل والنسة التى صنائعها أحد الينابيع الاصلية لرفاهية اسبانيا حتى ولى السلطنة شرلكان كرلوس الخامس سنة ١٥٢٤ فالزم أعيان النصارى المسلمين بالتنصر فاشتكوا ذلك الى شرلكان فلم يصغ لهم وأحالهم على محكمة تحقيق الدين وعقوبة المعتزلة عن طريقة القاثوليقية فحكم أرباب المحكمة باكراه المسلمين على التنصر وسعى رئيس أساقفة شبلية لدى هذا الملك حتى حكم سنة ١٥٥٢ بمنع

مساجى

مسلمي غرناطة فى يوم واحد من عوائدهم القديمة ولباسهم والتكلم بلغتهم ورتب لتحقيق دعاوى المخالفين لذلك الامر محكمة مخصوصة ودفع المسلمون سنة ١٥٩٢ الى الملك فيلبش الثانى ثمانمائة ألف دوقية (دينار) ليخفف عنهم ذلك فكفت عنهم أرباب الحكومة الأن الرعية مازالوا يتمادون فى عدم التحمل للتدين بالاسلام شاهرين السيف باليمين والصليب باليسار مقتفين أثر المسلمين فى كل جهة حتى الجبال

وبالجملة أخذ رئيس أساقفة غرناطة أمرا من الملك فيلبش الثانى بمنع اغتسال المسلمين من الحدثين والرقص المغربى واستعمال اللسان العربى وخروج النساء مبرقعات فأبى المسلمون وشهروا السلاح وعقدوا مودة مع مغاربة افريقية فتبعهم المركيز (منديار Mondejar) القائد النصرانى فالتجؤا الى جبال تابعين قائدهم محمد بن أمية المدعى أنه من نسل بنى أمية خلفاء قرطبة الاول واستمرت الحرب بينهما سنين حتى بدا الشقاق بين المسلمين وذبح محمد بن أمية تخلفه عبدالله فاخذمنه (دون حنا وتريش Don juau' dAutriche) سنة ١٥٧٠ معظم عساكره الذين انقاد بعضهم للنصارى وبعض ذهب الى افريقية ووزع النصارى الساكنين بجبال البوقسارة على استورية وغاليسة وقسطيلة تحت الملاحظة الشديدة وأمر الملك فيلبش الثالث سنة ١٦٠٩ بطرد مسلمي والنسة ومرسية فنقلتهم سفن الى سواحل افريقية واجتاز منهم كثيرون جبال برينة فقبل نزولهم فى فرنسا ملكها هنرى الرابع وجاد على بعضهم بالمسكن والمزرعة وعلى بعض آخر بوسائل السفر فى البحر الى مينا غينة ومينا لجدوق

ووجد بعض المؤرخين المسلمين المطرودين من اسبانيا منذ فتح النصارى غرناطة الى سنة ١٦٠٩ ثلاثة ملايين كانوا نخبة المسلمين وأعظمهم صناعة فدرست معالم عز اسبانيا وكذا فرنسا بطردهم من مدينة نمتس سنة ١٦٨٩ المعتزلين مذهب القاثوليقية ذوى الصنائع العظيمة

المقالة السادسة

في وصف التمدن العربي في الزمان الاول وفيها ثلاثة أبواب

الباب الاول

في أن مدرسة بغداد خلفت مدرسة الاسكندرية وفيه مقدمة واحد وعشرون مبحثا

المقـــدمة

بذل الصحابة الجهد في الفتوحات ونشر الدين واشتغل من بعدهم بذلك أكثر من اشتغالهم بالمعارف الادبيـة حتى حدثت بينهم فتن داخلية ألهتهم عن ذلك ثم رزقوا غزوات قاصية ونصرات باهرة خصوصا في سنة ٧٥٠ بعد زوال الدولة الاموية وخربوا الشام والفرس الى نهر السند والى بحر قزوين وجميع شمال افريقيـة ومعظم بحيث جزيرة اسبانيا وهددوا فرنسا بالغارة عليها فرق ملكهـا كرلوس مرتيـل جيوش عبد الرحمن الاموى في سهول اقليم لوارة ثم ذهب الاضطراب الحربي وخلفه التنافس في المعارف اقتداء بالخلفاء الذين بحمايتهم المشتغلين بها زال الجهل والفظاعة وشوهدت مؤلفات كثيرة فشت بها اللغة العربية لدى الامم المشرقية وسائر الممالك الاسلاميـة ويتكون من معظمها الموجود الآن علم أدبي من أوسع العلوم الادبية المعروفة في الدنيا

المبحث الاول

في اكتساب العرب العلوم من ابتداء خلافة المنصور العباسي

اختص المنصور بانه أول من حث العرب على الاشتغال دون من تقدمـه من الخلفاء بدليل أنه لايوجـد في تاريخ قدماء العرب الا بعض فوائد في العمليات الفلكية بواسطة منظر السماء الجاذب اذهانهم كاجذب اذهان سائر الامم الى رصد الكواكب والنجوم لطف بلادها وصحة هوائها وكان هؤلاء العرب عارفين

منازل

منازل القمر وأحكام التنجيم الفلكية وأسماء الكواكب السيارة وبعض النجوم الزاهرة التى يعبدونها من دون الله معوّلين فى حسابهم على السنة القمرية لكن لم يؤثر عنهم فكر فى تحديد الحركات السماوية ولا فى اعتبار مبدا تاريخ متبع بين سائرهم ولذا استحال ترتيب سلسلة أخبار العرب التاريخية السنوية المستطيلة الى الوقت الذى فيه زوال عباداتهم المتنوعة واجتماعهم على الدين الاسلامى وكانوا مستعدين استعداد طبيعا لان يكونوا وسائط بلاغ بين الأمم ويبثوا ماعندهم الى الأمم المنحصرة بين نهرى الفرات والوادى الكبير والى سكان الجزء الجنوبى من وسط افريقية مع كثرة أشغالهم التى لم يماثلهم فيها من سبقهم وكانوا مع عدم احتمالهم التدين بغير دينهم مخالفين لبنى اسرائيل بميلهم الى الاختلاط بالتناسل بين الأمم التى غلبوها من غير ان يتركوا طبعهم العربى والروايات المذكرة بوطنهم الاصلى بدون التفات الى تنقلهم الدائم من مملكة الى أخرى ولم تبتدئ الامم الجرمانية فى التمدن الا بعد مهاجرتهم من بلادهم بزمن طويل بخلاف هؤلاء العرب فانهم لم ينقلوا الاسلام وحده الى ماتغلبوا عليه من البلاد بل مع لغتهم الكاملة ولطائف أشعارهم التى اشتغل بها شعراء الربابة من افرنج اقليم بروفنسه والفرنج المغنون على آلات أشعار العشق والخلاعه

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى أن النسطوريين كانوا أساتذة العرب الاول وفى انشائهم مدرسة ايدسة والمذاهب الهندية التى كانوا يتبعونها ﴾

من تأمل كيفية غارة العرب على الشام وفلسطين ثم على الديار المصرية وجدهم مائلين الى كسب العلوم وتقدماتها باشتغالهم بها بواسطة استعدادهم الطبيعى وائتلافهم بما جاور سواحل جزيرتهم من الامم التى وصلت الى درجة علية من التمدن كما نشأ عن ائتلافهم بطائفة النسطورية النصرانية تنور عقولهم

بالمعارف التى اكتسبوها قبل دخولهم الاسكندرية من هؤلاء النسطورية الذين لم يفش حينئذ مذهبهم بالممالك المشرقية من آسيا وأفادوا أهل الشام معارف وهربوا حين تتبعهم أخصامهم لتباين بينهم فى العقائد الدينية ثم أطلع الشاميون العرب على ما أخذوه عن هؤلاء النسطورية من الادبيات وأنشأ النسطوريون فى مدرسة ايدسة ببلاد العراق العربى مدرسة تعلم بها من الاطباء جمع كانوا زمن النبى صلى الله عليه وسلم وبها كان بدء علم العرب المواد والعقاقير المستفادة من المعدنيات والنباتيات ثم عدم التعلم بهذه المدرسة زمن الملك اليونانى (زينون الايزوريانى Zênon l'Isaurien) لتعصب دينى بين النسطوريين الذين نشروا فى نصف القرن السابع بعد الميلاد معلوماتهم وعقائدهم الدينية فى الهندستان والصين وانتشروا فى بلاد الفرس فكان لهم بعد قليل تحكم عظيم سياسى فانشؤا فى جنديسابور باقليم خوزستان مدرسة هرع للتعلم بها كثيرون وكان فى اثينة تخت بلاد اليونان مدرسة أفلاطونية نفى منها الى بلاد الفرس جمع من الفلاسفة فى عهد الملك يوستينيان فاجتنى العرب مدة غاراتهم ببلاد آسيا أصول التمدن الفاشية فى بلاد الفرس بواسطة هؤلاء العلماء ومع ذلك لا يعلم أستاذ المنصور فى علم الفلك واستظهار أنه عالم هندى يبعده عدم اعتبار العرب للمذاهب الهندية منذ استحصلوا على الكتب اليونانية

﴿المبحث الثالث﴾

﴿فى مدرسة بغداد وترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية﴾

﴿ومؤلفات العرب فى الفلك زمن المأمون بن هارون الرشيد﴾

اقتدى بالمنصور من بعده فى نشر العلوم وتوسعة دائرتها زمن اهمالها بجميع بلاد أوروبا بجلبهم من الاقاليم التى افتتحوها علماء لترجمة أعظم كتب اليونان وانشائهم كتبخانات ومدارس يتعلم بها الخاص والعام نحو كتب ارسطاليس وسقراط وجالينوس ودسقوريدس واقليدس وارشميدس وبطليموس وابولونيوس مع تعليم متن القرآن وتدريس تفاسيره وبانشاء جمعيات العلماء لتجادلوا فى

مشكلات

مشكلات المسائل فقد أغدق المهدى والرشيد على علماء النصرانية المنتشرين ببلاد آسيا فترجموا الكتب اليونانية والفارسية الى السريانية والعربية واشتهر فى عصرهما من العلماء ماشا الله الفلكى المؤلف فى الاسطرلاب ودائرته النحاسية وأحمد ابن محمد النهاوندى وهما أقدم علماء الارصاد من العرب وحجازى بن يوسف أول من ترجم كتاب اقليدس الى العربية وكفى بالساعة الدقاقة المتحركة بالماء التى بعثها هرون الى شرلمانية ملك فرنسا شاهدا على رفعة درجة الفنون لدى العرب اذ ذاك ثم جاء المأمون المعتبر فى العرب كاغسطوس فى الرومان فحف بأعظم العلماء وربط علائق المودة بينه وبين اليونانيين ملوك القسطنطينية فأكمل السعى فى تحصيل تلك الفنون بصرف مبالغ من النقود على ترجمة كتب علماء الاسكندرية ومصر وسائر اليونانيين بجميع بلادهم حتى مدينة اثينة وألف يحيى بن أبى منصور زيجا فلكيا مع سند بن على الذى ألف فى سنة ٨٣٢ وسنة ٨٣٣ ميلادية ارصادا أخرى مع خالد بن عبد الملك المروروزى وقاس سند وخالد بين الرقة وتدمر خط نصف النهار مع على بن عيسى وعلى بن البحترى وألف أحمد بن عبد الله ابن حبش ثلاثة أزياج فى حركات الكواكب وحسبوا الخسوف والكسوف والنجوم ذوات الاذناب وغيرها والسوادات التى بقرص الشمس ورصدوا الاعتدال الربيعى والخريفى وقدروا ميل منطقة فلك البروج واصلحوا بأمر المأمون غلطات كتاب المجسطى تأليف بطليموس بعد أن شغل يحيى بن خالد البرمكى مترجمين فى ترجمته زمن الرشيد وسبقهم فى الاجتهاد بتلك العلوم من العرب محمد ابن ابراهيم الفزارى فقد ضاهى علم الفلك الهندى باليونانى ورصد أحمد بن محمد النهاوندى السماويات فى مدينة جند يسابور وألف سنة ٨٠٣ ميلادية ازياجا جديدة سماها المستعمل هؤلاء هم الذين اشتهروا زمن المأمون بالعلوم الفلكية وأما محمد بن موسى الخوارزمى ملخص الازياج الفلكية الهندية للمأمون ومعاصره الكندى المتبحر فى اللغة اليونانية المستمد من كتب مدارس

اثينة والاسكندرية المؤلف أكثر من مائتى كتاب فى الحساب والهندسة والحكمة والتنجيم والحوادث الجوية والطب وغير ذلك فلا يعدان من الفلكيين بل من الرياضيين وأما أبو معشر تلميذ الكندى فألف أرصادا نافعة حسب عليها الزيج المعروف بزيج أبى معشر وان لم يشتهر عند الفرنج الا برسالات ألفها فى التنجيم

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى أرصاد العرب الفلكية الجديدة وتكملتهم واصلاحهم ﴾

﴿ أزياجا مترجمة من اليونانية ﴾

مازالت العرب مشتغلة بعد المأمون بالعلوم خصوصا الفلك فان محمدا وأحمد وحسنا أولاد موسى بن شاكر بذلوا همتهم فيه وكملوا الزيج المصحح وحسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية وحددوا ميل وسط منطقة البروج المسماة بالاكليبتيك فى رصد خانتهم المبنية على قنطرة بغداد المتصلة بالباب المسمى بالطاق وعرفوا فيها فروق حساب العرض الاكبر من عروض القمر وعوّل ابن يونس فى ارصاده الفلكية على أرصادهم وعمل أكبرهم محمد لمواضع الكواكب السيارة تقويمات استعملت زمنه وبعده وترجم تلميذه فى الفلك ثابت بن قرة المتوفى سنة تسعمائة ميلادية كتاب المجسطى لبطليموس ثانيا بعد ترجمته زمن الرشيد وبين تصحيحات المتقدمين لغلطات بطليموس وزاد من عنده ملحوظات مفيدة وألف أرصادا فلكية بعد أولاد بنى موسى محمد بن عيسى الملقب بالمهانى وكذلك أبو العباس فضل بن حاتم النيريزى الذى التفت الى تصليح غلطات الفلكيين فى أرصادهم المتداولة الى زمن المأمون بلا تدبر فيها رصد السماويات وألف شرحا على كتاب المجسطى وازياجا بين فيها الخسوف والكسوف ومحاق الكواكب السيارة وغير ذلك من الحوادث السماوية التى حصلت فى سنة ٨٥٤ الى سنة ٨٦٨ ميلادية واتبعت هذه الازياج بعده مائة سنة لكنه غفل فى كثير منها عن غلطات لام عليه فيها ابن يونس صاحب

الزيج

الزيج الحاكمى وان شهد له فى مواضع كثيرة بما يدل على جلالته لكن الزوزنى فى كتابه كنجانة الفلاسفة عد التبريزى من الرياضيين وأما المهانى ففلكى وكان العرب فى هذا القرن التاسع متبعين مابقى بأيدى المتأخرين زمنا طويلا من القواعد التى علمها أساتذة المدرسة البغدادية تلامذتهم وهى أن ينتقلوا من المعلوم الى المجهول ويحققوا كل التحقق من الحوادث الفلكية ثم ينتقلوا من النظر فى المسببات الى النظر فى الأسباب غير قابلين الا ما اتضحت صحته ولذا عوّل من بعدهم على مؤلفاتهم واعترف ثابت بن قرة ان مافى يده من الارصاد المؤلفة زمن المامون كافية فى تقدمات علم الفلك وتأسف على عدم استحصال الناس على أكثر مما بأيديهم من كتب السلف

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى مآثر البتانى الفلكى وابنى اماجور﴾

ظهر البتانى بعد المهانى فكان رئيس علماء العرب فى القرن التاسع ألف أربعة ارصاد فى الشمس والقمر ورسالة فى الفلك ورصد السماء بالرقة سنة ٨٨٠ وجمع كليات المعارف المكتسبة فى عصره وقالت الفرنج انه بين المسلمين كبطليموس بين اليونان توفى سنة ٩٢٩ وممن اشتهر فى الفلك ذلك العصر سهل بن بشار ومحمد ابن محمد بن يوسف السمرقندى وأبو الحسن على بن اسماعيل الجوهرى وأبوجعفر بن أحمد بن عبدالله بن حبش وقسطة بن لوقا البعلبكى قرين الكندى ومحمد بن الحسين بن حامد بن العظامى وعلى بن اماجور وأخوه الراصدان السماء من سنة ٨٨٥ الى سنة ٩٣٣ ميلادية ودونا زيجا عجيبا وبينا طريقا جديدة لاستكشافات فلكية وكذا فروقا بينة فى حساب حركات القمر كما حسبها قبلهم اليونان والعرب وان حدود أكبر عروض القمر ليست دائما واحدة

﴿المبحث السادس﴾

﴿فى احياء الملوك البويهية ماابتدأه المامون من التعليم والتمدن﴾

بعد وفاة المأمون سنة ٨٣٣ ميلادية ولى الخلافة اثنا عشر تظاهر كل منهم

بحب احياء العلوم والفنون الأدبية علما بنفعها وتنافسوا فى توظيف الرجال العالمين بها واذا عصاة خرجوا عليهم وصاحوا على أبواب قصورهم فاسرع التمزيق الى المملكة بسائر الجهات كما أسلفناه فحكم المكاسيون والأدريسيون والمدراريون فى افريقية بممالك فاس ومكاسة وسجلماسة والرستامية وبنو عبد العاطى طاهرت وتلمسان والاغلبيون بلاد قيروان والفاطميون الديار المصرية بعد سنة ٩٠٥ ميلادية والديلمية طبرستان سنة ٩٢٧ وسبب ذلك أن رجلا يسمى طاهرا صدق فى خدم أداها للمأمون فى خراسان فجعله ملكا متصرفا فى هذا الاقليم كما يشاء فترجى حكام آخرون الخلفاء ان ينعموا عليهم بمثل ذلك حتى استقلوا بالحكم وانضم اليهم أناس عصوا العباسيين محتجين بالباس العلوية تاج الخلافة وتغلبوا على بعض الاقاليم وخلف الطاهرية فى خراسان الملوك الصفرية سنة ٨٧٢ الى سنة ٩٠٥ ميلادية ثم الملوك السمانية وقد قبض الملوك البويهية الحاكمون ببلاد الفرس على أزمة الحكم ببغداد حائزين لامارة الامراء فلم يتركوا للعباسية الا التحكم الاسمى وكان فى أثناء تلك التقلبات فى كل من دمشق وشيراز وسمرقند رجال يحامون عن العلوم ويشجعون على احيائها وكان فى نيسابور زمن طاهر ابن عبد الله رابع الملوك الطاهرية علماء يرصدون السماويات بدائرة اسطرلابية تكلم عليها ابن يونس ثم تراكمت التقلبات على الدول الاسلامية وكادت المعارف ان تذهب بالكلية فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى لولا أن تداركها من البويهية عضد الدولة وشرف الدولة فأخذا يحثان الناس على الاشتغال بها مع مشاركتهما لهم فخلف ابنى أماجور فى الفلك أبو القاسم على بن الحسين بن محمد بن عيسى الملقب بابن الاعلم فعمل أرصادا كثيرة ودون زيجا وألف عبد الرحمن الصوفى كتابا فى أصول علم الفلك ورصد معه عضد الدولة نجوم السماء وتعلم منه ومن ابن الاعلم وافتخر بكونهما أستاذيه واشتهر فى زمانه أبو القاسم عبد الله بن الحسن والخلوصى والموصلى والحسن بن أحمد الهمدانى اليمنى وكذا ويجن بن وستم الكوهى وأبو الوفاء اللذان فاق كوكب فضلهما

على

على ترايا هؤلاء العلماء فقد عملا ارصادا كثيرة وعما مسائل فلكية تركها علماء مدرسة اسكندرية قبل الاسلام وأمر أبا سهل الفلكى ان يحدد ثانيا حركات الكواكب السيارة السبعة وينتقد المسائل الفرضية المأثورة عن اليونانيين واقتدى شرف الدولة بالمأمون فى جمع العلماء للتعاون على الاعمال الفلكية فجمع الى الكوهى العلماء المعتبرين فى عصره كأبى الحسن الخوزى وأبى اسحق ابراهيم بن هلال وأبى سعد الفضل بن بولوص الشيرازى وأبى الوفاء محمد بن محمد الحاسب وأبى الحمد بن محمد الصاغانى وأبى الحسن محمد السمرى وأبى الحسن المغربى وغيرهم

﴿المبحث السابع﴾

﴿فى استكشافات جديدة وابداء أبى الوفاء الفلكى الاختلاف الثالث فى سير القمر﴾

كان أبو الوفاء متبحرا فى علم الميكانيكا رصد ميل الاكليتيك سنة ٩٩٥ ميلادية برفع دائرة نصف قطرها خمسة عشر ذراعا وترجم كتاب ديوفنط فكان أول من ترجمه وألف معادلة المركز والاختلاف القمرى الذى يحصل كل سنة فى سيره وأبدى فى حساب سير القمر اختلافا ثالثا وهو ما حسبه تيكوبراحة الفلكى بعد ستمائة سنة من وفاة أبى الوفاء الذى صحح الارصاد القديمة حين رأى شرح بطلميوس على القمر غير متقن وألف كتبا كثيرة أعظمها المجسطى الذى سهل بيان العلائق التى بين أشكال الدوائر بما اخترعه من قواعد الخطوط المماسة والخطوط القاطعة لخط آخر التى استعملها مهندسو العرب فى حساب مساحة المثلثات كما يستعملها المهندسون الآن بعد أن استبدل العرب الاوتار بالجيوب فى زمان البتانى السابق على هذا بمائة سنة وكان بيان تلك العلائق مطولا لا يفهمه أحد بسهولة ولد ابو الوفاء فى بوزجان سنة ٩٣٩ ميلادية وسكن العراق سنة ٩٥٠ وظهر فضله فى جمعية جمهور العلماء بباريس شرح زيجه المسمى بالزيج الشامل السيد على القوشجى وابن السيد حسن ولا يخفى ابناء

استكشافاته عما كان لعلماء المدرسة البغدادية من بلوغهم النهاية فى المعارف التى أمكنهم اكتسابها بلا نظارة ولا اسطرلاب

المبحث الثامن

فى انتقال مركز الاشغال العلمية فى غرة القرن الحادى عشر بعد الميلاد من بغداد الى مدرسة القاهرة وفى ابن يونس الفلكى والزيج الحاكمى

لما صارت ممالك آسيا ميدان الانقلابات السياسية وسلب السلجوقية السلطنة من محمود الغزنوى وتقاشلوا وظهر بكل من كرمان وحلب وروم ودمشق سلطنة تابعة لسلطنة الفرس تدفع لها كل سنة مالا واستمرت الحروب الصليبية مع الامة المحمدية أكثر من مائتى سنة وتضاعفت الكروب بغارة المغول أخذت مدرسة بغداد فى التقهقر وكادت المصابيح العلمية أن تنطفئ فيما عدا بلاد المغرب واسبانيا حتى كانت القاهرة تختا للسلطنة الفاطمية فصارت مركزا جديدا للاشتغال بالفنون واشتهر بها زمن العزيز والحاكم بأمر الله العتيق وكذا ابن يونس المقتفى فى سيره أبا الوفاء ألف فى رصد خانته بجبل المقطم الزيج الحاكمى الذى خلف فى جميع البلاد المشرقية المجسطى البطليموسى والرسائل التى ألفها سابقا علماء بغداد اخترع الربع ذا الثقب وبندول الساعة الدقاقة ثم مات سنة سبع وألف ميلادية وظهر زيجه بين الفرس سنة ١٠٧٩ وخلفه فى الاهتمام بعلم الفلك جمع منهم حسن بن هيثم الذى ألف أكثر من ثمانين كتابا ومجموعا فى الارصاد وتفسير المجسطى وتفسيرا آخر لتعاريف ذكرت أول مبادى اقليدس ورسالة فى علم النظر والضوء وموجزا سماه المعلومات الهندسية وقد رأى ابن النبدى بالقاهرة سنة ١١٤٠ ميلادية كتبخانة بها ستة آلاف كتاب فى العلوم الرياضية والفلكية وكرتين احداهما لبطليموس والاخرى لعبد الرحمن الصوفى

المبحث

﴿ المبحث التاسع ﴾

﴿ فى الفلكيين باسبانيا وافريقيـة الغربية وعدم كفاية ما كان لديهم من مستمدات علم الفلك الاصلية ﴾

منهم مسلمة المجريطى المعاصر للمنجم المعروف بابن راجـل ألف مختصر أزياج البتانى . وابن أبى طلحة الذى عمل فى ثلاثين سنة أرصادا مشهورة بالصحة وحذا حذوه فى ذلك ارزاقيل الفلكى فعمل فى تحـديد أوج الشمس أربعمائة رصـد واثنين وفى التقويم الحقيقى لحركة مبادرة الاعتـدالين أرصادا أخرى لم يلتفت الناس اليها وتعجب أهل طليطلة من ساعاته الدقاقة وألف الازياج الطليطلية والاقوال الفرضـية فى تباعد الشمس عن مركز أفلاك الكواكـب السيارة وجابر بن أفلح الشـبلى ألف رسالة صـغيرة ترجمها جيرار الكريمونى الى اللغـة اللاتينيـة وأبو الوليـد محمد بن رشـد ألف موجزا فلكيا فى مساحة المثلثات الكروية وعزى اليـه شرح على المجسطى ظن ابصاره بقعة سوداء فى قرص الشمس يوم عرف من الحساب الفلكى زمن مرور كوكب عطارد كان مشـهورا سنة ١١٥٠ ميلادية

وكان بمدائن شبلية وقرطبة وغرناطة ومرسية وطليطلة كتبخانات عظيمة ومدارس جليلة تدرس فيها العلوم الرياضية وكذا بمدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش مدارس أنتجت مدرسين بارعين سابقوا علماء قرطبـة وشبلية وغرناطة منهـم البتراش المشتهر سـنة ١١٥٠ رصد ميـل الاكلبتيك وأخـذ يطالع المجسطى فاشمأزت نفسـه من عـدم انتظام دوائره المتداخلة والمتقاطعة الدائرة حول مراكز الافلاك فاختـرع فى ترتيب الافلاك والمراكز مذهبا جـديدا منبأ عن تجرده من اعتقاد الفرضيات الفلكية الباطلة التى كان عليها أهل الاحقاب الخالية وأبو الحسـن الذى جاب فى أول القرن الثالث عشر من الميلاد بحيث جزيرة اسبانيا وجزأ عظيما من شمـال افريقية وحرر ارتفاع القطب الشمالى فى احدى وأربعين مدينة أولها افرانة التى على الساحل الغربى من بلاد المغرب وآخرها القاهرة وألف كتابه المسمى البدايات والنهايات

﴿ المبحث العاشر ﴾

﴿ فى ممارسة المسلمين علم الفلك بمساعدة من وليهم بعد الخلفاء من الملوك ﴾
﴿ المذعنين لغلبة التمدن العربى على العقول فى المشرق ﴾

نعود الى الكلام على الممالك الاسلامية المشرقية التى لم تنقطع منها نار الحرب من ابتداء القرن الحادى عشر بعد الميلاد فنقول فتوح محمود الغزنوى وغارة السلجوقيين وحروب أهل الصلب مع المسلمين واعدام صلاح الدين الخلافة الفاطمية من القاهرة سنة ١١٧١ واعدام هولاكو الخلافة العباسية من بغداد سنة ١٢٥٨ غيرت كل التغير الحالة السياسية بآسيا ومع ذلك مازال العلم فى تقدم باعتناء العلماء وهم الجزرى المتوفى ببغداد سنة ١٠٢٢ ميلادية وابن سينا المتوفى سنة ١٠٣٦ وفتح بن ناجية صاحب الاسطرلابات المتوفى سنة ١٠٥٨ وأبو الفتح عبد الرحمن الموجود سنة ١٠٦٤ والغزالى أبو حامد ببغداد سنة ١٠٩٠ والتوفيق بدمشق وهبة الله الموجودان سنة ١١٢٠ وعبد الله ابن شاكر بن على المطهر المدنى الموجود باصفهان سنة ١١٧٠ ومبشر بن أحمد المتوفى سنة ١١٩٣ وأبو حنيفة مؤلف الازياج سنة ١٢٢٠ ومحمد بن مبشر المتوفى سنة ١٢٢١ ونصير الدين الطوسى وسيأتى

وبينما خلفاء المشرق يفقدون أحسن أقاليمهم واحدا بعد آخر كان المنصورون يطالعون كتب من فى مملكتهم من العلماء ويستنيرون بما لديهم من المعلومات ولذا أحضر محمود الغزنوى الى ديوانه من سنة ٩٩٧ الى سنة ١٠٣٠ عالما فلكيا ملأت شهرته المشارق يقال له البيرونى وجمع لديه جلال الدين ملكشاه السلجوقى أفاضل العلماء من سنة ١٠٧٢ الى سنة ١٠٩٢ واليه ينسب الكتاب المسمى مبدأ حساب التاريخ الجلالى وأحضر هولاكوخان المغول الى ديوانه حين تغلب على بغداد سنة ١٢٥٩ ميلادية نصير الدين الطوسى الذى قلده ادارة الرصد خانة الجديدة بالمراغة ونقل جمال الدين الفلكى مع الخان

كوبلاى

كوبلاى علوم العرب الى مملكة الصين وحث محمد الناصر بن قلاوون أحد السلاطين المماليك بمصر رعاياه على اكتساب المعارف من سنة ١٣١٠ الى سنة ١٣٤١ ميلادية وأسس الوغ بيك التتارى فى القرن الخامس عشر رصد خانة بدمشق وأبقى فى أزياجه من الآثار الفلكية ما يشهد بعلو همته وحسن قريحته وشرك أوائل العثمانية هؤلاء الملوك فى المساعدة على كسب العلوم واحياء نتائج الافكار

﴿ المبحث الحادى عشر ﴾

﴿ فى ملوك الغزنوية والبيرونى الفلكى ﴾

لاشبهة فى أن رؤية التمدن العربى منتصرا على تبربر هؤلاء الفاتحين الشماليين الذين أغاروا على غرب آسيا وجنوبها من المناظر الجليلة الاعتبار ولذا انتهز أبو ريحان محمد بن أحمد البيرونى الفرصة بافادته واستفادته المعلومات الى الهنود ومنهم فانه اكتسب معلوماته من المدرسة البغدادية ثم نزل بين الهنود حين أحضره الغزنوى فأخذ يستفيد منهم الروايات الهندية المحفوظة لديهم قديمة أوحديثة ويفيدهم استكشاف أبناء وطنه ويبثها لهم فى كل جهة مربها وألف لهم ملخصات من كتب هندية وعربية وكان مشيرا وصديقا للغزنوى استعدّ حين أحضره بديوانه لاصلاح الغلطات الباقية فى حساب بلاد الروم والسند وماوراء النهر وعمل قانونا جغرافيا كان أساسا لاكثر القسمو غرافيات المشرقية نفذ كلامه مدة فى البلاد المشرقية ولذا استند الى قوله سائر المشرقيين فى الفلكيات واستمد منه أبو الفداء الجغرافى فى جداول الاطوال والعروض الارضية وكذا أبو الحسن المراكشى

ولم يكن فى الهندستان قبل الاسكندر ذى القرنين علم الفلك تاما والا لعرفه أستاذه ارسطاطاليس وأبداه لليونانيين ولذا كان الكتاب المسمى سند هند المترجم فى خلافة المنصور منبأ فى بعض المواطن عن حالة ابتدائية فى ذلك العلم وكأن

العرب المستمدين أول معلوماتهم الفلكية من رسالة هندية سموا الهندسة بعلم الهند وآلة تحديد خط نصف النهار المتكلم عليها برقلوس اليونانى بالدائرة الهندية وطريقة التعداد الاعشارى التى يظهر أنها من مخترعات أهل أوروبا بالارقام الهندية ونسبوا ابتداع القول باهتزاز النجوم الثوابت الى الهنود مع وجوده فى كتاب ثيون اليونانى لما يحتمل من أن اليونانيين المنفيين من بلادهم الى آسيا فى القرون الاول بعد الميلاد أحدثوا لدى سكان آسيا طرقا تخالف مافى كتاب المجسطى وأما منطقة البروج القمرية الموجودة فى كتب قدماء الهند فلا ينبغى نسبتها لاى أمة لوجودها فى سائر الامم

﴿المبحث الثانى عشر﴾

﴿فى الملوك السلجوقية وعمر الخيام وتصحيح الرزنامة الفارسية﴾

توصل الفرس بالارصاد التى أمر بها السلطان ملكشاه السلجوقى الى تصحيح رزنامتهم الفارسية سنة ١٧٠٩ بعد ذلك بخمسين سنة فكانت أصح من رزنامة الفرنج الغريغوارية المصححة بعد الاولى بستة قرون فان العرب المشرقيين التابعين لعمر الخيام وعبد الرحمن امامهم فى التقويم حسبوا تسعا وثلاثين سنة كبيسة فى كل مائة واحدى وستين سنة لا ثمان سنين كبيسة فى كل ثلاث وثلاثين سنة كما فعل الفرنج فوجدوا مقدار السنة المتوسط ثلاثمائة وخمسا وستين يوما منذ ألفين وأربعمائة واثنتين وعشرين سنة ورأوا أن فى حساب السنة الفارسية الجديدة خطأ قدره يومان فى كل عشرة آلاف سنة وفى حساب السنة الغريغوارية خطأ قدره ثلاثة أيام فى هذا المقدار

﴿المبحث الثالث عشر﴾

﴿فى ملوك المغول والطوسى ونقل علم الفلك من بلاد العرب الى الصين﴾

لم يترك المشرقيون الاشتغال بالعلوم فى أثناء الحروب الصليبية فان هولاكو أحضر الى ديوانه سنة ١٢٥٩ ميلادية رجالا ممتازين فى العلوم الرياضية

والفلكية

والفلكية أشهرهم نصير الدين الطوسى أغدق عليه بجمع الكتب الفلكية من خراسان والشام والموصل وبغداد وبنى بالمراغة رصد خانة بقبتها ثقب يعرف بما يدخل فيه من أشعة الشمس درجات ودقائق سيرها اليومى وارتفاعها كل فصل فكان ذلك منه استعمالا جديدا للربع ذى الثقب الذى استعملته العرب فى القرن العاشر وأودع هذه الرصد خانة دوائر رصد كارا وأرباع دوائر وكرات سماوية وأرضية وسائر أصناف الاسطرلاب وعمل لتحقيق الزيج الحاكى فى اثنتى عشرة سنة أرصادا لاتتم على مقتضى الحساب الاول الا فى ثلاثين سنة لاشتغال جمع معه فى ذلك منهم مؤيد الدين الدمشقى وفخر الدين الجلاطى ونجم الدين بن دبيران القزوينى وفخر الدين المراغى الموصلى ومحيى الدين المغربى ولم يزل كتابه المعروف بالارياج الخانية الذى اختصره على شاه البخارى ثم النظام ثم نجم الدين النبودى وصححه غياث الدين جشيد بن مسعود الخطيب معتمدا يدرس فى جميع المدارس المشرقية الى عهد ابن الشاطر الفلكى الذى غير قليلا فى نتائج الرصد سنة ١٣٦٠ ميلادية

ومما سلف يعلم أن الملوك المغولية أعادوا لمدرسة علماء العرب رونقها القديم وقد كمل كوبلاى خان المغول أخو هولاكو فتح مملكة الصين ونقل اليها رسائل ألفها علماء بغداد والقاهرة وأخذ السلطان كوشيو كنج سنة ١٢٨٠ ميلادية من جمال الدين الفارسى الفلكى ازياج ابن يونس فطالع جميعها

﴿المبحث الرابع عشر﴾

﴿فى ابن الشاطر﴾

خلف ابن الشاطر الطوسى فى الشهرة بعلم الفلك فى نصف القرن الرابع عشر من الميلاد وعمل أزياجا اعتمد عليها فى تدوين أزياجهم شمس الدين الحلبى وشهاب الدين أحمد بن جلال الله بن الحاسب ومحمد بن ابراهيم الخيرى

﴿المبحث الخامس عشر﴾

﴿فى أولاد تيمور لنك وانشائه رصد خانة بسمرقند وأزياجا فلكية﴾

بينما ابن الشاطر يشهر أزياجه بدمشق بمساعدة السلاطين السلجوقية اذ ظهر

تيمورلنك الذى كان أميرا على اقليم كش فرغ من حروبه الاولية فانتهز الفرصة زمن ضعف الحكومة المغولية بتأسيسه فى سمرقند سلطنة اتسعت قريبا وأخذ ماوراء النهر سنة ١٣٧٠ وبلاد قبجق وخوارزم وخراسان وأذربيجان وجرجستان ثم دهم المماليك سلاطين مصر ولم ينتصر فعاد الى المشرق وعزم على فتح بلاد تركستان والفرس ثم أخذ مدينة دلهى بعد قليل من السنين وانقاد له الهندستان فعاد الى دهم المماليك فانقض على الشام ونهب دمشق وهدم مسجدها وخرب بغداد سنة ١٤٠١ ودعاه ميخائيل بلبوغ والامراء المستقلون حتى هددهم العثمانية فسار الى السلطان بايزيد وهزمه فى واقعة انجورية وولى على ممالكه ولده السلطان موسى خان فاتخذ علماء فى تخت مملكته وجمع بسمرقند مشاهير العلماء بالفنون الادبية والصناعية وأراد فتح الصين فاخذ يتجهز للغارة على بلاد قطاى ويأخذ بثأر أولاد كوبلاى المطرودين من الصين سنة ١٣٦٨ فمات سنة ١٤٠٥ وله تسع وستون سنة فتمزقت ممالكه الا ماوراء النهر والاقاليم الشمالية من الهندستان فبقيت فى يد ولده الرابع شاه رخ خالية من الفتن الى نصف القرن الخامس عشر وجمع كتبخانة فاخرة مشتملة على كتب نادرة لمابينه وبين ملوك زمانه من المودة وأرسل سنة ١٤٢٠ سفراء الى الصين وسنة ١٤٤٢ عبد الرزاق السمرقندى الى الهندستان سفيرا وأما ابنه ألوغ بيك الذى ولى ما وراء النهر من قبل والده فعمل أرصادا وجمع علماء منهم الامير العلامة حسن جلبى المعروف بقاضى زاده وغياث الدين جمشيد وعلى بن محمد القوشجى فعملوا سنة ١٤٣٧ ازياجا تشتمل على صورة جميع الدنيا أحضر لها الآلات المضبوطة فكانت تتمة ضرورية للاعمال الفلكية المأثورة عن العرب وشرح أزياجه مريام الجلبى ابن قاضى زاده ثم محمد شاه وبعث على القوشجى للسياحة فى الصين فحرر قياس درجة من درج خط نصف النهار ومساحة الكرة الارضية

وكان ألوغ بيك آخر علماء المدرسة البغدادية وأتى بعده بقرن ونصف كپلير

الذى

الذى أبطل جميع المسائل المفروضة المأثورة عن اليونانيين ولداعد من واضعى علم الفلك الجديد

﴿المبحث السادس عشر﴾

﴿فى اشتغال العرب بالعلوم الرياضية﴾

لما اشتغل العرب بالفلك التفتوا الى العلوم الرياضية فأتوا بالعجب العجاب فى الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظر والميكانيا وترجموا من ابتداء خلافة المأمون هندسة اقليدس وتيودوس وابولونيوس وايسيقليس ومينيلوس وشرحوا مؤلفات أرشميد فى الكرة والاسطوانة وغيرها واشتغلوا قرونا بدقائق الهندسة وظهرت حينهم فى المناظرات العلية خصوصا فى المراسلات الرياضية وطبقوا الجبر على الهندسة وترجموا كتب هيرون الصغير فى الآلات الحربية وقطيزيبوس وهيرون الاسكندرى فى الآلات المفرغة للهواء والرافعة لمياه وألف حسن بن هيثم فى استقامة النظر وانعكاسه فى المرايا التى توقد النار وألف الخازن فى علم الضوء والنظر كتابا فى انكسار الضوء وفى المحل الظاهر للصورة من المرايا المنحنية ومقدار الاشياء الظاهر وكبر صورتى الشمس والقمر اذا رئيا على الافق عند الشروق أو الغروب

ونسب الجبر الى الهنود ولذا كان كتاب محمد بن موسى فى الجبر جاريا على معلوماتهم المخالفة لما وجد من تأليف ديوفنط الآن الظاهر أن الطريقة الجبرية المستعملة فى الهندستان من التعليمات اليونانية وأما الحساب فنعلم أن الهنود لم يستعملوا أرقامه العددية الا فى زمن حديث بعد ان استفادوها من أهل أوروبا على مايظهر ثم أوصلوها الينا بغير صورتها الاصلية

وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الفرنج فانا لانشكر علماء بغداد على حفظهم كتب علماء الاسكندرية فقط بل مع مااخترعوه فى هذه الفنون نحو مااخترعه البتانى الملقب ببطليموس العرب من استبدال أوتار الاقواس التى استعملها اليونان فى حساب المثلث بأنصاف الاوتار للاقواس

المضاعفة وهى جيوب الاقواس المصورة قال ان بطليموس لم يكن يستعمل الاوتار الكاملة الا لتسهيل الاثباتات والتوضيحات وأما نحن فقد استصوبنا استعمال انصاف الاقواس المضاعفة وقد وصل الى معرفة القاعدة الاساسية لمساحة المثلثات الكروية واستعملها فى مواضع كثيرة واخترع أيضا عبارة جيب وتمام جيب التى لم يستعملها اليونان والخطوط المماسة للاقواس وأدخلها فى حساب الارباع الشمسية وسماها الظل الممدود وهو المعروف فى كتب المتأخرين بالخط المماس المستعمل فى حساب المثلثات ثم ظهر بعده بقرن استعمال الخطوط المماسة فى مساحة المثلثات زمن ابن يونس وكذا فى زمن أبى الوفاء الذى أخذ من سنة ٩٣٧ الى سنة ٩٩٨ ميلادية يذكر المسائل المتعلقة بالجيوب حتى عرف خطوطا أخر تتعلق بمساحة المثلثات استعملها فى كتابه ليستعين بها على حل نظريات فى علم الفلك المطبق على الكرة وسمى بظل التفاضل والظل المستقيم أو العامودى ما نسميه الآن بالخطوط المماسة وظل التمام كما سمى بقطر الظل ما نسميه بالخطوط القاطعة

ولبث ابن يونس يستعمل من سنة ٩٧٩ الى سنة ثمان وألف اظلالا أى خطوطا مماسة واظلال تمام حسب بها جداول عنده تعرف بالجداول الستينية واخترع حساب الاقواس التى تسهل قوانين التقويم وزح من كثرة استخراج الجذور المربعة

ثم أتى (ريجيومنتان Régiomontan) بعد أبى الوفاء بخمسمائة سنة فنفى العبارات المركبة غير السهلة الدالة على الجيب وتمام الجيب وابتكر جابر الفلكى المتوفى سنة ١٠٥٠ ميلادية فى مساحة المثلثات الكروية القانون الخامس من القوانين الستة التى تستعمل فى حل المثلثات ذوات الزاوية القائمة وبقى القانون السادس مجهولا حتى اخترعه الخواجه ويط فى القرن السادس عشر وبهذين القانونين حصر الزاويتين المائلتين من المثلث ولم تعرف اليونان الا القوانين الاربعة الاول وكانت تكفيهم فى العمليات لان حالة الزوايا الثلاثة المعلومة لم تكن

توجد

توجد فى طبيعتهم مساحة المثلثات على علم الفلك

هذه ابتكارات العرب الذين نجحوا فى ممارسة علم الفلك وانقطع اليه منهم كثيرون مؤلفون حسبوا الزمن باحدى التطبيقات المعروفة بفن صناعة الارباع التى هى من مسائل الهندسة الحقيقية وكانوا يرون أهميتها حيث لم يكن لهم غيرها فى حساب الزمن واشتغل بها المهندسون من ابتداء القرن التاسع من الميلاد وألف الكندى وثابت بن قرة فى هذا الفن الذى عرفه الخواجه (موروليقوس Maurolycus) قبل غيره من فرنج الأعصر الأخيرة ولذا اعتبر كتابه بين أهل عصره

وأما فن صناعة الأرباع الميقاتية التى كانت تستعملها العرب فألف فيها أبو الحسن على المهندس الفلكى رسالة بها أول استعمال الخطوط الدالة على الساعات المتساوية فان اليونان لم يستعملوها قط وقد فصل صناعة الخطوط الدالة على الساعات الزمانية المسماة أيضا بالساعات القديمة والمتفاضلة واليهودية واستعمل خواص القطوع المخروطية فى وصف أقواس البروج الفلكية

وحسب خطوط المعادلة ومحاور تلك المنحنيات لمعرفة عرض محل الشمس وانحرافها وارتفاع الربع الميقاتى وألف فى تقسيم الطرح محمد البغدادى المشتهر فى القرن العاشر من الميلاد بالهندسة رسالة موضوعها تقسيم أى شكل الى أجزاء متناسبة مع أعداد مفروضة بخط مستقيم يرسم وهى اثنتان وعشرون قضية سبع فى المثلث وتسع فى المربع وست فى المخمس وألف حسن بن هيثم المتوفى بالقاهرة سنة ١٣٠٨ كتابا على نسق كتاب اقليدس وان باينه فى أن قضاياه الهندسية دعاوى جديدة لم تعرفها القدماء وهو كتاب جليل يشبه رسالة اقليدس ويستحق أن يعتبر واسطة بين كتاب القواعد المفروضة والبراهين الاستقرائية لاقليدس وكتاب المحال المستوية السطوح (لابولونيوس Appollonius) وبين كتابى (سمسن Simson) و (استيوارت Stewarat) فان بمثل تلك الكتب كمال الهندسة الابتدائية المعدة لتسهيل حل الدعاوى النظرية

﴿المبحث السابع عشر﴾

﴿فى تقدمات العرب فى الجغرافيا الرياضية ونقصان الرسائل اليونانية التى استفاد العرب منها هذا العلم﴾

كان (ايراتسطينس Eratosthenès) اليونانى أول عالم فى عصره بين اليونانيين جعل وصف الكرة الارضية مذهبا له دون غيره وحسب الاراضى المعمورة من المحيط الاطلانطيقى الى نهر الكنج ولم يغلط الا فى نحو ست وعشرين درجة جغرافية تساوى (٨٨) كيلو متر تقريبا وظن أن هذا النهر يصب فى البحر الشرقى واعتبره الحد الاكبر لقارة آسيا الا أن معلوماته الجغرافية كمعلومات معاصريه يسيرة ثم تقدمت العرب فى هذا الفن كالفنون السالفة وجددوا كتاب المجسطى لبطليموس الذى نحى اللاتينيون عن طريقته التى وصفها لقلة صدقه حتى تجددت المعلومات

وكان الاقدمون يستفيدون من جوب الآفاق فوائد مهمة فى تقويم البلدان وتحديد المسافات ومنهم الخواجا مارين الصورى ألف من رحلته فى الجغرافيا العامة كتابا حصر فيه جميع أطوال الاراضى بين خطى نصف النهار المار أحدهما على الجزائر الخالدات وثانيهما على سراطينة فيكون بينهما ١٢٥ درجة جغرافية وهو ل فى التقويمات الباطلة لايراتسطينيس حيث جعل مابين الجزائر الخالدات ومصب نهر الكنج ١٤٥ درجة جغرافية بدل جعلها ١٢٩ درجة وسبع دقائق وأربعا وثلاثين ثانية ثم جاء بطليموس فجعل الخمس والعشرين درجة والمائتين اللاتى ذكرهن مارين الصورى ثمانين ومائة درجة مع أنه لم يتفحص فى كتب السلف ولم يصحح مافيها من الغلطات ولم يؤلف كتابا جديدا بل اكتفى بما ذكروه من المفروضات غير محققة ولم يغير شيأ من مقادير الأطوال التى حددها مارين الصورى وجعل مابين ابتداء الجزائر الخالدات وراس كورى ١٢٥ درجة وعشرين دقيقة ومابين راس كورى وسراطينة ٤٥ درجة وأربعين دقيقة لامائة درجة حتى توصل الى جعل جميع امتداد القارة القديمة

ثمانين

ثمانين ومائة درجة والعجب منه حيث نسب اليه رسالة جغرافية استرشد فيها
بكلام مارين الصورى وليس لدفيها الاترك الخرائط المصورة فيها الارض مبسوطة
واستصواب طريقة ايبرقة التى رسم فيها جميع خطوط أنصاف النهار وموازياتها
أجزاء من الدائرة تتقاطع عند تلاقيها و يتكون منها زوايا قائمة واستعمل
الجغرافيون تصويرايبرقة اذا أرادوا وصف أجزاء الارض المحصورة بين خط
الاستواء والقطب الأ أنهم أخطؤا فى قولهم ان بطليموس الذى لانظيرله فى
التنظيم والترتيب لم يستطع استعمال المبادى التى بين يديه وقت تصرفه الا بعد
بحث جديد مبنى على جميع معلوماته الرياضية والفلكية فان كتابه على خلاف
ماقالوا لاشتماله على جميع الغلطات القديمة وخلوه عن رائحة الاتقان والاصلاح
فى تنقيصه درجات الاطوال السابقة ولذا تنحى اللاتينيون والعرب فى القرون
المتوسطة عن الاشتغال بالجغرافيا حتى تجددت المعارف ثانيا فى أوروبا
فتجددت آراء بطليموس وصارت أزياجه أساسا للعلم ونموذجا لرسم الخرائط
وجهل أعظم علماء الفرنج اصلاحات العرب لمؤلفات بطليموس واشتغلوا بتآليفه
ظانين أنهم سالكون سبيل الهداية حتى رأوا استحالة تطبيق آرائه فان
(اداجاتوداءيمون) رسم فى الاسكندرية خرائط جغرافية على مقتضى
الاطوال والعروض التى ذكرها بطليموس ومارين الصورى منتصرا لمذهبهما
المقتضى وجود كثير من القارات المجهولة على الكرة الارضية فظهر من المدارس
القديمة الموجودة اذ ذاك جغرافيون أبدوا ما فى الخرائط المرسومة على رأيهما من
العيوب الاساسية واختاروا أن يجعل شكل الارض المسكونة كرويا أو بيضاويا
أو مربعا وطبقت النصارى هذه الافكار على جغرافية التوراة أحسن من
تطبيقهم آراء بطليموس ومارين عليها كما أن تخطيطات مارى جيروم سنة ٣٦٧
ميلادية وابتيقوس سنة أربعمائة (وأوروز Orose) سنة ٤١٦ (ويوليوس هونوريوس
Jules Honorius) سنة خمسمائة مباينة للرواية المعزوة الى علماء
الاسكندرية وقال قسماس انديقو بلوطيس سنة خمسين وخمسمائة ميلادية
ان الارض المعمورة مربعة ولايعول على هذا المذهب وغيره المخالف لكروية

الارض المقتضية ان يكون بيت المقدس فى وسط الدنيا كما قال أيسيدور الشبلى سنة ستمائة ميلادية

﴿المبحث الثامن عشر﴾

﴿فى رفض مدرسة راونة آراء بطليموس الجغرافية﴾

أخذ الامبراطور (تيودوز الثانى Théodose II) ملك القسطنطينية بحث اليونان من ابتداء سنة ٤٣٥ على الاشتغال بالجغرافيا وأمرهم أن يجددوا خريطة المملكة اليونانية فاتخذوا مدينة راونة مركزا لتعلم الجغرافيا وبكتبخانة هذه المدينة رحلات عليها حواش ولها جداول بها رسم الطرق والدروب بالألوان وبينما الجهالة منتشرة فى القرون الوسطى باوروبا كان الرهبان فى الديور يشتغلون بذلك العلم ويرسمون مااقتصر علماء مدرسة راونة على ذكر أسماء بلاده ولذا شوهد لدى رئيس ديرمارى جال خريطة ظريفة وأخذ رهبان جزائر الانكليز ينقلون لبعضهم أخبار الممالك القاصية وماشاهدوه فى أثناء حجهم بيت المقدس ويكبرون كتبخاناتهم المشتملة اذ ذاك على كثير من المؤلفات الجغرافية وجمع شرلمانيه ملك فرنسا علماء مملكته فعملوا لجميع الدنيا خريطة مصورة بالحفر فى ثلاثة ألواح من فضة قطع ووزع أحدها على العساكر حين كان لوتير بن الملك لويز الهادى يحارب اخوته سنة ٨٤١ ميلادية وكأن اللوحين الآخرين فعل بهما كذلك وألف الراهب ديقويل سنة ٨٢٥ ميلادية فى الجغرافيا التخطيطية كتابا يذكر القارئ بما فى الخريطة المرسومة زمن الملك تيودوز ويفيد اهتمام أهل ذلك العصر بمعرفة مثل ذلك التخطيط وكذلك الملك فريد الاكبر الجدير بالمقارنة لشرلمانية حث رعاياه على اكتساب الجغرافيا وبعث فى السفن من استكشفوا من بحر بلطق الى مصب نهر وستول وسواحل بلاد نرويجه وأمر أناسا بترجمة تخطيط الدنيا تأليف بولص أوروز الى اللغة الدارجة وتكميله بالمعلومات الجغرافية المكتسبة زمن سلطنته وذلك الكتاب هو المعروف بهرمسطا وكان آخر الآثار المعتمدة فى الجغرافيا عند علماء مدرسة راونة كتاب بريسيان

وخريطته

وخريطته المنشأة فى عهد الملك ألفريد الاكبر ومما سلف يعلم أن اللاتينيين جهلوا جغرافية بطليموس أولم يعتمدوها الى القرن العاشر من الميلاد

﴿ المبحث التاسع عشر ﴾

﴿ فى تصحيح العرب كتاب بطليموس فى العصر الاول سنة ٨٢٠ ميلادية ﴾

لما اشتغل العرب فى عهد الخلفاء الاول من بنى العباس واغترفوا من كتب اليونان الرياضية والجغرافية كان كتاب بطليموس هو المرشد الاكبر لهم ثم أمر المأمون سنة عشرين وثمانمائة ميلادية بعمل أرصاد فلكية جديدة ببغداد وتصحيح أرصاد المجسطى بالزيج الجديد المحرر فى خلافته واعادة تحديد الاطوال الارضية فعملوا ذلك وكان بصورة ماحددوه وسموه رسم الارض تجديد مذهب اليونان فى ذلك وتحسينه عما كان عليه ولا مانع من نسبة بعض ذلك التحسين الى العلماء النسطورية الذين حفظوا معلومات المتأخرين من علماء الاسكندرية بلا نقص ولا تصحيح فان الخلفاء أغدقوا عليهم ليشاركوا العرب فى تلك الاشغال التى منها تحديد الاطوال الارضية المسمى برسم الارض المدوّن فى آن واحد بالعربية واليونانية وكان أصح الاقطار تحديدا بلاد العرب والخليج الفارسى والولايات المروية بنهرى الدجلة والفرات وبلاد الفرس وسواحل بحر جرجان الجنوبية والبحر الابيض المتوسط وكان قياس درجة من خط نصف النهار فى سهول صنعاء مساعدا على تصحيح أزياج بطليموس بدليل انطباقه بالاصالة على البلاد المجاورة لبغداد

ولم يكن من العرب الى القرن الحادى عشر من الميلاد تقدم فى الجغرافيا الرياضية بخلاف الجغرافيا التخطيطية فانهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الى الاطلانطيق الى تخوم مملكة الصين أنشؤا بالتدريج أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينتى قادس وطنجة الى أقصى آسيا احداها تخترق اسبانيا وأوروبا و بلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ و بلاد تجزجز والثانية تخترق بلاد المغرب ووادى مصر ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والاهواز

وكرمان والسند والهند والثالثة والرابعة تعبران البحر الابيض المتوسط وتتجه احداهما من الشام والخليج الفارسي والاخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى أقصى البلاد ماعند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الاخبار الجليلة الفوائد فنورت اذهان الملاحين وعرفتهم الاخطار التى يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا فى ولايات غير مستكشفة حق الاستكشاف واشتملت الازياج التى حررها البتانى بالرقة سنة تسعمائة وابن يونس فى القاهرة سنة ألف على كتاب رسم الارض بلا تغيير كبير وأما ابن حوقل والاصطخرى والمسعودى المشهورون فى نصف القرن العاشر من الميلاد فوصفوا فى كتبهم صورة الاستكشاف الجديد وحسب العلامة الكومى سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقى من الارض القارة

وزعم بعض الفرنج أن العرب كانوا متبعين فى أول أعصر بنى العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادى علم الفلك المسمى بسندهند ان صح نقله الى المنصور سنة ٧٧٥ لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب فانهم ظفروا عما قليل برسالات يونانية وتركوه لاينفوهون باسمه الا ليبينوا مافيه من الغلط ولم يعولوا فى شئ من الجغرافيا على كتب الهنود المشاهد فيها أن بحيث جزيرة الهندستان فى مركز العالم وان خط نصف النهار الذى يبين نقطة وسطها يخترق مدينة أوجين وجزيرة سيلان وبحث العرب فى كتبهم عن خط نصف نهار القبة الارضية وهى قبة عرين لتنصيص الاطوال فظن بعض الفرنج أن المراد من عرين مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المنسوبة الى عرين هى نقطة تقاطع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساو من الجهات الاربع الاصلية وليست هى قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حق المعرفة محل أوجين الجغرافى وأما عرين فكلمة اصطلاحية أرادوا بها جزيرة موهومة بين الهندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ ديودور الصقلى بجزيرة أورانوس

وبدل

وبدل العرب خط نصف نهار عرين أو قبة الارض بخط نصف النهار المار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من ابتداء القرن الحادى عشر الى الثالث عشر

﴿ المبحث المتمم للعشرين ﴾

﴿ فى تصحيح العرب كتاب بطليموس فى العصر الثانى سنة ١٢٠٥ ميلادية ﴾

افتتح العصر الثانى من أعصر اتقان العرب فى ازياج بطليموس بظهور العلامة البيرونى الفلكى سنة ١٢٠٥ ومدرسة بغداد اذ ذاك على ماهى عليه من عظيم الرونق والبهجة دعاه الملك محمود الغزنوى الفاتح لجزء من آسيا الى ديوانه فاستعد لتصحيح الغلطات الباقية فى حساب الاطوال المتعلقة ببلاد الروم وما وراء النهر والسند ولان يعمل لممالك المشرق قانونا جغرافيا ألفه فكان أساسا لاكثر القسمو غرافيات المشرقية قابله وصحح بعضه خوشيار الفارسى الفلكى كما أن عمر الخيام الفلكى ضبط حساب الروزنامة السنوية سنة ١٠٧٦ بامر السلطان ملكشاه وحدد باصح كيفية مدة السنة الفلكية المعروفة بالاعتدالية وقد أفادنا غاية معلومات العرب فيما يتعلق بقارة آسيا نصير الدين الطوسى وخوشيار الفارسى ومؤلف زيج الجزائر وكذا كتاب القياس أى زيج التمائل واشتهر من سنة ألف الى سنة ثلاثمائة وألف ميلادية جمع من الافاضل منهم البكرى سنة ١٠٩٧ ترجم كتابه الخواجه كترمير وشهره

والادريسى المولود بمدينة سبتة سنة ١٠٩٩ ميلادية تعلم العلوم بمدينة قرطبة ثم خدم فى ديوان روجير ملك جزيرة سيسيليا فصنع له من الفضة لوحا مستديرا زنته ثمانمائة رطل افرنجى (الرطل ثمان أواق افرنجية والوقية ثمانية دراهم افرنجية) وحفر فيه باللغة العربية كل ماعرفه من جميع ممالك الدنيا المعلومة اذ ذاك وألف فى الجغرافيا رسالة لبث رسامو الخرائط الجغرافية من الفرنج ثلاثة قرون ونصف مقتصرين على نقلها ولم يزيدوا عليها الا شيأ قليل الاهمية وأبان فى تأليفه عن أول نقطة التماس التى بين جغرافية اللاتينيين وجغرافية المدارس الاسلامية وترجم كتابه الخواجه يوبرت وياقوت سنة ١٢٢٥ ميلادية

﴿المبحث الحادى والعشرون﴾

﴿فى تصحيحات العرب فى العصر الثالث الذى أوله سنة ١٢٣٠ ميلادية﴾
﴿وفى الكلام على قبة عرين وآخر ما حصل من اجتهاد العرب فى هذا العلم﴾
﴿من سنة ١٢٥٠ الى سنة ١٦٤٨ ميلادية﴾

علمت مما سلف تبدل حقيقة مركز العالم والمشرق بظهور كتابى رسم الارض وقانون البيرونى وأما الجزء الغربى من المملكة الاسلامية وهو ساحل اسبانيا وبلاد المغرب فلا يزال مشتملا على أقيسة زائدة مع ان ارزاقيل الاندلسى الفلكى سنة ثمانين وألف ميلادية كان عنده رصد مضبوط لطول مدينة طليطلة جعله أربع ساعات وعشر ساعة بعيدا من عرين وأما طول البحر الابيض المتوسط الذى جعله بطليموس اثنين وستين درجة ثم جعله العرب فى كتاب رسم الارض أربعا وخمسين درجة فقد قدر بعد ذلك باثنين وأربعين درجة غير أنا لم نستفد من ذلك الرصد بخلاف ماعمله أبو الحسن على المراكشى المشتهر سنة ١٢٣٠ ميلادية من التصحيح المهم الذى كان به كتابه من أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافيا

وميز العرب فيما سلف المغرب المعمور من المغرب الحقيقى للدنيا بتنقيصهم أول مرة عشر درجات من حساب القدماء وجعلوا المغرب الحقيقى قريبا من جزائر آسورة ولم يعرفوا بجمع هذه الجزائر فاختاروا خط نصف النهار المار بقبة عرين والمتحد مع الدرجة التسعينية من حساب بطليموس فاستفادوا من ذلك ضبط جداولهم وكأن أبا الحسن استعمل خريطة رسمت فى الزمن الاول غير مضبوطة كما استعمل مثلها جغرافى آخر من أهل المغرب يقال له ابن سيد غير أن أبا الحسن جدد جزأ من تلك الخريطة بأضبط منه بخلاف ابن سيد ومن نقلوا عمله فانهم جهلوا ذلك التجديد ونقلوا الى الجغرافيين من أهل المشرق الخريطة الاصلية على ما هى عليه من الغلط ولذا ترك أبو الفداء الذى لم يطلع على التجديدات

المتعلقة بجغرافية بلاد المغرب واسبانيا مواضع خالية من جغرافيتها فى رسالته الكبرى

وبدأ الانحطاط بعد من أسلفنا من أبى الحسن والجغرافيين من الفرس فان القزوينى الملقب بوجه الحق المتوفى سنة ١٢٨٣ ميلادية لم يكن منه غير نقل كلام أسلافه حرفيا وصرف ذهنه الى التاريخ الطبيعى والعلامة النويرى المصرى المتوفى سنة ١٣٢٠ لم يحتو كتابه الجامع لعلوم كثيرة على ملحوظات زائدة عما حققه سلفه وأما ابن بطوطة الذى رحل سنة ١٣٢٥ من مدينة طنجة وطنه فشاهد الديار المصرية وبلاد الفرس وما وراء النهر والهندستان والصين ثم طاف بعد عشرين سنة باسبانيا ومغرب افريقية فلا يوثق بكلامه لاملائه سياحته من حافظته بعد المعاينة مع تصديقه كل مايلقى اليه من الحكايات التى لا تعقل

وابن الوردى مؤلف خريدة العجائب المشهور فى الزمن السالف عند الفرنج وكذا بحلب من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٣٤٩ ميلادية لاينبغى أن يستمد من كلامه الا مع الاحتراس من الخطا وأبو الفداء أمير حماه من سنة ١٢٧١ الى سنة ١٣٣١ ميلادية لم يلتفت الى غلطات أسلافه التى نقلها ولا الى تغير بعض الارقام العددية التى أثبتها بلا تظرفيها وصدق بفوائد علمية واضحة البطلان ونسب الى من نقل عنهم هفوات تستحيل على مثلهم الا أنه يفوق ابن الوردى فانه وان لم يكن الا مختصرا تآليف غيره قد استند الى المعلومات الرياضية ولام جميع من اتبعوا غير هذا النهج الرياضى فى كتبهم باهمالهم ضبط الاطوال والعروض البلدية ونقل جداوله من أربعة جداول فابقى لنا كنز علم حقيق وأتى بعد أبى الفداء فضلاء اشتهروا بالجغرافيا وهم العلامة الذهبى المتوفى سنة ١٣٤٧ ميلادية والبكرى المشتهر سنة ١٣٩٧ والمقريزى المشتهر من سنة ١٣٩٧ الى سنة ١٤٤٣ وابن اياس وكذا ليون الافريقى المشهور بالحسن المشتهر سنة ١٥١٦ ميلادية

وبعد أن خرب التيمور لنكيون ممالك آسيا شوهدت أشغال علمية فى ابتداء القرن الخامس عشر فان الملك شاه رخ بعد أن استولى على بلاد الفرس وجزء من الهندستان تودد الى رؤساء الممالك الاخر وأرسل سفراء كثيرة الى عامل الصين سنة ١٤٢٠ ثم عبد الرزاق السمرقندى الى الهندستان سفيرا الى ملك كلكتة وشرع ابنه أولوغ بيك المشهور بازياجه الفلكية فى رسم خريطة جميع الدنيا سنة ١٤٣٧ واعتمد عليها نصير الدين الطوسى فى مؤلفاته وساح على القوشجى باذن أولوغ بيك فى بلاد الصين فضبط قياس درجة من خط نصف النهار ومقدار مساحة الكرة الارضية

وكان لعلم الجغرافيا الاسلامية خرائط بحرية أيضا رآى منها الخواجا واسقوجاما سنة ١٤٩٧ عند المعلم قنا (أوكنا) المغربى المقيم فى الجوزرات (قرب الهندستان) حين أخذه معرفا لسير السفينة الى مدينة ميلندة فى زنجبار واستعان البوقرق الاكبر (البرتغالى) فى ملاحته ببحر عمان والخليج الفارسى بخريطة أخرى من رسم عمر العربى فى سنة ١٩٤٨ وختمت سلسلة الرسائل الجغرافية اللاتى ألفها المشرقيون بكتاب الخطيب الجلبى المسمى بجهان نامه المستعين فى هذا المؤلف بمؤلفات الفرنج المشتملة على الاستكشافات الجديدة المهمة التى عثر بها البرتغاليون والاسبانيون

﴿المبحث الثانى والعشرون﴾

﴿فى تلخيص الاستكشافات العظيمة التى جاءت بها العرب فى علم الفلك والعلوم الرياضية وعلم الجغرافيا﴾

أدرجنا فى الابحاث السالفة مؤلفى العرب والفرس لانتساب سائرهم الى مدرسة واحدة ولان الاصطلاحات العلمية التى جرت عليها المشارقة كان سائرها ألفاظا عربية لتغير صورة اللغة الفارسية الى العربية منذ زمان طويل بممارسة القرآن والحركة العقلية الفاشية فى القرن الثامن بعد الميلاد منذ تولى بنو العباس منصب الخلافة وظهر تحكم التمدن العربى المتسع

به نطاق لسان العرب الذى أدخله مترجموا لكتب اليونانية فى الاصطلاحات فسهل انطباقها على المعلومات التصورية التى عزا الفرنج اختراع أكثر استكشافاتها الى علماء منهم كانوا بالقرن الخامس عشر والسادس عشر مع أن اختراع أكثرها ما كان الا للعرب الذين اجتهدوا فى تقدم العلوم ونلخص لك اجتهادهم فنقول

الاول ان استبدال الاوتار بالجيوب وادخال الخطوط المماسة فى حساب مساحة المثلثات وتطبيق الجبر على الهندسة وحل المعادلات التكعيبية وأذكى تصورات العلوم الرياضية شاهدنا جميعها فى مؤلفات العرب المكتوبة بخط اليد التى ظفرنا بها

الثانى أن العلماء الفلكيين ببغداد ضبطوا بغاية الدقة حركة أوج الشمس وتداخل فلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك أخر ومقدار السنة

الثالث أن تقدم الجغرافيا الرياضية وتصحيح أزياج بطلموس كانا على أيدى العرب

الرابع أن القرن السادس ومابعده الى السادس عشر كانت خالية من الفلكيين الاوروباوية متحلية بوجود من أسلفناه من أهل الارصاد العربية ولذا لم يعد الفرنج فى كتبهم الا بعض أرصاد فلكية نصوا عليها فى كتبهم نصا ناقصا

الخامس ماتعجب منه فلكيو المشرق وهو رصد خانة سمرقند التى أنشأ بعدها بقرن الخواجا تيكوبراحة رصدخانة أورانيبرع سنة ١٥٧٦ ميلادية

السادس أن الفرنج زعموا أن آلة الاسطرلاب من مخترعات تيكوبراحة مع أن تلك الآلة والربع ذا الثقب موجودان من قبله فى رصدخانة المراغة التى أسسها العرب العارفون للساعة ذات البندول

السابع أن العرب شهروا النقصان التدريجى لميل وسط فلك البروج قبل متأخرى الفرنج بزمان طويل

الثامن أن العرب قدروا مبادرة الاعتدال بمقداره الحق من ابتداء القرن الحادى عشر

التاسع أنهم رصدوا اختلافات أعظم عروض القمر قبل تيكوبراحة بأكثر من ستمائة سنة

العاشر أن تحديد الاختلاف الثالث فى عرض القمر وان كان أكبر استكشاف مثبت نفار تيكو براحه لكن لابد لابى الوفاء الفلكى من منازعته فى نفار ذلك الاستكشاف

ولا يخفى أن الاستكشافات السالفة تفيد علم الفلك المشرق مزية الاصالة والاولية التى لا يستطيع الامساك عن الاقرار بها أحد من الفرنج الذين استكشافاتهم لمعلومات الكتب العربية شواهد على تقدم العلوم الرياضية عند العرب الذين استفاد منهم اللاتينيون الاستمدادات الاولية فان جوبرت الذى كان بابا رومية وملقبا بسلوستر الثانى أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفرنج العلوم الرياضية التى اكتسبها من عرب اسبانيا (وادهيلارد Adhélarb) الانكليزى ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية فى كل من اسبانيا ووادى مصر وترجم مبادى اقليدس من العربية بعد أن ترجمها العرب من اليونانية وترجم أفلاطون (المنسوب لطيفوليا وهى مدينة قرب رومية) من العربية الرياضيات الكروية المنسوبة الى (تيودوز Théodose) كما أن الخواجا رودلف أحد أهالى بروجس البلجيقية ترجم مسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الارضية أو السماوية المصورة مبسوطة على خريطة وليونرد أحد أهل بيزة ألف سنة ١٢٠٠ ميلادية رسالة فى الجبر الذى تعلمه بلاد العرب وقبانوس من أهل نوارة (فى اسبانيا) ترجم فى القرن الثالث عشر كتاب اقليدس ترجمة جديدة وشرحه وويتلبون البولندى ترجم كتاب الخازن فى علم الضوء والنظر وترجم جيرارد الكريمونى المجسطى وشرح كتاب جابر وغير ذلك فانتشر علم الفلك الصحيح وشهر الفنس القسطلانى سنة ١٢٥٠ ميلادية الازياج الفلكية المنسوبة اليه

وكان الملك روجير الاول ملك السيسيليين ساعد العلماء العرب بسيسيليا لاسيما الادريسى ثم أتى العاهل فردريق الثانى بعد روجير بمائة سنة فلم يأل جهدا فى المساعدة والحث على كسب العلوم والمعارف الادبية المشرقية

وكان

وكان أولاد ابن رشد مستخدمين فى ديوانه ويعلمونه التاريخ الطبيعى فى النبات والحيوان

﴿الباب الثانى﴾

﴿فى العلوم الطبيعية التى كانت عند العرب﴾

﴿وفيه مقدمة وأربعة مباحث﴾

﴿المقدمة﴾

قد اتسعت العلوم الطبيعية زمن اتساع العلوم الرياضية ولكن لانعرف عصر نشأتها لتسلسل التصورات فى جميع الاشياء التى يجول العقل فيها نعم الاشتغال بمعرفة حقائق الكائنات العلوية والسفلية وتفصيل مايتعلق بها وضبط قياس الحركة والفضاء الذى تم فيه بواسطة التأمل فى الطبيعة حدث زمن ارسطاطاليس على أن ذلك البحث كان فى الغالب متعلقا بالاجسام العضوية وهى الحيوان والنبات ثم ارتقى ذلك زمن العرب الى درجة البحث عن القوى الطبيعية والجواهر الاولية التى تحلل لادخالها فى مركبات أخرى لانهم كانوا يسكنون بحيث جزيرة العرب مابين مدينة مسكات ومكة الذى به كثير من البهارات والصموغ البلسمية والجواهر النافعة والضارة بالانسان فالتفتوا الى مزايا ما بأرضهم من النباتات النافعة فى الطب والصنائع وزينة المعابد والقصور ومثلهم من فى سواحل مالابار وسرنديب (سيلان) والسواحل الشرقية من قسم افريقية فحصل كل على مزية لم يعلمها الآخر الا بواسطة تجارات أتت من مخزن جرها الذى بين الخليج الفارسى واليمن وجابت بحيث جزيرة العرب حتى بلغت كنعان والشام وأما البحث عن الجواهر الطبية الذى مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية فمن مخترعات العرب فانهم المنشؤن للاجزاخانات الكيماوية والموروث عنهم مايسمى الآن بقواعد تحضير الادوية الذى انتشر بعد من مدرسة سالرنه فى الممالك التى فى جنوب أوروبا

﴿المبحث الاول﴾

﴿في علم الكيمياء﴾

قد أدى انشاء الاجزاخات والمادة الطبية اللذين هما أول مايلزم لفن الطب الى الاشتغال بعلم الكيمياء الذى كان ابتداء العرب فى التمدن مبدأ للاشتغال به وهو عبارة عن مجرد التحليل والتركيب لاتركيب الذهب والفضة المسمى بالكيمياء السرية والاكسير والحجر المكرم وقدأوصلت العمليات الهرمسية وهى تراكيب الملاغم والمخلوطات المعدنية التى عملت فى المعادن المطروقة الى أبدع الاستكشافات المعدنية وعرف تركيب الكبريتيك والماء المعشر والماء الملكى وتحضير الزئبق وتخمير الجواهر الكؤلية وغير ذلك من مؤلفات أبى موسى جعفر الكوفى المشتهر فى القرن الثامن من الميلاد والفخر الرازى المتوفى سنة ٩٢٣ من الميلاد

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى علم النباتات والمادة الطبية والاقتصاد الزراعى﴾

لسعة اطلاع العرب على مزايا النباتات أدخلوا فى الادوية نباتات جهل اليونانيون خواصها كالراوند وتمر الهندى وخيار شنبر وورق السنا المكى والاهليلجات والكافور وعرفوا أنواع الطيب الذكية كجوز الطيب والقرنفل وغرسوا عدة أشجار من ذوات الزهور المذكرة والمؤنثة وعرفوا مايتعلق بخصب آلات الذكورة والانوثة ورأوا استعمالهم السكر فى الطب أفضل من استعمال القدماء العسل فادخلوه فى مركبات كثيرة كشراب الورد وأشربة جلابية (بضم فشد) ومعاجين كثيرة واشتغلوا بعلم الجيولوجية وهو معرفة تركيب طبقات الارض وتكلم ابن سينا فى المادة الطبية على شجرة الارز المسماة ديودقارة النابتة فى جبال هيماليه وجعلها نوعا من الشجر المسمى جونيپريس الداخل فى تركيب زيت الترمنتينا وقد أنشأ عبد الرحمن الاول

خليفة قرطبة بستان نباتات بقربها و بعث الى الشام وغيره من الممالك المشرقية سياحين لجمع البذور النادرة وكان قد غرس بقرب قصره فى الرصافة أول نخلة فى قرطبة وبالجملة بذل العرب صادق الهمة والعزيمة فى تعلم وتعليم جميع فروع العلوم المتعلقة بالمولدات الطبيعية ولذا أنصفهم المؤلف ليبل فى كتابه الجديد بما حكاه من اشتغالهم بعلم الجيولوجيا ونقل دساسى عدة فصول من كتاب القزوينى المشهور باسم بلين المشارقة واشتهر حياة الحيوان للدميرى الذى هو عند العرب بمنزلة بوفون عند الفرنج وبلغت العرب فى علم الزراعة أقصى درج الكمال وأحدثوا فى اسبانيا السواقى ذات القواديس المعتادة الآن وكان عندهم فى الاقتصاد الزراعى معلومات شيبت بأوهام فاسدة الا أنهم كانوا يعرفون طرقا عملية تستحق التفات الفلاحين اليها

المبحث الثالث

فى علم الطب والمدرسة اليونانية العربية والفخر الرازى وابن سينا

أحضر ملوك الفرس الاكاسرة من ابتداء القرن الثالث بعد الميلاد العيسوى أطباء اليونان فنشروا فى البلاد المشرقية آراء أبيقراط الطبية حتى سابقت المدرسة التى بجنديسابور مدينة الاسكندرية أيام البطالسة ثم فتحت العرب البلاد فكان مركز التعليم انطاكية وحران وظهر منهما أطباء جامعون فى الغالب بين العلوم الرياضية والفلسفية عارفون باللغة اليونانية كالعربية التى ترجموا اليها كتب ارسطو واقليدس و بطليموس منهم يحيى بن ماسويه طبيب هرون الرشيد ألف فى الطب كثيرا من المؤلفات المعتبرة عند المشرقيين منها شرحه المشتمل على ثلاثين كتابا وكتاب فى تحضير الادوية ورسائل فى أصناف الحمى والاغذية والنزلات والحمامات وأنواع الصداع والشقيقة وغير ذلك ترجم كثير من مؤلفاته الى العبرانية و يوجد بكتبخانات أوروبا كثير منها بالعبرانية والعربية مات سنة ٨٥٥ ميلادية وله ثمانون سنة فخلفه تلميذه حسين وأخذ من المأمون على كل كتاب ترجمه من اليونانية الى العربية زنته ذهبا ترجم كتابى جالينوس وأبيقراط

وغيرهما وألف كتبا كثيرة فى الطب والمنطق الفلسفى واختبره المتوكل حيث سأله عن سم قاتل بمجرد تناوله فقال لاأعرف الا الادوية الحافظة للصحة فاتخذه طبيبا وأغدق عليه توفى سنة ٨٧٤ ميلادية ومنهم جبرائيل المشتهر فى علاج كثير من الادواء

والفخر الرازى محمد بن زكريا قام بادارة المستشفيات فى بغداد والرى وجنديسابور وهو أول من أحدث المسهلات اللطيفة فى الاجزاخانات والتراكيب الكيماوية الطبية واستعمال الحزام وأول من ميز القصب الحنجرى عن القصب الراجع الذى يكون أحيانا مضاعفا من جهة اليمين وكان يرى أهمية التشريح فى الطب الذى ألف فيه أكثر من مائة مؤلف منها كتاب ضخم سماه الحاوى فى علم التداوى ورسالة فى الجدرى والحصبة استمد منها سائر الاطباء وأهدى الى الامير المنصور حاكم خراسان فى القرن العاشر من الميلاد أحد أبناء العائلة السمانية عشرة كتب حسنة الترتيب والاسلوب طبعت فى مدينة ونديق البنادقة سنة ١٥١٠ ميلادية وهى أول مابحث فيه عن الجمرة عمى كبيرا فمنع أن يعالجه من الاطباء الا من عرف عدد أغشية العين وساح فى الشام ومصر واسبانيا توفى سنة ٩٣٢ ميلادية واشتهر بعده بخمسين سنة على بن عباس الفارسى المجوسى ألف فى الطب كتابا عشرين مجلدا عشرة فى قواعد الطب وعشرة فى عملياته سماه الملكى وأهداه الى السلطان عضد الدولة البويهى ترجمه الى اللاتينية اصطفان الانطاكى سنة ١١٢٧ ميلادية وطبعه ميخائيل كابلا سنة ١٥٢٣ فى مدينة ليون بفرنسا

ولم يكن فى حكماء العرب مثل الفخر الرازى وأبى على الحسين بن سينا المولود فى افشانه من ضواحى شيراز سنة ٩٨٠ ميلادية كان والده حاكما على شيراز وتعلم هو الطب فى بخارا وعالج وهو ابن ١٨ سنة الامير نوح السمانى وشفى من مرض عظيم فتقدم عند الملوك السمانية و وعده محمود الغزنوى الاغداق عليه ان أقام عنده فأبى ودام على التغرب فى البلاد وأقام عند قابوس حاكم

اقليم جرجان وجدد فى ديوانه أعمال الطبيب اليونانى ارازستراطس وجدد له موئلا فى مدينة الرى حين كان سلطانها مجد الدولة ثم فى مدينة همدان حين اختاره ملكها شمس الدولة ان يكون وزيرا وطبيبا له ثم دعاه علاء الدولة للقيام بوظيفتى الوزارة والطب بأصفهان ألف كتبا من أجل المؤلفات منها القوانين وهى خمسة كتب ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازى تدرس بمدارس أوروبا نحو ستة قرون تقريبا مات سنة ١٠٣٧ ميلادية

المبحث الرابع

فى مدرسة اسبانيا وابن القاسم وابن زهر وابن رشد وغيرهم

ظهر أيضا فى مدرسة اسبانيا من الاطباء جمع منهم أبو القاسم خلف بن عباس المعروف عند الفرنج بالبوقاريس وضع علم الجراحة ووصف آلاتها وكيفية استعمالها وما يحصل فى بعض الكيفيات من الاخطار وعين لاخراج الحصوة موضع البضع الذى عينه متأخرو الجراحين من الفرنج ولم تعرف مؤلفاته بين الفرنج الا فى القرن الخامس عشر من الميلاد مات سنة ١١٠٧ ميلادية وأبو مروان بن عبد الملك بن زهر ولد فى بلدة بنافلور أدخل فى المادة الطبية عدة أدوية وأحدث فى علم الجراحة فتح شعبتى التنفس ووصف أمراضا لم تكن موصوفة قبل مثل المرض المعروف بالتهاب الحجاب المنصف للتامور المحيط بالقلب وتعين لرد العظام المنتقلة الى مواضعها وجبر المنكسر منها ترجمت كتبه الكبيرة الى اللاتينية غير مستوفاة الترجمة استخدم عند الامير يوسف بن تشفين صاحب مراكش فاغدق عليه

ومن تلامذة ابن زهر أبو الوليد محمد بن رشد اتبع أصول الفلسفة الارسطاليسية وألف رسالة فى الترياق وكتابا فى السموم وأنواع الحمى وشرحا على كتاب ارسطاليس وشرحا على قوانين ابن سينا وكتابا ضخما مشهورا بالكليات طبع فى مدينتى ونديق وليون وغيرهما

وكان عبد الله بن أحمد بن على البيطار أعلم الاطباء بعلم النباتات ساح فى البلاد

المشرقية زمنا طويلا وأكرمه السلطان يوسف صلاح الدين الايوبى والكامل صاحب دمشق اشتمل مجموعه المسمى بالادوية المفردة المقسم أربعة أقسام على وصف جميع النباتات والاحجار والمعادن والحيوانات ذات الخواص الطبية أصلح فيه غلطات ديوسقوريدس وجالينوس وأوريان

وبالجملة كان ملوك المشرق يدعون العلماء الى دواوينهم ويستقبلونهم بانواع التشريف والاموال الجزيلة فكان منهم عدد لا يحصى حفظت أسماؤهم فى التواريخ اشتهر منهم فى الطب ثابت بن قرة الطبيب الفلكى سنة ٨٥٠ ميلادية وأبو جعفر أحمد بن محمد الطالب الذى ألف سنة ٩٧٠ ميلادية فى داء البرسام والسرسام وغيرهما وعلى بن رضوان سنة ١٠٦٠ ميلادية وجزلة بن جزلة سنة ١١٠٠ وعبد الرزاق سنة ١١٥٠ وهبة الله سنة ١١٥٥ والجلدكى الذى ألف سنة ١٢٥٢ كتابا فى الحجر المكرم المسمى أيضا بالكيمياء السرية والصنعة الالهية وأبو الفرج سنة ١٢٨٦ واسحق بن ابراهيم سنة ١٣٠٠

﴿الباب الثالث﴾

﴿فيما كان عند العرب من الفلسفة والالهيات والفقه والمعارف الادبية ومخترعاتهم وفيه سبعة عشر مبحثا﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿فى عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطاطاليس﴾

زعم الفرنج أنه لم يكن فلسفة عربية وماذاك الا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا فى القرون المتوسطة مستمدة من تآليف العرب الفلسفية وكانت ترجمة حسين الطبيب ويحيى النحوى كتب ارسطاليس مبدأ لاشتغال العرب بالمعلومات الفلسفية التى كان من رجالها الكندى ومحمد بن مسعود وأبو تمام النيسابورى وأبو سهل البلخى والاسفراينى والعمبرى ثم ظهر الفارابى وابن سينا فكانا أشهر رجال الفلسفة لتدوينهما لها على الصورة المذهبية التى نقلها عنهما

ابن

ابن باجه وأثير الدين الابهرى وعلى الخونجى وابن رشد وأبو الصلت ونصير الدين الطوسى ثم جالوا فى مدارس المغرب ولا تظن أن العرب اقتصروا على تفسير كتب ارسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون لاسيما كتابه الاكبر المؤلف فى الشرائع وعدة كتب منسوبة الى فيثاغورس وكانوا يذكرون من قدماء اليونان كثيرين أورفيه وأوميروس المحتوية أشعاره على الفلسفة الدينية والفلاسفة السبعة وانكزاغورس وابرا قليط وديمقراط والالياطيه وسقراط وتلامذته واقليدس والفلاسفة الاسطوانية وكان عندهم فى الجزء الثانى من تاريخ علم الفلسفة مسائل فيمن كمل فلسفة ارسطو ومن شرحها وفيما يخص مدرسة الاسكندرية وكانوا يعتمدون أقوال بلوتين وبرقلوس ويلهجون كثيرا بالقضايا العلمية وكانوا واسطة بين زمن الفلسفة القديمة والفلسفة المدرسة فى أوروبا وكانت المجادلة بين أهل الظاهر منهم والباطن عدة قرون فضل فيها بعض أهل المدارس المشرقية على بعض وكان منهم معتزلة بصرية ومعتزلة بغدادية وحكماؤهم الفلاسفة الذين ظهرت فلسفتهم على علماء الفرنج فى القرون المتوسطة بل وعلى أرباب الاسرار الروحانية مثل مارى بوناقنطور

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فى المعتزلة والمتكلمين والصوفية ﴾

المعلومات المستفادة بطريق النظر أو الرياضة ان لم تقيد بموافقة الدين الاسلامى فحكمة مشائية أو اشراقية وان قيدت بذلك واستفيدت بالنظر فكلام أو الرياضة فتصوف وعلماء الكلام قسمان معتزلة يجعلون التعقل أساسا للدين بمعنى أنهم يوجهون عقولهم نحو المطلوب فيحصلونه ثم يؤولون الشرع الى ماأدركه العقل وسنية يجعلون الدين أساسا للتعقل وهم أشاعرة وماتريدية وأما الفلاسفة فمعرضون عن الدين رأسا ومن رجال أهل السنة فخر الدين الرازى محمد بن عمر المتوفى سنة ١٢٠٩ ميلادية وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن على البيضاوى

المتوفى سنة ١٢٨٦ أو سنة ١٣١٦ ميلادية وأبو البركات عبد الله أحمد بن محمد النسفى المتوفى سنة ١٣١٠ ميلادية وشمس الدين الاصفهانى المتوفى سنة ١٣٤٨

ومن رجال التصوف أبو حامد محمد بن محمد الغزالى ولد سنة ١٠٥٨ ميلادية بطوس التى اتجر فيها والده فى القطن المغزول تعلم العلوم فى مدينتى جرجان ونيسابور ثم درس الالهيات فى بغداد ثم سكن دمشق وانقطع عشر سنين يتأمل فى مصنوعات الله ثم عاد الى التعليم فى نيسابور ألف أكثر من مائة كتاب قصد فى جميعها رفع شان الدين وأهمها الاحياء الذى كان سببا فى تلقيبه بحجة الاسلام واشتهر ولهج كثيرون بان جميع الكتب الاسلامية لو ضاع لكان شيأ قليلا مابقى هذا الكتاب وكان عظيم الحب للآداب التهذيبية ولذا شحن كتبه بالحث على فعل الخير واجتناب الشر والتظاهر باخلاق التورّع وقمع الشهوة النفسية

ومن رجال المعتزلة أبو حذيفة واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصرى ثم أبو على الجبائى وأبو هاشم عبد السلام وأبو القاسم البلخى وابن عياش وأبو يعقوب السهام (بشد الهاء) وابراهيم بن سيار وآخرون

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى علم الفقه والحديث وفرق المسلمين الاربع صحيحة العقيدة والدين ﴾

علم الفقه أحكام استمدها من الكتاب والسنة الائمة الاربعة وهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت المولود بالكوفة سنة ٦٩٩ ميلادية المتوفى ببغداد وله سبعون سنة والامام الشافعى المتوفى بمصر سنة ٨١٩ ميلادية والامام مالك بن أنس المولود فى المدينة المنورة سنة ٧١٢ المتوفى بها سنة ٧٩٥ ميلادية والامام أحمد بن حنبل المتوفى ببغداد سنة ٨٥٥ وله ثمانون سنة

وأول من ألف فى هذا الفن أبو حنيفة الذى ولى الرشيد تلميذه أبا يوسف القضاء سنة ٧٨٦ ميلادية ولم يأمن على القيام بوظيفة القضاء فى جميع مملكته

المتسعة

المتسعة الامن يعينه أبو يوسف فانتشر مذهب أبي حنيفة بالعراق والهند والصين وخراسان وما وراء النهر وسائر بلاد العجم وأما مالك فانتشر مذهبه باسبانيا فان الحكم المرتضى بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم قام بالحكم بعد أبيه وتلقب بالمنتصر سنة ١٨٠ هجرية وانتقل من مذهب أبي حنيفة الى مذهب مالك فاختص بيحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي الذي حج وسمع الموطأ من مالك الا أبوابا وأخذ عن ابن وهب وابن القاسم وغيرهما وعاد الى الاندلس فولاه المنتصر القضاء ولم يول قاضيا في الاندلس الا باشارته فاتبع أهل الاندلس رأي مالك بعد ان كانوا على رأي الاوزاعي شيخ أبي حنيفة توفي يحيى سنة ٨٠٦ ميلادية وكان الغالب على أهل المغرب السنن والآثار حتى قدم عبدالله بن فروج أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة الذي أظهره بعد ذلك أسد بن الفرات بن سنان قاضي افريقية ثم تولى قضاء أفريقية سحنون بن سعيد التنوخي المولود سنة ٧٧٦ المتوفى سنة ٨٥٤ ميلادية فنشر مذهب مالك فتداول أصحابه القضاء حتى تولاه بنو هاشم وكانوا مالكية فتوارثوه كتوارث الضياع ثم أمر المعز بن باديس أن لا يتولى القضاء أو الافتاء بسائر المدن والقرى الا مالكي

ولم يزل مذهب مالك منذ تولى سحنون متبعا في بلاد المغرب والسودان وسائر أهل أفريقية الا مصر فان الشافعي أتى اليها سنة ١٩٧ هجرية ونزل على بني عبد الحكم فأخذ عنه جمع من بني عبد الحكم والربيع بن سليمان وأبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى المزني وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم ثم الحرث بن مسكين وبنوه وكتبوا عنه ما ألفه وانتشر مذهبه بالديار المصرية فكان مقلدوه بها أكثر من غيرهم وفوض صلاح الدين الايوبي القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي فلم يول القضاء بالديار المصرية الا شافعيا ثم ولى الظاهر بيبرس البندقداري سنة ٦٦٥ هجرية

أربعة قضاة من المذاهب الاربعة ثم اختص القضاء بالحنفية تبعا لقاضى القاهرة الآتى من القسطنطينية

وتفرقت تلامذة مالك الى العراق ومصر فكان منهم بالعراق القاضى اسماعيل وطبقته كابن خويز منداد وابن اللبان والقاضى أبى بكر الابهرى وبمصر جمع منهم ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم والحرث بن مسكين رحل من الاندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك فى الاندلس ودوّن فيه كتاب الواضحة ثم دون تلميذه العتبي كتاب العتبية فعكف أهل الاندلس على الواضحة والعتبية ورحل من افريقية أسد بن الفرات وكتب عن أصحاب أبى حنيفة ثم انتقل الى مذهب مالك وكتب عن ابن القاسم فى سائر أبواب الفقه كتابا سماه الاسدية وذهب الى القيروان فقرأها عليه سحنون ثم ارتحل الى المشرق ولقى ابن القاسم فأخذ عنه وعارضه بمسائل الاسدية ورجع عن كثير منها فدون سحنون مسائلها وبين مارجع عنه ابن القاسم وكتب الى أسد أن يأخذ بذلك فأنف فترك أهل القيروان مدونته وعكفوا على مدونة سحنون على مافيها من اختلاط المسائل بالأبواب فلذلك سميت المدونة والمختلطة ومن كتب الفن المعتبرة الموضحة لابى مروان عبد الملك القرطبي المتوفى سنة ٨٥٢ ميلادية والمجموعة لابى عبدالله محمد بن ابراهيم مفتى قيروان المتوفى سنة ٨٧٣ ميلاديه والمعزية لمحمد بن المعز المتوفى سنة ٨٩٤ ميلاديه والمبسوط لاسماعيل بن اسحاق قاضى بغداد المتوفى سنة ٨٩٥ ومن رجال هذا المذهب أبو محمد عبدالله بن أبى زيد القيروانى المتوفى سنة ٩٧٠ ميلادية وابن يونس أبو بكر محمد بن عبد الله الصقلى المتوفى سنة ١٠٥٩ وأبو الحسن على ابن محمد الربيعى المتوفى سنة ١٠٨٥ وابن رشد أبو الوليد محمد بن أحمد المتوفى سنة ١١٢٦ والمازرى أبو عبد الله محمد بن على بن عمر التميمى ولد فى مدينة مازارة بجزيرة صقلية وتوفى سنة ١١٤١ ميلاديه وابن الحاجب المتوفى بالقاهرة سنة ١٢٤٨ وابن فرحون المدنى المتوفى سنة ١٣٧٧ ميلاديه وقد جمع المؤلفات

العديدة

العديدة مختصر خليل بن اسحاق بن يعقوب المتوفى سنة ١٤٢٢ ميلاديه فكان أحسن كتب المالكية ترجمه برون الى اللغة الفرنساوية بأمر دولته حين نفذ حكمها على عرب الغرب وترجم الى اللغة الانكليزية كتابان الهداية فى فروع الحنفية ألفها برهان الدين سنة ١١٨٠ ميلاديه ومشكاة المصابيح جمع فيه أصح الروايات أبو عبد الله محمود سنة ١٣٣٦ على حسب ما اعتمده الامام حسين الذى اشتهر فى بغداد سنة ١٢٢٠ ومن هذين الكتابين استمد الخواجه ميلس فى كتابه المسمى تاريخ دين الاسلام

وقد اعتنى بجمع الاحاديث النبوية جمع من العلماء أولهم محمد بن شهاب الزهرى وأما أول من بوبها فسعيد بن عروبة والربيع بن صبيح بالبصرة ومعمر بن راشد باليمن وابن جريج بمكة ثم سفيان الثورى بالكوفة وحماد بن سلمة بالبصرة والوليد ابن مسلم بالشام وجرير بن عبد الحميد بالرى وعبد الله بن المبارك بمرو وخراسان وهشيم بن بشير بواسط وتفرد بالكوفة أبو بكر بن أبى شيبة بتكثير الابواب وجودة التصنيف وألف مالك الموطأ مرتبا على أبواب الفقه وأتى البخارى فى صحيحه بسبعة آلاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا من مائة ألف حديث مشكوك فيه ومن أكثر من مائتى ألف حديث موضوع والمكرر من أحاديثه ثلاثة آلاف لذكرها فى كل باب اشتملت على معنى يليق به وقد اتفق أهل السنة على صحة هذا الكتاب فكان وما شابهه من الينابيع الاربعة للتوحيد والفقه وهى القرآن والسنة والاجماع وكذا القياس الجارى فيما لم يرد فيه نص عن الشارع وكان مشابها لما نص عليه فى أمر هو منشأ الحكم

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى الفصاحة العربية وحفظ القرآن وحدة اللسان العربى ﴾

كان للعرب مزيد اهتمام بتحسين الكلام ولذا افتخروا به وتغالبوا فيه فأتى اليهم النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن الذى أثبت لسانهم وبادرت الامم الاسلامية الى التكلم به

فكان مستمدا للقواعد النحوية وقواعد أساليب التأليف واختيار المحسنات والجناسات البيانية وغير ذلك مما يزيد على مائة فن ولذا استمد منه أبوالاسود الدؤلى المتوفى سنة ٦٨٨ ميلادية قواعد نحوية كانت بابا للتوضيحات الكثيرة النحوية واتسع هذا اللسان العربى لمطالعة أهله الكتب اليونانية المشتملة على العبارات الجديدة حتى صارت اللغة العلمية لاهل المشرق والادب الفارسى قسما من علم الادب العربى فان الكتب العلمية باقية اذ ذاك لدى الفرس والترك على التأليف العربى كما أن الكتب العلمية كانت ببلاد المانيا باقيــة فى القرون المتوسطة على التأليف باللغــة اللاتينية حين اخترع المنسنجر نظم الشعر بالالمانية

ومع تباين الامم الاسلامية ببلاد آسيا الى داخل بلاد الهند وافريقية الى داخل بلاد السودان فى الاخلاق والعوائد واللغات أتى القرآن حافظا للوحدة اللغوية والاحساسات النفسية فعلموا منــه الاطفال فى المكاتب كلمات من قبيل ان شاء الله وماشاء الله والله أكبر والله كريم تمرينالهم ثم الفاتحــة ثم يعلمونهم فى المدارس الآجرومية لمحمد بن داود الصنهاجى والخلاصة المشهورة بالالفية لجمال الدين محمد بن مالك ومصباح المطرزى فى النحو وكتاب ابن هشام وأخذ الفرنساوية يعلمون كتاب دروس فى النحو وغيره مشتمل على مراح الارواح لاحمد بن على بن مسعود وتصريف العزى لعز الدين أبى الفضل عبد الوهاب عماد الدين بن ابراهيم الزنجانى وكتاب المقصود المشتمل على طريقة تصريف الاسماء والافعال ليوسف الحنيفى وكتاب البناء المفيد طريقة احكام أجزاء الكلام التى لاتتصرف وكتاب الامثال المشتمل على جداول تصريف الافعال

وقد أوضح الخواجا دساسى الاصطلاحات النحوية ناظرا للقواعــد المبنى عليها لسان العرب ومضاهيا ألفاظ الطريقتين المشرقية والافرنجية وأطال فيمن ترجموا الكتب اليونانية الى العربية ومن دونوا النحو من العرب بما يغنى عن تلخيص مناقبهم ومآثرهم

المبحث

﴿المبحث الخامس﴾

﴿فى علماء النحو والبيان والشارحين﴾

فتح العرب البلاد واشتغلوا بالملك عن العلوم التى أقبلت عليها الأمم المنقادة لهم ولذا كان أعظم علماء التوحيد وأقدم النحويين كسيبويه والفارسى والزجاج من الامة الفارسية وظهر على علماء اللغة الذين كانوا أشهر من غيرهم اسماعيل ابن محمد الجوهرى الملقب بامام اللغة العربية المولود وسط القرن الرابع من الهجرة بمدينة فاراب فيما وراء نهر جيحون ألف كتاب الصحاح مرتبا على حروف المعجم باعتبار الحرف الاخير لاحتياج الناس فى الاكثر الى أواخر الكلم جاب بلاد الفرس والعراق العربى والشام ومصر ثم رجع الى خراسان وأقام فى نيسابور التى اشتهر فيها سنة ٩٩٩ ميلادية هذا الكتاب الذى شرحه كثيرون واستمد منه الخواجا غوليوس والخواجا مينسكى وكانا يعتبرانه أعظم القواميس التى منها المحكم لابى الحسن على بن اسماعيل الملقب بابن سيده المتوفى سنة ١٠٦٥ ميلادية والعباب وهو عشرون مجلدا للامام حسن بن محمد الصاغانى المتوفى سنة ١٢٥٩ ميلادية ثم ظهر الفيروز ابادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب المولود فى قسرين بضواحى شيراز سنة ١٣٢٨ ميلادية فالف من العباب وغيره زمن انحطاط تقدم العرب كتابا فى جميع ألفاظ اللغة العربية وهو ستون مجلدا كل منها فى ضخامة صحاح الجوهرى اختصر منه مابين أيدينا من القاموس المحيط وهو بالنسبة له كواحد من ثلاثين تقريبا ألف أكثر من أربعين كتابا وأغدق عليه ملك اليمن اسماعيل بن عباس الملقب بالاشرف وتعجب السلطان بايزيد العثمانى وتيمورلنك من عظيم اعتبار الناس له فبعثا له هدايا ساح فى الآفاق ثم أقام بزبيد حتى توفى فيها سنة ١٤١٥ ميلادية وله ثمانون سنة وممن استفاد عظيم الشهرة بمؤلفاته أبو القاسم محمود الزمخشرى المتوفى سنة ١١٤٣ ميلادية ألف المفصل ومقدمة لمطالعة النحو وقاموسا فارسيا وعربيا والكشاف المشتمل على معانى القرآن وما يتعلق به من اللغة والاعراب والبلاغة

المتعلقة بتأدية المعانى حسب المقاصد المتوقفة على علمى المعانى والبيان المعتبرين فى الادبيات المشرقية المستفادين من مثل الكشاف والجرجانى وشرح التفتازانى على تلخيص المفتاح لجلال الدين محمود بن عبد الرحمن القزوينى وحدائق البلاغة فى البلاغة وضبط نطق اللغة الفارسية تأليف الامير شمس الدين وأدب الكاتب المشتمل على كيفية أساليب التعبير وأنواع الفصاحة لابن قتيبة المتوفى سنة ٨٩٠ ميلادية ومن أشهر علماء البيان ابن السكاكى الفارسى المشبه لدى بعض الفرنج بالخواجا قنتيليان فى الاعتناء بوضع القواعد البيانية وصحتها وبالخطيب سيسيرون (قيقرون الرومى) فى الفصاحة وغزارة المحاسن وأتى العلامة الجزرى فى كتابه المسمى المنهج الكلى بأنواع المعارف اللازمة للخطيب وألف السيوطى فى هذا الموضوع كتابا تكلم فيه على صحيح اللغة العربية وجودتها وأيد كل قاعدة بعبارات ثقاة المؤلفين وأما الخليل بن أحمد فاول من ألف فى العروض الذى استمده من كلام قدماء الشعراء

﴿المبحث السادس﴾

﴿فى علم تحرير الادبيات وتحبير المؤلفات وفى الحكايات والخرافات المسلية والقصص الغريبة﴾

كان العلامة الحريرى المولود سنة ١٠٥٤ ميلادية المتوفى بالبصرة سنة ١١٢١ أول علماء تحرير الادبيات وتحبير المؤلفات فضلا ورتبة ألف المقامة الحرمية فوقعت فى يد شريف الدين أبى نصر انوشروان بن خالد ابن محمد الكاشانى وزير الخليفة المسترشد بالله ووجدها مستوفاة التحرير والتحبير فأمر الحريرى أن يؤلف مقامات أخرى على نسقها فأتى خمسين مقامة مكونة من منثور ومنظوم على لسان انسان مفروض الوجود مشتملة على مقدار عظيم من محاسن اللغة العربية التى لو أتقن معرفتها انسان لعرف غزارة اطلاع صاحبها الذى أودعها مجازات والغازا قليلة الاستعمال ورموزا وامثالا أبانت صعوبتها ولذا شرحها كثيرون ومن مؤلفاته المنظومة المسماة ملحة الاعراب

وشرحها

وشرحها وسبقه الى ذلك النوع من التأليف أبو الفضل أحمد بن حسين الهمذانى المتوفى سنة ١٠٠٧ ميلادية وله أربعون سنة كان يسمع القصيدة مرة فينشدها بلا تردد كما هى وكان يرتجل الشعر بغاية السهولة مع صحة الالفاظ وحسن التعبير افتخر بابتكاره أربعمائة مقامه

ومن الادبيات الخرافات والامثال الحكمية المنسوبة الى لقمان وحكايات ابن عرب شاه وابتكاراته المستورة الحقائق بالكنايات والرموز وكتاب ابن المقفع المسمى كليله ودمنه وكتاب ألف ليلة وليلة الرابط للحقائق التاريخية بمناسبات مبتكرة ربما كانت لطيفة دقيقة ولا يعرف له مؤلف

﴿المبحث السابع﴾

﴿فى الامثال السائرة ومجاميع الاغانى وهو الجزء الاول من الينابيع التاريخية﴾

لاخفاء أن مجاميع الاغانى والامثال ينبوع للفوائد التاريخية فمن الاول كتاب الاغانى لابى الفرج على بن حسين الاصفهانى المتوفى سنة ٣٥٦ هجرية بناه على مائة منظوم نظمها لهرون الرشيد ابراهيم الموصلى واسماعيل بن جامع وفليح ابن عورة ثم زاد اسحاق بن ابراهيم على ذلك باذن الواثق أغانى معبد وابن سريج ويونس ومجموعات أغان لجمع من الخلفاء أو أبنائهم ثم بعض مقطعات مفيدة للقارئ ثم جاء الاصفهانى فزاد على ما اختاره من تلك الاغانى مايوضحها من الاخبار والنكت وتراجم الشعراء الناظمين وأبان تواريخ جزيرة العرب السنويه القديمة فانه كان متبحرا فى الانساب وسير مشاهير الرجال والمقاتلات الشهيرة والحوادث التى تخص أجداده الاوائل ولم يلتزم فيه ترتيبا منتظما ترغيبا للقارئ ولا تظن أن موضوعه مبتذل أخذا من اسمه فانه يشتمل على فوائد نفيسة فى تاريخ العرب المدنى والادبى مع غزارة نوادره المتنوعة المؤثرة فى النفس ولم يعرف هذا الكتاب فى أوروبا الا عند استيلاء الفرنساوية على الديار المصرية

وممن نقل هذا الفن الى مكة النضر بن الحارث ساح فى البلاد فتعلم لغات أجنبية وطالع الكتب الادبية التى عند الفرس واليونان ونقلها الى مكة وأحدث بين

أهلها حب الموسيقى ولغزارة علومه كان عنده أنفة وتكبر فظاهر بالعداوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى انهزم حزبه فى غزوة بدر فأراق دمه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فرثته بنته قتيلة بقولها

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ما ان تزال بها النجائب تعنق
منى اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعنى النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد ياخير ضن كريمة * فى قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعز ما يغلو به ماينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

و بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو بلغنى شعرها قبل أن أقتله ماقتلته

ومن الثانى أمثال الميدانى الذى تعلم فيه أشهر العلماء الباحثين عن الامور المشرقية أكثر فيه من نوادر منها ماهو غريب كقوله فى مثل ان من البيان لسحرا نطق بهذا المثل النبى صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه سنة ٦٣٠ ميلادية السفراء الذين أسلموا وهم عمرو بن أحطم والزبرقان بن بدر وكذا قيس ابن عاصم الذى أرى أولاده حين حضرته الوفاة حزمة سهام ليفهمهم فوائد الاتحاد وقال فى تفسير هذا المثل وهو راجع أمثال الميدانى يعنى أن الشئ العظيم قد يكون ناشئا من شئ حقير وأتى فى مناسبة هذا المثل بتفاصيل استمد منها بعض المؤلفين موضوع مااشتهر من أن أولاد نزار الاربعة مضر واياد و ربيعة وانمار لم يتفقوا على تقسيم أموال أبيهم بينهم فذهبوا الى الافعى الجرهمى قاضى العرب

فوجدوا

فوجدوا فى طريقهم رجلا يطلب جملا فقالوا له هل كان أعور أعرج مقطوع الذنب نفورا فقال نعم وظن أنهم أخذوه فقالوا لم نره وسألهم القاضى الافعى عن مقالتهم الى ذلك الرجل فقال مضر ظننت عور الجمل من أكله الحشائش من جانب دون آخر وقال ربيعة رأيت شدة انطباع أحد خفيه فى الارض بخلاف الاخر فليس بواضح الصورة فعلمت عرجه وقال ايادرأيت روثه غير منتشر فى الارض فعلمت أنه ابتر وقال انمار ظننت نفوره من تركه الكلأ الغزير وذهابه الى أقل منه

﴿المبحث الثامن﴾

﴿فى اشعار العرب والمعلقات السبع وهذا القسم هو الجزء الثانى من الينابيع التاريخية﴾

لهجت العرب بالشعر وجعلوه ديوانا لاخبارهم وشرفهم ومحكا لقرائحهم فى اصابة المعانى واجادة الاساليب فكانوا أول المؤرخين لحوادث بلادهم فانهم كانوا يقفون كل سنة بسوق عكاظ فينشد الشاعر مافعله من معالى الامور وما لقبيلته من الشرف والشهرة امام الفحول لانتقاد مايقول فان استحسنوه كتبوه بمحلول الذهب وعلقوه على الكعبة كما وقع لامرئ القيس بن حجر وزهير ابن أبى سلمى وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد والحارث بن علقمة بن عبدة وباقى أصحاب المعلقات السبع المشتملة على أنواع التشبيه المبتكرة والاستعارات والجناسات التى اقتفاها المنشؤن فى الاعصر التالية ولد امرؤ القيس سنة ٥٠٠ ميلادية وعاش فى حط وترحال مات والده شيخ قبيلة بنى أسد قتيلا فأراد الاخذ بثأره وسأل عرب البادية ان يساعدوه فابوا فسأل ملوك اليمن والامبراطور يوسطينان عاهل القسطنطينية ثم مات بقرب انقرة مسموما وغضب ملك الحيرة عمرو بن هند والملك المنذر الثالث على طرفة بن العبد فدفن حيا وله عشرون سنة تقريبا وكان عنترة بن شداد رقيقا تبعا لامه حتى أعلن عتقه فى معركة وهو من قبيلة نبهان مشتهر بجودة القريحة فى قرض الشعر وكذا بعجائب

الفروسية والغزوات التى ألف فيها بعض المتأخرين الحكاية المشهوره بين أهل المشرق وكان من الوفد الذى بعثه بنو طيئ الى النبى (صلى الله عليه وسلم) سنة ٦٢٩ ميلادية ثم مات كبيرا ومعلقات هؤلاء الثلاث مع معلقة لبيد تتضمن صورا فكرية وأما معلقة الحارث ففى المخاصمة بين آ ل بكر وبنى تغلب والمقاتلات التى انهزم فيها اخصام قبيلته بلا أخذ بالثأر ومعلقة زهير فى صلح عبس وذبيان ومعلقة ابن كلثوم فى مدح التغلبيين عامة وجرهم خاصة ومن كان ذا قدم فى قرض الشعر عمر بن أبى ربيعة كبير قريش الذى كان كثيرا ما يعرض شعره على ابن عباس فيقف لاستماعه معجبا به والشنفرى الازدى وتأبط شرا والنابغة الذبيانى الذى نال الرفد من ملوك الحيرة ثم من أمراء غسان وعاش الى غرة القرن السابع من الميلاد ودريد بن الصمة المتوفى فى واقعة حنين وهو هرم

وقد بدأ بهجو الاسلام شعراء مكة كعبد الله بن زياد وأبى سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وعمرو بن العاص بن أمية فاحر النبى (صلى الله عليه وسلم) حسان ابن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك بالرد عليهم فاشتدت بين الفريقين العداوة التى انقطعت بانتصاره (صلى الله عليه وسلم) على كفار قريش وممن هجا النبى كعب بن زهير فحكم (صلى الله عليه وسلم) باهدار دمه وقتله أينما وجد فأسلم ونظم قصيدة بانت سعاد وقرأها امامه (صلى الله عليه) وسلم حتى بلغ ۞ ان الرسول لسيف يستضاء به ۞ مهند من سيوف الهند مسلول ۞ فقال صلى الله عليه وسلم قل من سيوف الله ثم خلع بردته الشريفة جائزة على المدح وعلامة على الصفح والقبول ولذا عرفت بقصيدة البردة ويقال ان العباسيين اشتروا هذه البردة ثم حفظت فى القسطنطينية

وكان رثاء العرب عظيم الشجو وتشكيتهم قوى الموقع والتأثير وامتداحهم جيد التعبير وأقوالهم فى الرياض والازهار معروفة بالاناقة والصدق لانهم لم يتكلفوا شيأ بل وصفوا المظاهر التى رؤها بأعينهم مع مالهم من البراعة فى الاشعار

الموسيقية

الموسيقية على الاعواد والاوتار وكانوا يسمون كل مجموع أشعار قديمة لشاعر أوقبيله ديوانا ويعتبرون هذه الدواوين فرعا من الدروس التاريخية ودام القريض على البلاغة الاصلية فى بلادهم دون ماعداها فقد فقد فيها بلاغته وعلو رتبته واستعمل فى الكلام والحكمة والجبر والنحو وسائر الفنون

وقد ألف أبو الطيب المتنبى فى القرن التاسع من الميلاد عدة قصائد فى مدح الامير سيف الدولة أبى الحسن على بن حمدان وحرر أبو تمام حبيب بن أوس الطائى ديوان الحماسة ثم استحسن الناس شعر أبى نواس المتوفى سنة ٨١٥ ميلادية وابن دريد المتوفى سنة ٩٣٣ وأبى العلاء المعرى المتوفى سنة ١٠٥٧ وابن الفارض المتوفى سنة ١٢٣٥ ونظم الطنطرانى سنة ١٠٩٢ ميلادية رسالة الغزالى فى الفقه ونظم قصيدة أخرى فى التصوف وألف كثير اظهر عند المشرقين وجمعه على تلميذه فى ديوان

ولم تزل العرب تتقرب الى الخلفاء بالشعر المشتمل على الاخبار واللغة وشرف اللسان فيجازون بأعظم الجوائز على جودة شعرهم ومكانهم من قومهم حتى انحطت السلطة العربية فغلب قبح الذوق على الادبيات وعيبت بقلة حسن ترتيبها وعدم ارتباط بعضها ببعض وعاب الفرنج الشعر الاسلامى بعدم التطويل الا قليلا كالف ليلة وليلة وقصائد أبى تمام التاريخية وقصائد جمال الدين وحكايتى المهدار والرجل الذى بخغت صوته تأليف أبى يعلى بن الحباريه ومحاورات محمد بن محمد الذى أدخل فى ميدان التحاور حسين صناعة يتكلم المتحاورون فيها بلغة أربابها

وكان أدباء الاندلس يمرنون اذهانهم فى القصص والحكايات المتخيلة التى كانوا يجتمعون كل ليلة لاستماعها وضم أهل غرناطة الى ذلك الآلات الموسيقية والغناء وكانوا يمارسون ضروب الشعر خصوصا نظم الحكايات المشتملة على نكت مشوقة حتى اشتهر كثير من الرجال وبعض نساء ونظم أعظم شعرائهم أبو عمر أحمد بن محمد المتوفى سنة ٩٧٠ ميلادية تاريخ الحوادث السنوية

الاندلسية المتعلقة بخلفائها الاموية واستفاد اقليم بروانسه من دواوين هؤلاء قافيـة الشعر التى استعملتها العرب منـذ أحقاب وقد أعرب الكتاب المسمى رومنسرو عن أعياد تلك الازمان ولعب أهل مراغة ومرماح الانوار وحروب النصارى والمسلمين والرقص الذى عرفت به فداوية الاندلس المعروفون بالشوالية وعن الرقة التى اشتهر بها مغاربة الاندلس فى جميع أوروبا

﴿المبحث التاسع﴾

﴿فى مؤرخى العرب لاسيما أبو الفداء وأبو الفرج وبهاء الدين﴾

ليس ما أسلفناه من أشعار العرب ومجموعات الامثال والاغانى مختصا بافادة التاريخ العربى فقد سرد حاجى قلفه ألفا وثلثمائة مصنف فى التاريخ وقال يحيى أفندى فى كتابه المسمى بالنتائج ان منها خمسة عشر مصنفا حسنة الترتيب قليلة الكلام على الحوادث التاريخية القديمـة ينبـغى أن تدرس فى المدارس لكنها خلت عما يلزم فى التاريخ من الربط المعنوى بين الحوادث

وعدّ فى الطبقة الاولى من مؤرخى العرب أبو الفداء وأبو الفرج وبهاء الدين وان كان ابن خلدون والمقريزى وشمس الدين والسيوطى والنويرى وأمثالهم ليسوا أقل من هؤلاء فى الاعتبار كان أبو الفداء شجاعا فى الحرب ذكيا فى المشورة مولعا بمحاسن الفنون الادبية والعلوم ذا شوكة سلطانية بحماه فى ابتداء القرن الرابع عشر من الميلاد ألف فى التاريخ العام مختصرا استمده من تواريخ متوسطة الاعتبار لكن لابأس بمراجعتـه للحصول على ثمرة التاريخ السياسى والادبى الاسلاميين وتاريخ أمبراطرة اليونان أهل القرن الثامن والتاسع والعاشر بعد الميلاد قسم هـذا المختصر خمسـة أجزاء ذكر فى الاول قصص الرسـل والانبياء والقضاة والملوك من بنى اسرائيل وفى الثانى العائلات الاربع التى منها ملوك الفرس وفى الثالث فراعنة مصر وملوك اليونان وامبراطرة الرومان وفى الرابع ملوك العـرب قبـل الاسلام وفى الخامس تاريخ أمم مختلفة كالصابئة والقبط

والفرس

والفرس وغيرهم ثم الحوادث التى من مولد النبى (صلى الله عليه وسلم) الى سنة ١٣٢٨ ميلادية ثم توفى بعد ثلاث سنين

وولد أبو الفرج بمدينة ملطية سنة ١٢٢٦ ميلادية وهو من الطائفة النصرانية المعروفة باليعاقبة تولى أسقفية جوبة حلب فرياسة النصارى اليعقوبية بالمشرق ألف عدة كتب فى الالاهيات والفلسفة وألف بالسريانية تاريخا عاما ثم ترجمه بالعربية اجابة لرجا أحبابه وهو من ابتداء خلق الدنيا مشتمل على نفائس متعلقة بالعرب والمغول وجنكزخان توفى سنة ١٢٨٦ ميلادية

وولد بهاء الدين فى الموصل سنة ١١٤٥ ميلادية واجتهد فى الحديث والفقه ودرس فى بغداد بالمدرسة النظامية ثم فى الموصل بمدرسة القاضى كمال الدين محمد الشهرزورى وألف تاريخ السلطان يوسف صلاح الدين الايوبى الذى تقرب اليه فولاه قضاء الجيش ثم قضاء بيت المقدس وكان له الحكم العظيم فى أيام أولاد صلاح الدين وتولى قضاء حلب فبنى مدرسة لتدريس العلماء وأخرى للشبان ثم ترك القضاء سنة ١٢٣١ ميلادية واشتغل بالتدريس حتى توفى سنة ١٢٣٥ ميلادية

﴿ المبحث العاشر ﴾

﴿ فى ابن خلدون والمقريزى والسيوطى وأمثالهم ﴾

لم يكن لدى مؤرخى العرب الحرية فى الافصاح عن حقائق الوقائع التاريخية خوفا من الملوك والحكام المشرقيين فان كلا منهم كان يحذر من كتابة الاحوال السنوية زمن سلطنته ويحذر من يخالف بالقتل فلذا احترس المؤرخون واقتصروا على ذكر مايرفع شأن الحاكم الا ابن خلدون المولود بتونس سنة ١٣٣٢ ميلادية لم يحذر بطش الظلمة على ماذهر حل وهو شاب وسط انقلابات بلاد المغرب فى القرن الرابع عشر من الميلاد نخدم يسيرا فى دولة ملوك فاس ثم قدم القاهرة ودرس لسائر الناس وتولى قضاء المالكية بالديار المصرية وعزل فطلبه

سلاطين المغرب لعلمهم بجلالة قدره ألف تاريخه السير والعبر فبدأ فى مقدمته بالانتقاد التاريخى ثم بحث عن حال الجمعية التأنسية البشرية فى بداية أمرها وخطط الكرة الارضية بايجاز وبحث عن عظمة تأثير تنوعات الاقاليم فى النوع الانسانى وعن الاسباب الموجبة لعلو شأن الممالك وانحطاطها وعن الشغل من حيث هو وعدد الصنائع العقلية والعملية وعن ترتيب العلوم حسب موضوعاتها وأيد قوله بأمثلة غريبة استمدها من التواريخ السنوية التى عند الامم ترجمها الى التركية محمد بيرا يزاده فى عهد السلطان أحمد الثالث وتكلم فى التاريخ على أحوال البربر وكذا العرب الى آخر القرن الرابع عشر من الميلاد توفى سنة ١٤٠٦ ميلادية وله ست وسبعون سنة

وكانت عائلة تقى الدين أحمد المعروف بالمقريزى من أصول سكان بعلبك وولد هو سنة ١٣٦٤ ميلادية بالقاهرة فتعلم فيها العلوم ولاحت عليه بوارق النجابة والذكاء فتولى نيابة القضاء بالمحكمة الكبرى تحت نظارة القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى وولى الحسبة مرات ووظائف أخرى دينية وكان حنفيا فتشفع وذم اتباع أبى حنيفة فلامه العلماء ألف تاريخ السلاطين المماليك الذى ترجمه الخواجا كترمير الى الفرنساوية وكذا الخطط المبينة عن الوقائع التاريخية الاسلامية بوادى مصر وعن سياسة ملوكه وادارة حكامه وحركة تجارته منذ فتحه الصحابة (رضى الله عنهم) وشرع فى تدوين تاريخ عام مشتمل على أحوال سائر من ملك وادى مصر ومن اشتهر به ومن سكنه من الغرباء أوزاره من السياحين مرتبة أسماءهم على حروف المعجم وكان يبلغ لو كمل ثلاثين مجلدا وهو فى كتبخانة باريس الكبرى بخط منبئ عن كليات وجزئيات الطريق الذى سلكه مؤلفه المتوفى سنة ١٤٤٢ ومن المصريين المؤرخين جمال الدين ابن واصل الموجود سنة ١٢٥٠ ميلادية استمد المقريزى كثيرا من كلامه وأبو المحاسن بن تغرى بردى صاحب التواريخ السنوية المصرية من منذ الفتح الى سنة ١٤٥٣ ميلادية وابن اياس محمد بن أحمد الذى تمم تاريخ أبى المحاسن حتى

أوصله

أوصله الى سنة ١٥٢٢ فخلفه شمس الدين بن سرور فأوصل هذا التاريخ الى سنة ١٦٥٢ ميلادية

وجلال الدين عبد الرحمن السيوطى قرين عبد اللطيف البغدادى فى الشهرة بتدوينه تاريخ مصر الممتد من خلق الدنيا الى سلطنة الملك الاشرف قايتباى ولد باسيوط سنة ١٤٤٥ ميلادية وألف كثيرا ذكر منه الخواجا أو ديفربت فى شرحه على السيوطى نحو ستة وخمسين مصنفا وتوفى سنة ١٥٠٥ ميلادية ولايخفى عظيم الخدم للعارف المشرقية الذى أداه الخواجا دساسى المترجم الى الفرنساوية الخطط المصرية لعبد اللطيف البغدادى المعاصر لصلاح الدين الايوبى المولود ببغداد سنة ١١٦١ ميلادية المتوفى سنة ١٢٣١ ميلادية

المبحث الحادى عشر

فى المسعودى والطبرى وابن الاثير والنويرى وأمثالهم

من مؤرخى العرب فى أعصر عز الاسلام المسعودى الموجود فى القرن العاشر من الميلاد أولع منذ شبيبته بحوز العلوم فتبحر فيها ثم فى الفلسفة ثم الادبيات ثم الجغرافيا والتاريخ وسائر الكتب المختصة بالعرب وطالع تاريخ اليونان والرومان وجميع الامم المشرقية متقدمة أو متأخرة مع كمال معرفته بعقائد اليهود والنصارى والهراطقة والمسلمين والمجوس والوثنيين فعرف بين الخاص والعام بسعة الاطلاع فى سائر العلوم التى لم ينلها أحد من مؤرخى العرب ألف كتابا كبيرا يسمى اخبار الزمان وكتابا أوسط يبلغ مجموعهما أكثر من عشرين مجلدا فى الربع لاعلم لاهل أوروبا بهما وأما كتابه الاصغر المسمى مروج الذهب ومعادن الجواهر فوصل اليهم وهو مائة وستة وعشرون بابا منها خمسة وستون فى التاريخ القديم للعرب والعجم وواحد وستون فى النبى وخلفائه وليس مافى تلك الابواب تاريخا متسلسلا بل اخبار متفرقة ولرغبته فى الاطلاع على المحال التى يريد تدوين تاريخها فقد لايلتفت الى الانتقاد التاريخى وكثيرا ما كتب حكايات فى بيان الاصول الملية لكن مؤلفاته على ماقال الخواجا كترمير لايكاد القارئ يفهم منها شيأ لتنوع موضوعاتها وكثرة حلها لكثير من المسائل الصعبة

بتقييدات متنوعة لم يرجع الى وطنه بالعراق وتوفى بالقاهرة سنة ٩٥٦ ميلادية وكان قبل المسعودى أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى ببغداد سنة ٩٦٦ ميلادية وله ثلاث وثمانون سنة أصله من أهل أمول تخت طبرستان تبحر فى الحديث والفقه وعد من أئمة المسلمين ألف قبل المسعودى بقرن تاريخه الممتد من خلق الدنيا الى سنة ٣٠٢ هجرية الموافقة سنة ٩١٤ ميلادية وزعم بعض الناس ان مؤلفه اختصره من كتاب له أضخم منه وهو جليل القدر مشهور بالصحة عند المشرقيين الذين ترجموه الى التركية والفارسية لخصه وذيله الخواجا جرجس بن أميد القبطى الاصل المعروف بالمكين المولود سنة ١٢٢٣ المتوفى بدمشق سنة ١٢٧٣ ميلادية وترجم جزأ من هذا المخلص الخواجا أربينيوس الى اللاتينية والخواجا واتيرا الى الفرنساوية فاستفيد من هاتين الترجمتين اخبار مهمة وان شحنتا بالاغاليط

وولد ابن الاثير الملقب بعز الدين فى جزيرة ابن عمر من جزيرة النهرين المعروفة بالعراق العربى ثم توطن الموصل فكان منزله بها مجمع أهل المعارف وفيها ألف كتابه المسمى بكمال التواريخ الممتد من نشأة الدنيا الى سنة ١٣٢١ ميلادية وذيله أبو طالب على فأوصله الى سنة ١٢٥٨ ميلادية وترجمه الى الفارسية نجم الدين النزارى فى سلطنة ميرزا ميران شاه بن تيمورلنك ومن مؤلفات ابن الاثير تاريخ الاتابكة أصحاب الشام وتاريخ الصحابة (رضى الله عنهم) ومختصر من رسالة الانساب لابى الكريم السمعانى

وكان العلامة النويرى شافعيا من مؤلفاته تاريخ فى عشر مجلدات تشتمل على نفائس فى أخبار قدماء العرب اشتهر بحسن الخط كشهرة ابن البواب ببغداد فى غاية القرن العاشر من الميلاد نسخ صحيح البخارى ثمانى مرات وباع كل نسخة بألف درهم وتوفى سنة ١٣٣١ ميلادية وله خمسون سنة تقريبا نخلفه ابن الفرات المولود سنة ١٣٣٥ ألف تاريخا خمسة وعشرين مجلدا مبدؤه الهجرة المحمدية الموافقة سنة ٦٢٢ ميلادية توفى سنة ١٤٠٥ ميلادية نخلفه أحمد بن

عرب شاه الذى كان يدوّن سنة ١٤٣٠ ميلادية أخبار تيمورلنك واشتهر فى القرن الثالث عشر كل من ابن واصل محمد بن سالم المظنون فيه أنه مؤلف التاريخ القديم المنسوب إلى الطبرى زورا وابن الجوزى المنسوب اليه كتاب مرآة الزمان اشتهر سنة ١١١٧ الى سنة ١٢٠١ ميلادية بالفقيه المفتى والمؤرخ والخطيب الفصيح وهو غير رجل آخر معروف بابن الجوزى وولد العتبى فيما وراء نهر جيحون وألف سنة ١٠٥٠ ميلادية تاريخا فى أخبار الأعصر القديمة وسيرة محمود الغزنوى وقد جمع ابن قتيبة البغدادى قبل هؤلاء المؤرخين بكثير موادمهمة تتعلق بانساب العرب وتاريخافى أخبار الشعراء وسيرهم

﴿المبحث الثانى عشر﴾

﴿فى أعظم مؤرخى اسبانيا﴾

كان باسبانيا مؤرخون كثيرون ذووفضل منهم ابن الكوتياح المتكلم فى فتح العرب بجيث جزيرة اسبانيا المتوفى بقرطبة سنة ٩٧٨ ميلادية والشاعر أحمد بن محمد المدوّن أخبار اسبانيا وأحوال خلفائها الاموية وابن الفرضى المتوفى سنة ١٠١٢ ميلادية حين أخذ البربر قرطبة ألف تاريخا فى سير الشعراء والعلماء وابن الخطيب المولود بغرناطة سنة ١٣١٣ ميلادية المتوفى سنة ١٣٧٤ جمع من كلام سلفه أنفس مايتعلق بخلفاء المغرب واسبانيا وملوكهما وأحمد بن محمد المقرى المولود بتلمسان المنسوب الى قبيلة قديمة فى ضواحى هذه المدينة ذهب الى فاس سنة ١٦٠٠ فتخرج على من فيها من العلماء وعزم على الحج سنة ١٦١٨ وتوطن القاهرة ثم كمل بعد عشر سنين وهو بدمشق تاريخ عائلات السلاطين الاسلامية التى فى اسبانيا وأملى شرحا على مقدمة ابن خلدون واستعد لتدوين السيرة النبوية واستمد من تاريخ ابن الخطيب فى تاريخه الذى ترجمه وطبعه الخواجا دوجينجوس فى القرن الثالث عشر من

الهجرة والقيسى المدون سنة ١١٢٥ ميلادية فى سير شعراء وعلماء القرن الحادى عشر وابن حيان المؤلف فى مسلمى اسبانيا تاريخا اختصره الازدى الحيدى سنة ١٠٩٥ ميلادية وابن صبيح المؤلف فى القرن الثالث عشر من الميلاد تاريخ اسبانيا زمن المراونية والموحدين وابن حبيب السلمى الذى شهر تاريخا قديما فى الخلفاء السبعة الاولى من بنى أمية وابن الحارث الخشنى ملخص تاريخ قضاة قرطبة الى آخر القرن العاشر وشهاب الدين أحمد الفارسى المدون فى جميع الممالك تاريخا اختصره الحاج عامر الشاذلى

﴿ المبحث الثالث عشر ﴾

﴿ فى مؤرخى الفرس ﴾

هم كثيرون من أشهرهم ميرخند المسمى همام الدين خاوند محمد المولود سنة ١١٣٣ المتوفى سنة ١٤٩٨ ميلادية دون تاريخا عاما ينتهى الى سلطنة شاه رخ بمساعدة على شير وزير السلطان التيمور لنكى أبى الغازى حسين بهادر وخندمير الذى اختصر تاريخ أبيه ميرخند وألف تحرير خلاصة الاخبار وانتهى فيه الى سنة ١٤٩٩ ميلادية وكتاب حبيب السير المشتمل على حوادث سنة ١٥٢٥ ميلادية أبدى فيه برهانا على استعمال الورق المصكوك بدل نقود الذهب والفضة من ابتداء غاية القرن الثالث عشر من الميلاد ولو تكلمنا على تاريخ سير الشعراء لدولة شاه والتاريخ القديم لفرشتاه وسيرة تيمورلنك لشريف الدين على وتاريخ المغول الذى ألفه رشيد الدين وترجمه الخواجا كترمير الى الفرنساوية لكان ذيلا ضروريا لسير مؤرخى العرب لكنه يؤدى الى الخروج عما التزمناه من الاختصار

﴿ المبحث الرابع عشر ﴾

﴿ فى قواميس سير مشاهير العرب ﴾

منها كنبخانة الحكماء للزوزنى وعيون الانباء تاريخ الاطباء لابن عصيبة المتوفى

سنة

سنة ١٢٦٩ ميلادية و وفيات الاعيان المشتمل على ثمانمائة وست وأربعين ترجمة لابن خلكان شمس الدين أبي العباس أحمد المولود فى اربل سنة ١٢١١ ميلادية وهو برمكى ولى قضاء القاهرة ثم قضاء دمشق المتوفى بها سنة ١٢٨١ ميلادية والكتبخانة المشرقية لمصطفى بن عبد الله المشهور بحاجى قلفه الملقب بخطيب چلبى رئيس كتبة أسرار السلطان مراد الرابع ووزير المالية فى سلطنته وهذه الكتبخانة المشرقية مجموع يشتمل على ثمانية عشر ألفا وخمسمائة وخمسين اسما من أسماء الكتب المشرقية مع أسماء مؤلفيها ونبذة فى سيرهم ورسالة فى الجغرافيا سماها جهان نامه مرآة الدنيا والتاريخ الكبير الممتد من خلق الدنيا الى سنة ١٦٥٤ ميلادية توفى بالقسطنطينية مسقط رأسه سنة ١٦٥٨ ميلادية

وقد حفظ العرب مؤلفات اليونان واستعدوا لتجديد المعارف فى أوروبا فكانوا رابطة بين هذين الزمنين وبذا يثبت فضل العرب على الفرنج الذين حاول بعضهم خفض فضائل العرب الواضحة كالشمس فى رابعة النهار ويعلم أن لاموقع لافتخار المتأخرين من أهل أوروبا بتصورات أكثرها للعرب وسبق لك ما كان لعلماء المدرسة البغدادية من الحكم النافذ بالمشرق والمغرب

﴿المبحث الخامس عشر﴾

﴿فى اشتغال العرب بتقدم الفنون والصنائع﴾

زعم بعض الفرنج أن لا اجتهاد للعرب فى تقدم الصنائع مع أنهم على ماقال الخواجا هيرودوط برعوا فى جميع الفنون الصناعية واشتهروا عند سائر الامم بانهم دباغون سباكون جلاؤن للأسلحة نساجون أصناف الاقمشة ماهرون فى الاشغال التى تصنع بنحو المنقار والمقص ويؤيد فوقانهم فى هذه الفنون تلك السيوف الباترة والدروع الخفيفة المانعة لمروق أى شئ منها والبسط ذات الوبرة والمنسوجات الرفيعة المتخذة من الصوف والحرير والكتان التى كشامير هذه الازمان الاخيرة كالنموذج الدال عليها

وقد زالت ساذجية الخلفاء الاول بحب التجمل والفخامة لدى الاموية وكذا العباسية التارك لهم المنصور ثمانية ملايين فرنك أو دينار ظهرت بها جلالة المهدى والرشيد والمأمون وانظر الى ما كان فى زواج المعتضد ببوران من البهجة العجيبة واللآلى المنثرة وما كان زمن المقتدر من تفخيم التعظيمات الديوانية وأما عرب اسبانيا فقد أفرطوا فى التنعم والفخامة وكان لنساء غرناطة من الحزم والاوشحة والطواقى المنسوجة بالذهب والفضة وبلوغ الغاية فى حسن ملابسهن مايدل على ثروة الآحاد وكان خلفاء قرطبة اذ ذاك يصرفون خزائن أموال وافرة فى تشييد ابنية عظيمة كمسجد قرطبة الذى بنى على شكل مسجد دمشق وفاقه فى الفخامة

وقد بذل همته الخواجا جيرولت دوبرنجه فى البحث عن بناء العرب والمضاهاة بين مابقى من الابنية الاسبانية والمشرقية وقسم زمان ابنية اسبانيا ثلاثة أعصر أولها القرن الثامن الى العاشر وهو عصر تقليد العرب النصارى والرومان فى ابنيتهم الا أن مسجد قرطبة بنى على شكل مسجد دمشق كما أن مساجد الشام وفلسطين ومصر مبنية على شكل الكنائس التى قال المؤرخ أوزيبوس أحد أهالى قيصرة فى سيرة السلطان قسطنطين انها ذوات أحواش واواوين وفساق ومساكن للقسس بدليل أن فى تلك المساجد ماكان يضعه البناؤن من الحافق المزوق باشكال من حصى متنوع الالوان وكانت طريقة التزويق اليونانى زائدة عن غيرها من التزويقات القديمة ثم رغبت العرب فى التزويقات الباهرة وتكثير التفاصيل وتجميل شكل الاقواس بصور باقات الزهور والمحنيات المتنوعة فصار التزويق اليونانى من سنة ٩٦٥ ميلادية غير كاف فى تأدية مطالبهم على مايظهر

والعصر الثانى من القرن العاشر الى الثانى عشر وفيه اجتهد الملوك المراونية والموحدون فى تقدم البنيان المغربى الدال على تنحى العرب عن طريقة البناء المتبعة قبل فقد جرت عادتهم باستعمال الاقواس السقينية والاشكال المتخذة

من قطع القيشانى وأغرب المخترعات من مخيشات الذهب والفضة وأشكال الزينة المصنوعة من الاخلاط المركبة لتقليد الرخام وأكثروا من النقوش فباينوا أسلوب البنيان القديم خصوصا بمدينة اشبيلية فى عمارة تسمى جيرلده وأخرى تسمى القصر والمسجد القديم الذى بنيت فى مكانه الكنيسة الكبرى الموجودة الآن

والعصر الثالث بلغ فيه فن البناء أوج التقدم كما يشهد بذلك عمارة القصر المسمى الحمراء المصنوع ظاهره على أسلوب أهل المغرب وبابه قوس كبير مزين بعلامات رمزية وعنوان اسم بانيه وحيطانه مبنية بخافقى مخلوط باحجار دقاق تلونها أشعة الشمس بالوان مختلفة و بداخل تلك العمارة قيعان واسعة مذهبة ومزينة بقواصر على صور باقات الزهور وصور مراشح المياه من قباب الكهوف ومجلة بصور الجدولات المسماة بالشبكية من أخلاط مركبة تقليدا للرخام وبها ديوان لجلوس سفراء الملوك وآخر لجلوس الاختين ومكتبة بنات الخلفاء وبرج قومارس وحوش السباع وفسقيته وحوش البركة الذى تممه حمامات على نسق حمامات الاحقاب الخالية وفيها ماء ينبع من أعمدة منعزلة عن بعضها أو مجتمعة ينتشر منها الماء بعيدا فى جداول رخام صغيرة وينصب تارة على هيئة شلالات وطورا على هيئة فوارات فى حياض مصنوعة فى الباطيوس محاطة بالادواح والزهور و بسائر ذلك القصر خطوط ونقوش تدل على مهارة صانعها وقد هدم ملوك النصارى جانبا من هذا القصر الأن النقوش والتصاوير بجهاته باقية الى الآن على ما كانت أيام بنى سراج من الاتقان الصناعى والحماية من التلف وأما التزويقات الداخلية بالدواوين الاصلية من تلك الدار القديمة التى كانت محل اقامة الملوك المغربيين فتخذة من الجبس ورسوم مجسمة باشكال هندسية تعادل محسنات القصر و يشاهد ببعض الدواوين المحيطة بحوش السباع ماصنعه العرب فى الحقبة الخالية من اللون المركب من الاحمر والازرق والاصفر والاخضر الباقى على لمعانه الى الآن وحلل بعض الفرنج هذا اللون فرأى أن

مواده الزرقاء والحمراء الغالبة عليها مصنوعة من اللازورد والزنجفر ويتعذر علينا الآن مضاهاة ابنية بالرمة وزيزة وكوبة وتونس والقيروان والجزائر لقلة مابها من العمارات المبنية فى أعصر تقدم فن البناء وأما القاهرة فيعلم من مساجدها ان أهلها كانوا أعلم من أهل المغرب فى الاعمال الميكانيكية وأذكى منهم فى انتخاب مهمات البنيان لكن ليس بتلك المساجد من التزويق مايقرب من الرسوم التى بقصر ملوك اسبانيا المسمى بالحمراء وأما ابنية العرب بالشام والعراق العربى والفرس والهندستان زمن تحكمهم عليها فلم يعرف الفرنج حقائقها الى الآن ولعل اناسا علماء بفن العمارة يشتغلون بذلك تحقيقا لما خلا عنه الى الآن تاريخ العرب

ولما فى ممالك الخلفاء من السعة وغزارة المحصول وتنوع الاقطار توجه النظر الى رواج التجارة تمما للتمدن وامتثالا لامر الشارع بالتكسب فاجتهدوا فى امن الطرق وحفروا آبارا وصهاريج فى محطات القوافل فانتشرت التجارة وكان غلات اسبانيا وبربر ومصر والحبشة وبلاد العرب والفرس والروسيا والهند والصين والممالك التى على بحر جرجان تأتى الى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق وبغداد والموصل والمدائن وكان بين اسبانيا وآسيا من جهة الشرق علائق تعارف وتجارة واجتازت سفينة عربية بوغاز جبل طارق فخرجت عليها رياح عاصفة طرحتها على ساحل المحيط الغربى فمنعها من استكشاف جزيرة أسورة وامريكا ولما انحصر المسلمون فى القارة القديمة نشروا الصنائع البشرية بجميع البقاع وكانت مملكة اسبانيا تحصل على غلات البلاد الآخر بواسطة ماينتج لها من معاملها وأرضها من قصب السكر والارز والقطن والزعفران والزنجبيل والمر والعنبر الازرق والفستق والموز والتوت والحناء والمحلب مع ماتستخرجه من معادن الكبريت والزئبق والنحاس والحديد رغب الناس فى شراء خود ومغافر اسبانيا وابسطة ورطبة المتخذة من الجلود ونصال اسلحة طليطلة وجوخ مرسية

والحرير

والحرير المنسوج فى غرناطة والمرية واشبيليه والورق المصنوع من القطن فى بلدة الصليبة وكانت ضواحى اشبيليه المستورة باشجار الزيتون تشتمل على مائة ألف مزرعة كبيرة أو معصرة زيت وكان اقليم ولنطية يؤدى الى أوروبا فواكه ممالكها الجنوبية وكان أهل اسبانيا يوجهون الى البلاد الاجنبية متاجر من مينيات ملاغة وقرطاجنة وبرسلونة وقادس وكانت النصارى تستعير من العرب قوانين الحقوق البحرية

وكان سكان طليطلة مائتى ألف نفس واشبيليه ثلثمائة ألف فى عصر ملوكهما المغربيين وأما الآن فلا يزيد أهل الاولى عن خمسة وعشرين ألفا وأهل الثانية عن ستة وتسعين ألفا وكان محيط قرطبة ثمانية فراسخ وفيها ستون ألف قصر ومائتان وثلاثة وثمانون ألف بيت ولا يبلغ سكانها الآن ستة وخمسين ألفا وكانت (أبرشية سلامنقه Le Diocése de Salamanque) تشتمل اذ ذاك على مائة وخمسة وعشرين مدينة أوقرية والآن على ثلاث عشرة وكان فى اشبيليه ستة آلاف نول لنسج الحرير وحده ولم يوجد سنة ١٧٤٢ ميلادية فى جميع بحيث جزيرة اسبانيا الا عشرة آلاف نول لنسج الحرير والصوف وكان فى مملكة يعان وحدها أكثر من ستمائة مدينة وكفر تتجر فى الحرير على ما أخبر به الادريسى الجغرافى الذى ساح وسط القرن الحادى عشر من الميلاد فى اسبانيا التى كان طرد المغاربة عنها موجبا لتأخرها كتأخر مدينة نَنتة بطرد مخالفى ديانة الكاثوليك فان ذلك أضر بالصنائع الفرنساوية وتمكن به الكردنيال (كيمينيس Ximenés) من اعدام جميع آثار المسلمين وأمر باحراق ثمانين ألف كتاب عربى بخط اليد فى الميادين والرحبات العامة بمدينة غرناطة

وكذلك اتسعت بالسواحل الشمالية من افريقية دائرة التجارة فقد كان بها معامل كثيرة وأخذت بلاد موريتانيه الطنجيطانيه تسابق بحيث جزيرة اسبانيا فى الصنائع وفن الزراعة وكانت بلاد سوس تماثل الاندلس فى خصب الارض وذكاء السكان واقتدى المشرقيون بالمغاربة فى الاشتغال بالصنائع وأخذوا

يستبدلون فى مدينتى سيراف وعدن بضائعهم بالبضائع الآتية من بلاد الفرس وكذا من النوبة والحبشة كالعبيد وجلود الانمار والحرير والقطن والعاج والتبر والآتية من الهند والصين كالأقمشة ومخيشات الذهب والفضة والأوانى الصينيه والاسلحة والوهابيات والصندل والابنوس والبهارات العطرية واللؤلؤ والجواهر والرصاص والقصدير وكانت تلك التجارات تنقل من عدن الى جدة ثم الى السويس فتفرق على مينيات وادى مصر والمدن التى على البحر الابيض المتوسط من بر الشام وأما أهل البلاد المجاورة لبحر جرجان فكانوا يحصلون على لوازمهم من سوق مدينة قبول الدورى وكانت قوافل التجارة المسافرة من سمرقند الى حلب توزع على ماقربه من البلاد مصنوعات الديباج الصينية والكشامير والمسك والعقاقير الطبية الآتية من بلاد توخارستان

﴿ المبحث السادس عشر ﴾

﴿ فى العلائق التجارية بين العرب وأهل المغرب ﴾
﴿ وسكان الممالك الغربية من آسيا ﴾

ترك مسلمو المشرق لمسلمى المغرب التجارة فى البحر الابيض المتوسط فوجهوا تجارتهم الى بوغاز باب المندب ثم الى بلاد زنجبار ثم بلاد الكفرة وبلغت سفنهم مينا كلكته وجزيرة سوماطرة والجزائر الكبيرة فى الاقيانوس الهندى وانشؤا سبع مدائن براوة وممبازة وكاوة وموزنبيق وصوفالة وصيلندة وما جاد كسو وتوطنوا جزيرة مدغشقر والجزائر المجاورة للسواحل الافريقية وذهبوا الى داخل الهند والصين وكثر عددهم سريعا بشرائهم العبيد والتقاطهم أبناء الزناء وادخال سائرهم فى دين الاسلام فكان فى ابتداء سنة ٨٥٠ ميلادية باقليم قور ومندل فى الهند ثمانمائة الف بعضهم من المغاربة وبعضهم من العرب وذهب ملك من ملوك جزائر ملابار الى مكة فأقام بها حتى مات وسار من سمرقند جمع من الصحابة جالوا من ابتدا سنة ٦٥١ ميلادية فى شمال مملكة الصين فقطعوها بعد شهرين ثم توطنوها وأذن لهم سلطان الصين فى انتخابهم بمدينة

قنتون

قنتون قاضيا وأسلم أكثر سكان جزائر ماليزيا حتى كان المتوطنون فيما بين ابتداء الخليج الفارسى الى نهاية حدود آسيا الشرقية يفهمون اللغة العربية و يتكلمون بها وظهرت شوكة العرب فى الصين من سنة ٧٥٨ ميلادية فنهبوا مخازن قنتون بلا ممانع

وقد أنشأ العرب فى سواحل افريقية الشرقية غارات دخلوا بها الى الاقطار الوسطى وطافوا ببلاد السومولية المعروفين بلطف الطبع والكرم والمنتشين مع أهل سوقطرة مخزن تجارة عام وطافوا أيضا ببلاد الحبشة وسنار وكردفان ذوات العلائق التجارية بمصر والمفتاح الى بلاد درفور و بلاد الوادى وكانوا يسافرون من طرابلس الى فزان وقوافلهم التجارية تسير من المغرب الى الاقيانوس الاطلنطيق فتقطع مائتى الف فرسخ فرنساوى مربع غير خاشية من سيرها وسط الصحراء الكبرى أو من انتشارها داخل بلاد الزنج وكان هؤلاء العرب أثبتوا مرورهم من وسط الامم الافريقية بعلامات لايستطاع محوها وقد أجمع السياحون على الاعتراف بالاصلاحات الناتجة من مرور العرب بين تلك الامم فيما يخص ظاهرها و باطنها وعقولها

﴿المبحث السابع عشر﴾

﴿فى اختراعات العرب واستكشافاتهم وفى بيت الابرة وصناعة الورق والبارود والاسلحة النارية﴾

أسلفنا لك وصف الاسباب والمسببات المتعلقة بالتمدن المنتشر فى الدنيا بانتشار العرب من ابتداء بوغاز جبل طارق الى نهاية حدود آسيا و بقى علينا التكلم على ماتغيرت بها الحالة الادبية والسياسية والعسكرية فى جميع الدنيا من اختراع العرب الورق و بيت الابرة و بارود المدافع ولا عبرة ببعض الفرنج الذى سلب عن العرب شرف اختراعها وتعلمها لاهل أوروبا زاعما ان أهل الصين عرفوا تلك الاشياء منذ زمان قديم عملا بما أطلع عليه من نسبتها الى غيرهم فى بعض متون موهومة العزو الى من نسبت اليه كما زعم ان المطبعة

موجودة لدى أهل الصين منذ القرن الثامن من الميلاد ثم استفاد العرب عمل الورق من الحرير من أهل الصين الذين لو كانوا يعرفون صناعة الطبع قبل غيرهم لاستفادها العرب منهم وكيف يظن انهم استعملوا بيت الابرة مع انهم لم يزالوا الى سنة ١٨٥٠ ميلادية يعتقدون أن القطب الجنوبي من الكرة الارضية سعير تتلظى وهل عرفوا استعمال البارود تلك الاستعمالات المتنوعة الباقي أثرها لدى العرب المشهود لهم باستعمالهم أصنافا من القلل فى حصارهم مكة سنة ٦٩٠ ميلادية و باستعمالهم بمصر فى القرن الثالث عشر البارود المتخذ من ملح السبخات ليرمى به نحو قلل ذات صوت كالرعد وذكر استعماله أيضا فى معرض وصف الحربية التى عقدها ملك تونس مع أمير اشبيلية فى القرن الحادى عشر كما استعمل فى حصار جبل طارق سنة ١٣٠٨ ميلادية وحصار اسماعيل ملك غرناطة لمدينة باتطة سنة ١٣٢٤ وحصار طريفه سنة ١٣٤٠ وحصار مدينة الجزيرة سنة ١٣٤٢ ميلادية وحكى المؤرخ (فراراس Ferréras) ان الرصاص رمى بالبارود فى تلك الحصارات فابتدأ نصارى اسبانيا من ذلك الوقت باستعماله

وقد استعمل العرب بيت الابرة من ابتداء القرن الحادى عشر فى سفر البحر والبر وضبط محاريب الصلاة وصنع الورق من الحرير سنة ٦٥٠ ميلادية فى سمرقند وبخارى ثم استبدل يوسف بن عمرو سنة ٧٠٦ ميلادية الحرير بالقطن الذى منه الورق الدمشقى المتكلم عليه مؤرخو اليونان وانشئ فى اسبانيا معامل ورق من الاقمشة البالية وسابق أهل ولنطية وقطالونية فى هذه الصناعة أهل كزاطيوة واستعمل ورق العرب فى القرن الثالث عشر بقسطيلة التى شاع منها استعماله فى فرانسا وايطاليا وانكلترا والمانيا لكن ورق الكتب العربية المكتوبة بخط اليد يفوق ورق الفرنج لطافة ولمعانا كما فاقه بما كان العرب تختاره من تزويقها بابهج الالوان والاحبار والازهار

وما أسلفناه هو كيفية ظهور تحكم العرب على جميع فروع تمدن أوروبا الحديث

الحديث ومنه يعلم أنه من القرن التاسع الى الخامس عشر كان عند العرب أوسع ماسمح به الدهر من الادبيات وان نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفيسة تشهد انهم أساتذة أهل أوروبا فى جميع الاشياء كالمواد المختصة بتاريخ القرون المتوسطة واخبار السياحات والاسفار وقواميس سير الرجال المشهورين والصنائع العديمة المثال والابنية الدالة على عظمة أفكارهم واستكشافاتهم المهمة ولهذا كله وجب الاعتراف برفعة شأن هذه الامة المحمدية التى تحتقرها الفرنج منذ ازمان عديدة

المقالة السابعة

فى أحوال العرب فى هذا الزمان

مقدمة

قدمنا لك تاريخ العرب أيام عزهم وتحكمهم على أهل المشرق والمغرب وآن لنا التكلم عليهم زمن انحطاطهم فان مصنوعاتهم الغزيرة مستمرة وان عدموا الظهور الدنيوى الذى أزالهم عنه الاقوام الشماليه المتبربرة التى انقادت بعد ذلك الى العرب وأدت اليها الجزية وقد أذن ضياع اسبانيا منهم بفتوحاتهم فى تركية أوروبا

فى عود العرب الى معيشة البادية وتغلب الدولة العلية على من بقى منهم بافريقية

تأخر العرب الآن عن التداخل فى انقلابات الممالك المشرقية وسكنوا البادية والمدن المتباعدة عن بعضها فى بحيث جزيرتهم ولزم عرب الشام ونجد عوائد الاجلاف كانهم نسوا مآثر آبائهم وأما سكان الحجاز فمشمولون من ولاة مصر والشام بالحماية والرعاية منذ أخذ بغداد هولاكو خان المغول وطرد عرب اليمن سنة ١٢٥٨ ميلادية الامراء الايوبية من البلاد التى ضمها صلاح الدين الايوبى الى ممالكه وتولوا الامارات فارتقت بلادهم الى حالة الثروة والامن فقد

كانت عدن أغنى مراكز التجارة المشرقية بسبب تحصينها وأخذ أهل حضرموت وعمان والبحرين يتمتعون بثمرات المعاملات التجارية مع أهل الهندستان ويغوصون على المرجان بقرب سواحل الخليج الفارسى و وفد السياحون وتجار العرب الى شرقى افريقية وجزائر بحر الهند وسواحل مالابار والممالك الممتدة الى ملقا بل والى بلاد الصين ولم يزالوا الى الآن ينشرون فيها عقائدهم وعوائدهم وتصوراتهم

ولما زالت الخلافة العباسية ببغداد ظهر باسبانيا مدينة غرناطة فى أبهج المظاهر الى سنة ١٤٩٢ ميلادية ثم رحلت العرب سنة ١٦٠٩ من اسبانيا الى الممالك البربرية بالمغرب فلم تأذن لهم البرابرة فى التوطن حتى أخذوا مامعهم ثم عاملوهم معاملة الاعداء بعد ان كانوا زمن طارق وموسى وأصحابهما تحت لواء واحد ولم يزالوا كذلك تحت قهر الاتراك المتحكمين منذ غزوات بربروس على طرابلس وتونس والجزائر وتلمسان المتوطن فى سائرها من لامودة بينهم من خسرة سائر الاقطار ويهود ونصارى وكوله متولدين بين أتراك وعربيات أو بربريات وما زال العرب متوطنين بتلك الجهات التى هم ربع أو ثلث أهلها حتى سكن قليل منهم فى مراكش تحت حكم الاشراف واختار أكثرهم العيشة البدوية والاستقلال بحكم أنفسهم فسكنوا الصحارى

﴿الباب الاول﴾

﴿من المقالة السابعة فى الكلام على عرب المشرق﴾

﴿وفيه ثمانية مباحث﴾

﴿المبحث الاول﴾

﴿فى اعادة الجراكسه الخلافة للعباسية وما كان لهم من الغلبة والسلطة﴾

أغار المغول على الشام فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر فقاومهم من ملوك الجراكسه الظاهر بيبرس بجيوش انضم اليها من العرب قبائل كثيرة ثم

سعى فى جذب أفئدة الناس اليه فأخذ يرسل الى مكة والمدينة هدايا وأمر بكثير من الابنية الشاهدة لديهم بأنه تقى واستدعى من بنى العباس رجلا نجا من واقعة بغداد فعقد له محفلا قلده فيه الخلافة فجذب ذلك عقول الناس ودعا سكان بحيث جزيرة العرب الى الاخذ بناصر ذلك السلطان المطلق التصرف فى مصر والشام وانما اتخذ تلك الخلافة ذريعة لاثبات مطالبه ومن بعده كالتصديق على ماأخذته المماليك عدوانا بانه مملوك شرعا

وقد سلكت السلاطين بعد بيبرس الطريق التى رسمها لهم موفرين قبائل العرب القادرة على أعداد سبعين ألف رجل تحت السلاح للاستنجاد بهم ثم عصت عرب صحراء السويس سنة ١٣٠١ ميلادية وقطعوا مابين مصر والشام من الوصلة فاستعد اليهم حاكم تلك السنة وأراق دماءهم بالذبح المهول

ودعا واحد من اعظم مشايخ اليمن قوة وجموعا سلطان مصر الجركسى سنة ١٣٢٥ ميلادية لاخذ اليمن من العرب فصدهم عرب حمير فرجع سلطان مصر بعد ان نهب زبيد وعانة وحديثه ثم همت المماليك بغزو اليمن سنة ١٣٥٠ ميلادية فلم ينالوا ظفرا

واستغاث بهم شيخ العرب الذى نال كل التعب من مقاتلات قبل حكم الجراكسة وبعده من سنة ١٣٧٥ الى سنة ١٣٨٤ ميلادية وحل بالعرب فى الشام نكبات أكبر من هذه حين أغار تيمورلنك على العراق العربى وجزيرة النهرين سنة ١٤٠٠ ميلادية وأخذ بغداد وحماه وحمص وبعلبك ودمشق وقطع مالا يحصى من رؤس العرب التى بنى منها اهراما تركه فى طريقه ليكون علامة نصرته على سلطان مصر الذى أساء سفراءه وكانت المماليك على وجل من الملوك العثمانية حتى أغار تيمورلنك على أناضول وكسر شوكة العثمانية فسروا بذلك ثم تمكنت شوكتهم بقتل آلاف من الرجال فى واقعة انجورة وبأسر السلطان بايزيد ثم بموت تيمورلنك الذى أتى بعد موته سفراء الى مصر من قبل ابنه شاه رخ لطلب الدعاء فى الخطبة لشاه رخ فى القاهرة ومكة والمدينة فطردهم السلطان الجركسى أقبح طرد من القاهرة سنة ١٤٢٥ ميلادية

﴿المبحث الثانى﴾

﴿فى تقدم فتوحات الدولة العلية واستيلاء البرتغاليين على التجارة﴾ ﴿المشرقية وبيان حالة الجنوب من بحيث جزيرة العرب﴾

نال مماليك مصر غاية العزة والشوكة حتى تولى السلطان محمد الاول بن السلطان بايزيد فى ابتداء القرن الخامس عشر وأراد الانتقام من المماليك على ما أصاب والده من النكبة العظيمة فأخذ يرسل هدايا الى مكة والمدينة حتى ملأ صينه بحيث جزيرة العرب الذين رأوا مصلحتهم فى تقدم ملوك الدولة العليـة وفتحهم بلاد النصارى ولذا حمدوا الله على أخـذ الدولة مدينـة القسطنطينية سـنة ١٤٥٣ ميلادية وتعود الناس تداخل الملوك العثمانية فى القضايا الداخليـة بالبلاد العربية بسبب سفر الامير زيزم سنة ١٤٨١ ميلادية والمؤن التى بعثها السلطان بايزيد لاصلاح القلاع والصهاريج فى طرق القوافل المارة ببلاد العرب والعلائق التى بينه وبين عائلة قتادة التى ينتسب اليها أشراف مكة

وكانت مصر منذ أخذ المغول بغداد مركزا للمتاجر الهندية والعربية التى انتشرت عقب ذلك فى جميع أوروبا بواسطة البحر الابيض المتوسط فكان الملاحون فى الاقيانوس الهندى والخليج الفارسى والبحر الاحمر يأتون بقماش القطن والحرير والفلفل والقرفه والصدف والعاج والصمغ والالماس واللؤلؤ الاتية من الهندستان والبخور والمر والبلسان الآتية من بلاد العرب ويأخـذون بدل ذلك أقمشة الصوف والزجاج والخرز والحديد والاسرب والنحاس الآتية من البلاد الغربية كاوروبا ويضعون جميع ذلك فى السويس فينقل منها الى دمشق والاسكندرية فان فيهما مراكز تجارية للبيزيين والفلودسيين والقطالونيين والجنويزيين والبنادقة ثم طاف وسقود وجاما البرتغالى فى سفنه برأس عشم الخير وظهر فى بحر الهنـد لاستكشاف الطريق الموصلة أهل أوروبا من المحيط الاطلنطيقى الى بلاد الهند الشرقية وهـدد المماليك والبنادقة بتعطيل مصالحهم التجارية فاتحـدا وأرادا

جميع

جميع ملوك الهندستان وأثارا بدسائسهما أهل كاككنة الناصرة للسلمين على البرتغاليين الذين أطلقوا المدافع على هذه المدينة وأحرقوا جميع السفن العربية التى فى ميناها فبعث البنادقة لسلطان مصر من الخشب والمهمات الضرورية ماأنشئ منه ثنتا عشرة سفينة حربية سافرت من السويس سنة ١٥٠٨ فساعدت القوى الحربية لملك قومبايه ونصرت على البرتغاليين حتى أتى القبطان البوقرق فحث البرتغاليين على القتال وأعدم تلك السفن الاسلامية وجعل فى جزيرة سوقطرة محطة حصينة للتحكم على بوغاز باب المندب وملاحظة الملاحين فى البحر الاحمر واخماد قوة الجراكسة فى البحار وكان ذلك من سنة ١٥١٠ الى سنة ١٥١٥ ميلادية

وأخذ هذا البوقرق قلاعا فى سواحل اليمن وحضرموت فمنع التجارة البحرية بين هذين الاقليمين اكتفاء بالمخالطات البرية ثم أخذ من اقليم عمان مدينة مسكات مركز المتاجر الواردة من بلاد الفرس والعرب والهند وفتح جزيرة هرمز وبنى على الساحل الشرقى للخليج الفارسى عدة قلاع تحفظ احداها مينا لندج وأخرى بندر ربشهر وأخرى جزيرة قمس ثم ادعى الانفراد بالحكم على هذا الخليج الساكن فيه من العرب قبائل مستقلة عن مملكة الفرس وبذل البرتغالبون همتهم فى الاستيلاء على عدن مفتاح البحر الاحمر فلم يجد ذلك شيأ ومكن خلفاء البوقرق البرتغاليين من الصيد والغوص فى جزائر البحرين ببناء حصون صغيرة بقيت آثارها الى الآن فى أكبر الجزائر وقرب القطيف بساحل اقليم الحسا ولما رأت العرب عدم تمكنهم من ركوب البحر الملح تحصنوا بالسواحل مع تماسك قبائلهم تحت ادارة مشايخ اختاروهم لتدبير أحوالهم

﴿ المبحث الثالث ﴾

﴿ فى اعدام العثمانية سلطنة الجراكسة وفى عجز العرب بشمال ﴾
﴿ بحيث جزيرة العرب عن حفظ ما كان لهم من الاستقلال ﴾

كان بمصر والشام زمن الجراكسة عرب حرموا الحظوة بطرف من حكومة

البلاد فغضبوا حتى أتى السلطان سليم الاول الى مصر فانضموا الى جيوشه وأبى أكثرهم امداد طومان باى ابن أخ الغورى مع التزامه لهم باقالتهم ثلاث سنين من الاموال المضروبة عليهم فلم يستطع السلطان سليم ان يعاملهم بالقسوة وان لم يكافئهم باحسان ونصر على المماليك سنة ١٥١٦ ميلادية فلقب نفسه بحامى حمى الحرمين مكة والمدينة ونادى أن لايغير شيأ من سياسة المماليك التى منها أن الفلاحين بمصر يؤدون خراجا الى السلطان وآخر لملاك الاطيان وينتفعون بما بقى من ثمرات الاطيان فى أمورهم الضرورية مع أن ترتيب الاقاليم العثمانية ان يؤدى ملاك الاطيان الى خزينة السلطان تكاليف على قدر واردات أطيانهم فكان من السياسة تحقيق محبة الفلاحين خصوصا وأكثرهم من ذرية العرب بترتيب قوانين نظامية عادلة تدور عليها مصالح الفلاحين الا أن المقلدين بالحكومة من الرؤساء العثمانية استعيل بعضهم بالهدايا وغلب الرعب على آخرين من تحكم قدماء المماليك

وتخلى شريف مكة عن الانتصار للخلفاء العباسية والسلاطين الجراكسة وبعث الى السلطان سليم أثناء اقامته بالقاهرة سفيرا يسلمه مفتاح الكعبة ويبايعه على الطاعة فرتب هذا السلطان نفقة لفقراء الحجاز وأغدق على مشايخ العرب وأبقى مايعمل كل سنة بالقاهرة من الاحتفال لخروج محمل الحج الى مكة المشرفة ونزل له المتوكل على الله آخر الخلفاء العباسية عما كان له من الحقوق فى الامامة سنة ١٥١٧ ميلادية وسلمه بيرق النبى صلى الله عليه وسلم ولما جلس السلطان سليمان الاول على سرير السلطنة سنة ١٥٢٠ ميلادية همت قبائل من العرب بتعضيد عصيان أهل مصر والشام طمعا فى تحصيلهم جانبا من الاستقلال الذى كان لهم فخاب أملهم بقمع هذا السلطان للعصاة

﴿ المبحث الرابع ﴾

﴿ فى انقياد اليمن للدولة العليه ﴾

أرسل قانصوه الغورى سنة ١٥١٧ ميلادية عساكر الى اليمن لدفع ما كان بها

من

من تحكم البرتغاليين ثم ملك السلطان سليم الديار المصرية وأحضر الى القاهرة عساكر الغورى المقيمين بزبيد مع أن الواجب عليه كسائر العثمانية اتباع الغورى فى ازالة تحكم هؤلاء الفرنج لكن ابنه سليمان وجه الى اليمن القبطان سلمان سنة ١٥٢٦ فنزل بها وعامل بالقسوة رؤساء لاينقادون الى السلطان الذى بعث سنة ١٥٣٨ ميلادية سليمان باشا الى سلطان بحيث جزيرة الجوزرات من الهندستان لتأدية أمر فطلع فى اليمن وغلب أمراء عدن وزبيد وولى على أرضهم صنجقا ثم توجه الى الخليج الفارسى وأظهر أساطيله أمام القلاع والمحال التى أنشأها البرتغاليون ولام عليهم فى تعليمهم الفرس استعمال الاسلحة النارية وفن سبك المعادن وصب المدافع ثم عاد الى جدة فبعث الى مكة جزأ من الغنائم العظيمة التى اغتنمها ومن تلك الغزوة أقيم فى مينا السويس قبطان باشا لتعضيد تحكم الدولة فى بحر الهند والزام البرتغاليين احترام البيرق السلطانى وانفاذ سلطنته على جميع العرب الساكنين بالسواحل وهدم الرئيس بيرى سنة ١٥٥١ ميلادية مدينة مسكات التى استولى عليها البرتغاليون للتحكم على عمان ثم حاصر مدينة هرمز فبذلوا له أموالا جسيمة فأخذها وانصرف تاركا مايجب عليه من ادامة الحصار

وكان القبطان مراد متحكما على الملاحين فى الخليج الفارسى زمنا طويلا وساعد العرب على اعدام الحصون البرتغالية من اقليم الحسا والبحرين وحقق للدولة العلية انفراد الكلمة فى شرقى بحيث جزيرة العرب ثم انهزم امام مدينة هرمز سنة ١٥٥٣ ميلادية فكان لذلك أسف شديد أراد القبطان سيدى سنة ١٥٥٥ ميلادية أن يتداركه فنال فى بداية أمره نصرات ثم خرجت رياح عاصفة فشتت أساطيله وألزمه الامراء النزول باحدى مينات الهندستان ثم رجع فى البر الى القسطنطينية

وبعث الباشوات حاكمو القاهرة فى ذلك الزمن عساكر فى البر والبحر لغزو اليمن الغاشية بين أهله بغضاء العثمانية التى أبداها بينهم شيعة الفرس ولبثت

الحرب وسفك الدماء بين الفريقين من سنة ١٥٣٩ الى سنة ١٥٦٨ ميلادية أخذت فيها مرات أكبر مدائن اليمن وهى صنعاء وعدن ومخا وذمر وزبيد وقسم حكام القاهرة اليمن الى حكومتين وهو خطأ فان عدم الاتحاد عطل حركة العساكر العثمانية وقوى العرب وأظفرهم بهم حتى استولوا على جميع مدن اليمن ماعدا زبيد وولوا الامام مطهرا الخلافة فأمر السلطان سليم الثانى سنة ١٥٦٨ سنان باشا بالتوجه الى اليمن لقمع أهله فتوجه وألقى الفشل بين فرقتى الزيدية والاسماعيلية ثم ألزم الامام مطهرا أن يضع امضاءه على عقد الصلح بشرط أن الدولة العلية المتسلطنة على جميع الطرف الجنوبى الغربى من بحيث جزيرة العرب لها التمتع فى جميع بلاد اليمن بالحقوق السلطانية المقررة فى الشرع وابقاء طريق التخالط بين أهل الحجاز واليمن مطلقة بلا مانع وأن الامام مطهرا يكتفى بالامارة الصغرى المعروفة بكوكبان

وكانت هذه الغزوة للطمع فى ثروة أهل اليمن بزراعة البن الفاشى اذ ذاك شرب قهوته فى جميع ساحل أفريقية وغربى آسيا وبلاد أوروبا وفتحت أول قهوة فى القسطنطينية زمن السلطان سليمان ثم كثرت بها القهاوى فى سنين قلائل

وعرب حمير الساكنون باليمن ينقسمون كما سلف الى اسماعيلية و زيدية الا أن أكثرهم زيدية تعتقد كالشيعة أن علىّ بن أبى طالب حرمه أبو بكر وعمر وعثمان من الخلافة بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا انهم لا يقولون باثنى عشر اماما كالشيعة بل بأربعة خاتمهم مؤسس مذهب هذه الفرقة وهو زيد ابن محمد الباقر بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

﴿ المبحث الخامس ﴾

﴿ فى تحسين بلاد العرب فى النصف الاول من القرن ﴾
﴿ السابع عشر الميلادى ﴾

بلغت الدولة العلية أوج الشوكة فى ذلك العصر وشدد على العرب ولاتها باليمن من جهة والبرتغاليون النازلون باقليم عمان من ناحية والفرس المتحكمون فى الخليج الفارسى من أخرى فلبث هؤلاء العرب على هذا الذل حتى دهمت عرب جهات أخرى البرتغاليين والعثمانيين الذين اشتغلوا بالحرب عن اطاعة بلاد العرب ببعث جنود تحافظ على مابأيديهم من البلاد فهجمت قبائل هؤلاء العرب فى ابتداء القرن السابع عشر من الميلاد على مراكز التجارات الافرنجية فأعدموها واحدا بعد آخر ولم يبق عما قليل أحد من هؤلاء الغرباء فى جنوب بحيث جزيرة العرب وظهر من أقارب الخليفة مطهر السابق رجل يسمى قاسما نصب بيرق العصيان وضرب سكة باسمه فى امارة كوكبان وأظهر عزائم حملت العرب على تلقيبه بأمير المؤمنين وتزاحمت الزيدية وانتظموا تحت ألويته واستقل بالحكم على ما أخذه العثمانيون من سنة ١٥٦٨ الى سنة ١٦٢٨ ميلادية ثم أمر السلطان مراد الرابع ايدين باشا حاكم اتيوبيا سابقا بالتوجه الى اليمن لقمع هؤلاء العرب فتوجه وتحصن بمدينة مخا وأمد من القاهرة بعدة بعوث منعها شريف مكة المساعد للعرب سرا ثم أتى قوسون باشا بدل ايدين باشا بعساكر جديدة قاتل بهم فى وادى الجن وأخذ مدينتى تعز وزبيد ثم قطع العرب التواصل بين اليمن والحجاز وردموا ما بينهما من الآبار فتخلى قوسون باشا عن اليمن للامام الزيدى

وطرد البرتغاليون فى ذلك الزمن اقليم عمان واستولى العرب سنة ١٦٥٨ على مدينة مسكات المتجددة أبنيتها بعد سفر بيرى سنة ١٥٥١ وقبضت عائلة الاعراب الزاعمة أنها من سلالة قرشيين بمكة على أعنة الحكم الواصل الى مدينة هرمز وبلاد البحرين والحسا وكذا الى مدينتى كلوة وزنزبار

وكان ديوان القسطنطينية يؤدى كل سنة الى أمير محمل الحج الشامى ثلاثة وعشرين ألف قرش توزع على عرب البرارى الشامية ثم تأخر الديوان عن تأديتها فنهب هؤلاء العرب قوافل الحج الشامى وانضموا الى فخر الدين المشهور بالعصيان وبارزوا الدولة العلية عشرين سنة من سنة ١٦٢٣ الى سنة ١٦٤٣ ميلادية

ولاعانة شريف مكة عرب حجير على عصيانهم الجنود التركية لم يكن للدولة بمكة شوكة أكثر مما كانت فى اليمن مع اجتهادها فى بقاء سكان الحجاز على الصداقة بالعطايا السنوية التى زادت سنة ١٦٢٤ ألفى قرش كان يؤديها قبل ذلك بيك ايالة الجزائر الى بيك ايالة تونس وانهدمت الكعبة بالسيول فبناها من الجدران السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٠ بمال الجوالى المضروبة على قبط مصر وبذل سنة ١٦٥١ مصاريف لتدارك ما أتلفته السيول ومع ذلك كله كان عرب الحجاز لا يلتفتون الى المندوبين من قبل الدولة ويأبون طاعة الشريف ويتخذون شيخا غيره يعتمده سلطان القسطنطينية قهرا ويوقعون دائما مع أمراء الحج الشامى والمصرى وحكام جدة تنازعا وقتالا يوجب ورطات عظيمة للدولة العلية التى كان لها من الجنود بالمدينة نحو خمسين لخفارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم وبجدة جمع قليل لا يوازى مع جنود المدينة تحكم وسلطة شريف مكة القادر على اتخاذ عشرة آلاف جندى وعلى الفرار بالبيداء ان هدد بخطر مشرف الوقوع ولعجز السلطان مصطفى الرابع عن قمع الشريف اعترف له بالاستقلال سنة ١٦٩٥ ميلادية

وتعدى حاكما بغداد والبصرة على أموال عراق العرب فبارزوهما بقوة لم تكن أقل من قوة عرب الحجاز على رجال الدولة العلية على استعداد مجاوريهم من الفرس لمساعدتهم على مبارزة الدولة وكان فى سنى ١٦٥٠ و ١٦٦٧ و ١٦٩٥ ضروب من العصيان اقتضت بعث جيوش جرارة لاطفائها وسلم عرب الفرات مدينة البصرة الى شاه أصفهان الذى أمضى الصلح مع الدولة وهم مستمرون فى محاربتها الى سنة ١٧٠١ وسفكت دماء كثيرة حين عصت قبيلة منتفق سنة ١٧٠٦

١٧٠٦ مع قصر زمن عصيانها عن العصيان السابق واحتمى بعض قبيلة لام سنة ١٧١٦ بحاكم جزيرة الفارسى فنصبت قبائل العرب بنجد والبصرة البيرق الأسود وصدوا ثلاثين ألفا من الفرس أغاروا على أرضها ومن ذلك الوقت كانت البادية كلها فى حيازة العرب دون غيرها

﴿ المبحث السادس ﴾

﴿ فى خروج الوهابية عن الطاعة ﴾

أخذت العرب من ابتداء القرن الثامن عشر فى الاستقلال بالحكم لقوتها وضعف أعدائها ولم تنقص الا اتخاذ مركزا تجتمع حوله جميع الازهان وترجع اليه فى تدبير الامور فهمت الوهابية سنة ١٧٤٩ ميلادية فاتخذت منها عبد الوهاب مركزا وهو من قبيلة تميم اشتغل فى صغره بالعلوم المعتادة عند العرب خصوصا الفقه وسافر الى بغداد والبصرة وبلاد الفرس ثم أخذ يتفكر فيما يثير الحمية فى أبناء وطنه فوجده أحياء الشريعة نقية من جميع البدع كحالتها الأولية فالزمهم المواظبة على العمل بالقرآن ونهاهم عن الغلو فى تعظيم النبى صلى الله عليه وسلم وعن تقديس الاولياء الذين هدم قبورهم وعن تعاطى المسكر وأنكر على الاتراك أخلاقهم الفاسدة وقال ان الشريعة المحمدية تقضى أن يخرج كل انسان خمس أمواله زكاة وتحرم الزينة وتلزم القضاة بتحرى الصدق

وأخذ يعظهم بخطب عظم تأثيرها لديهم بموافقتها القرآن ومقصوده من ذلك كله استمالهم الى الامور الحربية ليحيوا ما كان لآبائهم من العظمة وقد كان فان أقوى جميع قبائل نجد وفدوا اليه وانتظموا تحت لوائه فجعل محمد بن سعود من قبيلة مصالح قائد هؤلاء الوفود وزوج سعود ابنته وقلده الحكم السياسى على الوهابية لمعرفته بالقوانين العسكرية ثم أشاع سعود فى مكة عقيدة لتوضيح مقصد أستاذه عبد الوهاب ونصها

ان العلم الدينى ينحصر فى ثلاث مسائل الاولى معرفة الله والثانية معرفة أركان

الدين والثالثة معرفة النبي فاما المسئلة الاولى وهى معرفة الله فتنحصر فى هذه القضية وهى لا اله الا الله وأما مسئلة معرفة الاركان الدينية فتتعلق بالاسلام وبالايمان وبعمل الصالحات فاما الاسلام فهو عبارة عن خمسة أشياء ممتازة عن بعضها وهى الاول انه لا اله الا الله محمد رسول الله والثانى أقام الصلاة الموقوتة خمس مرات كل يوم والثالث اخراج خمس المال زكاة والرابع صوم شهر رمضان والخامس حج بيت الله بمكة ولو فى العمر مرة أقل مايكون وأما الايمان فهو عبارة عن ستة أحكام الاول الايقان بوجود الله والثانى الايقان بوجود الملائكة والثالث الايقان بالكتب المنزلة من عند الله والرابع الايمان بالنبي والخامس الايمان بصفاته وشمائله والسادس الايمان بالحساب يوم القيامة وأما عمل الصالحات فينحصر كله فى العمل بهذه الوصية وهى قوله عليه الصلاة والسلام اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وأما معرفة النبي فتلخيصها هو أن النبي محمدا نبي مرسل باذن الله الى جميع الأمم وليس فى الدنيا دين حق الا دينه وأنه ليس من نبي بعده

وقد جبر الشيخ عبد الوهاب العرب بهذه الكلمات على ترك مانعودوه من عدم العناية بالدين والاعتقادات الفاسدة واستخلص آداب القرآن التهذيبية من سائر النقائص المنسوبة الى القرآن زورا وخلص العقول من النظر الى الظواهر التى قصرت عليها التفاسير المطولة الى قبول مقاصده لتجديد دين الاسلام الذى اكتسب رونقا جديدا باعمال رئيس الوهابية المحبين للفضائل النائين عن الشهوات الذميمة بخلاف الكرمانية وما زالوا يجددون الاسلام حتى تعرض لصدهم باشا الديار المصرية من سنة ١٨١١ الى سنة ١٨١٥ ميلادية

وبينما الشيخ عبد الوهاب يأمر وينهى اذ كانت الجهة الشرقية من بلاد العرب معرضة للغارات فان نضير شاه المنتصر على الدولة العلية نوى أن يؤسس سلطنته فى الخليج الفارسى وهم سنة ١٧٣٠ ان يدهم بلاد عمان فلم يقاومهما بجمع خمسا وعشرين سفينة لمحاربتها فابى المسلمون أن يقاتلوا اخوانهم فى الدين

فعزم

فعزم ان ينقل سكان الخليج الفارسى الى سواحل بحر جرجان وينقل آخرين
الى ذلك الخليج ثم مات وأدخل بعض مشايخ العرب رجال الفرس فى مدينة
مسكات سنة ١٧٤٠ فانتشروا منها فى جميع الاقليم لعدم امدادهم ولم يقدروا
أن يصدوا دهمات العرب المستمرة فرحلوا من تلك البلاد وظهر بعدهم أعداء
أخر الفلمنكيون والفرنساويون والانكليز الذين دعتهم حاجة التجارة الى ارساء
سفنهم بالسواحل البحرية وأخذوا يبحثون عن فرصة تمكنهم من التوطن بمدينة
مسكات لموافقة وصفها للتجارة البحرية فقاومهم أهلها وقد استولى الفلمنكيون
على جزيرة كرك سنة ١٧٥٥ وبقيت تحت أيديهم احدى عشرة سنة ثم سلبها
منهم لص من أكبر لصوص العرب البحرية يسمى ميرمهنا كان متحكما زمنا
طويلا على الملاحين فى الخليج الفارسى

وكانت قبائل العرب فى شمال بحيث جزيرة العرب ممتعة فى تلك الحقبة بالهدو
فانها رجعت الى سكنى البرارى بعد ان ساعدت فى قتال الترك والفرس
واقليم الحجاز ماعدا جدة التابعة للدولة باق على الانقياد للاشراف واليمن مستغن
بمحصول أرضه وصنائعه غير أنه كابد أهوالا من اطلاق الفرنساوية المكاحل على
مدينة مخاسنة ١٧٣٨ وطمع الانكليز فى مدن السواحل فتداخلوا فى
مشاجرات العرب ولم يبال عرب مصر والشام بالخروج عن حكم الدولة العلية
وكانت قبائل نجد متفاشلة ثم اتحدت تحت قيادة محمد بن سعود الوهابى وأغاروا
على حدود الحجاز وصحارى الشام ليفشوا بين البدويين الانتباه من غفلة
الانحطاط فأمر سلاطين الدولة العلية حكام البصرة وبغداد وجدة وباشا مصر
وباشا الشام وشريف مكة باستئصال هذا المذهب الوهابى المسمى لديهم
بالضلالة الخطرة وبعث السلطان محمود الاول والسلطان مصطفى الثالث هدايا
فاخرة الى شريف مكة ولم يبال محمد بن سعود بتلك الاحتراسات واستمر فى السير
الى تلك الجهات فبايعته العينة والحريلة والعمارية ومنفوده ووفدت اليه
رسل من الاقاليم المجاورة لها تخبره بالانقياد له وأما والده سعود فكان قائدا

لكتائب مبعوثة الى البلاد القاصية أقام حكمه على بلاد الحجاز كالطائف ومكة والمدينة وجدة ثم شن الغارة على بلاد عسير فأخذها واعترف بحكمه بنو شهر وبلقرن وشمران وغامد وزهران وأخذ مدينة أبي عريش باليمن بعد حرب طويلة وبلاد الحسا والبصرة ورأس الخيمة والبحرين وعنيزة والرسة وبوريدة والرياد وجبل شومر وبالجملة تحكم سعود على بلاد حران التي بين مكة ودمشق وعلى بلاد نجد واليمن الى مدينة صنعاء

المبحث السابع

في أن غزو الفرنساوية للديار المصرية ساعد الوهابية على نجاح مقصدهم

أخذ نابليون بونابرتو البلاد الشامية التي نجت منه بمقاومة أهل عكا وحارب الديار المصرية فاشتغلت الدولة في غاية القرن الثامن عشر وغرة التاسع عشر من الميلاد بتمكين حكمها في ايالة مصر والشام وبمقاتلة الجبابرة في أوروبا غير ملتفتة الى ماجرى على بلاد العرب من تحكم الوهابية التي أنشأ بونابرتو مع كبيرها مودة

ولما فتح بونابرتو الديار المصرية كتب في تاريخه مقاصده التي منها توصله الى الهند ليعدم منها ماللانكليز من الشوكة التامة ولما ولي أمبراطورية فرنسا أمر الموسيو (لسقاريس) بالسفر الى بلاد العرب ليعاهد قبائل الشام والعراق وفارس على أن يسهلوا سير جيشه الى السند ويفضوا له الطريق التي سلكها اسكندر ذو القرنين فسافر (لسقاريس) من حلب معه كاتب السر وقطع فيافي بلاد العرب من جهة تدمر القديمة فأخبرته أول قبيلة نزل عندها بان أهل البادية أربعة أحزاب حزب من أحياء عنزة في حدود الشام منقاد للدولة وحزب من شجعان العرب في مفاوز العراق شديد البغضاء لمن انتسب الى غيرهم وحزب من بدو الفرس وحزب من الوهابية التي أعرض (لسقاريس) عما يجب

عليه

عليه من معاهدتها مع الحزب الثانى وهو العرب الذى عاهدهم على مقاومة الدولة فكان رئيس هذا الحزب (دربى) المعروف بالفطنة والدراية فى الحرب محل أسرار بونابرتو فى مغاوز بلاد العرب ثم كتب جمع من مشايخ العرب سنة ١٨١١ ميلادية مبايعة مع (دربى) على أن ينقادوا لامره ويعادوا العثمانية عداوة مؤبدة ويحاربوا الوهابية ولا يخلطون الدين بالسياسة ويقاتلوا القبائل الممتنعة من الانضمام اليهم ويقتلوا من نقض منهم هذه المبايعة وبلغ ذلك الانكليز فألفوا قلوب عرب الشام بالعثمانية وأغروا الوهابية البالغين اذ ذاك سبعة آلاف وستمائة خيمة على أن يفضوا معاهدتهم مع الفرنساوية ورتبوا لهم دراهم لذلك ثم كانت واقعة بقرب حماه بين مائة ألف وهابى وثمانين ألف بدوى تابعين (لدربى) الذى هزم الوهابية واقتفى أثرهم حتى بلغ حدود نجد فأراد سعود وهو بالدرعية تحت حكومته أن يعرف الغرض من المعاهدة مع الفرنساوية فذهب اليه (لسقاريس) (ودربى) وأوضحاله الغرض منها فدخل فى تلك المعاهدة لشدة بغضائه كالفرنساوية لجنس الترك الا أن سعود ما زال يأبى الانقياد فى قضايا أخر بسبب معاهدته الانكليز حتى عرف ان نابليون هو أبو النار وانه الذى سأله المساعدة على ذهابه الى الهند بجيوشه لاعدام شوكة الانكليز فأجابه بغاية الرضا ثم رجع (لسقاريس) من بلاد العرب سنة ١٨٠٠ وقت هرب الجيش الفرنساوى من مدينة مسقوف عائدا الى وطنه ورأى (لسقاريس) أن أوراق معاهدته فى أيدى أعدائه وأن سعيه ذهب هباء منثورا فمات حزنا ولاستيلاء الانكليز على جزيرة كرك فى الخليج الفارسى ووجود وكلائهم فى مخا والسويس وجدة والبحرين وتشوقهم الى الاستيلاء على مدينتى مسكات وعدن كانوا يتتبعون بشدة الاهتمام حوادث بحث جزيرة العرب

﴿المبحث الثامن﴾

﴿في عود الدولة العلية سنة ١٨١٥ ميلادية الى ما كانت عليه من الشوكة وفي سياسة جنتمكان محمد علي باشا للديار المصرية﴾

لما زالت سلطنة نابليون عن الديار المصرية عادت العساكر العثمانية الى سيرها المطلق وشرع محمد على باشا فى أن يعيد لمصر ما كان لها من العز والفخار بقتال الوهابية واعدام مالهم من الحكم فبعث سنة ١٨١١ ابنه طوسن باشا بعسكر أخذ بهم ينبع وسويج ونصر على الوهابية قرب بدر ثم سار تلقاء الصفراء والوهابية اذ ذاك فى مضايق الجبال وأعلى الجبال فظفروا بالجيش المصرى ومزقوه كل ممزق فرجع طوسن باشا الى ينبع وأتته الامراء من قبل والده فدهم الوهابية واستولى سنة ١٨١٢ على المدينة المنورة وجدة وبسل والطائف ومكة اللاتى تركها الوهابية بعد ان نهبوا مافيها ورئيسهم سعود يفعل اذ ذاك الاحتراس من زحف المصريين عليه ثم دبر سنة ١٨١٣ حربا هزم فيها الجيش المصرى أمام بلدة طرابة وحاصر المدينة وضرب أعناق العسكر المحافظين على الحنكية واستشار سرا عرب اليمن فثاروا وانتشروا فى نواحى مكة وجدة وقطعوا مواصلتهما لجهات أخرى فيئس المصريون من الظفر ثم حضر محمد على باشا وتولى تدبير الحرب فأخذ يظفر بالوهابية قليلا حتى مات سعود والوهابية محاصرون للطائف وله اثنا عشر ولدا ليس فى أحدهم كفاءة للقيام مقام أبيه فكانت الغلبة لمحمد على نخلص الطائف من المحاصرين وغلبهم فى عاشر يناير سنة ١٨١٥ ميلادية قرب بلدة خولج وأخذ قنفدة باشا وانقاد له عرب عسير وأملى ابنه طوسن باشا على الجبان عبد الله بن سعود شروط صلح تحطه عما كان عليه من رفيع الجاه ولم يصدق فى العمل بتلك الشروط فبعث اليه محمد على باشا سنة ١٨١٦ ابنه ابراهيم باشا بجيش أخذ به فى أقل من ثمانية عشر شهرا معظم بلاد نجد فقد استولى على الحنكية والناوية والمبرة وعنيزة وبوريدة وشقرة ودرامة ونزل بجيشه بجانب

مدينة

مدينة الدرعية فى الثانى والعشرين من مارث هذه السنة فانقاد له فى اكتوبر عبدالله بن سعود شيخ الوهابية فاكرمه وبعثه الى القسطنطينية والتمس من ديوانها العفو عنه فتركه أهل الديوان السلطانى ثلاثة أيام ينظر فى المدينة ثم ضربوا عنقه فى ميدان آيا صوفية وبذلك زالت الشوكة الوهابية الا أن من بقى منهم كقبائل حرب أوقدوا سنة ١٨٢٧ نار العصيان التى أطفأها المصريون وعادوا سنة ١٨٣٢ الى الخروج على الدولة فاجتهدوا فى مقاومتهم تركى يسمى تركجه بلمز ولم ينجح وطرد من الحجاز فهرب الى اليمن ولاذ بمدينة مخا ثم اتقدت نار الحرب بجميع بلاد العرب فى سنتى ١٨٣٦ و ١٨٣٧ ميلادية فبعث محمد على باشا فى آن واحد أحمد باشا وسليم باشا الى عسير والحجاز بجيشين ألزما العرب بالطاعة وكوجك ابراهيم الى اليمن بجيش نخلع امام صنعاء الحكم على غالبه قهرا وخورشد باشا الى بلاد نجد بجيش هزم من ذرية سعود رجلا يسمى فيصل ولحقه فى سهول دلام ثم جال فى تلك البلاد حتى بلغ سواحل الخليج الفارسى وهى ضواحى الحسا والقطيف وبذلك انفرد محمد على باشا بالحكم على بلاد العرب الا أن الانكليز رأوا أن مصلحتهم فى منعه من الاستيلاء على طرق المخالطات وفى احتكارهم تجارة الهندستان وعارضوا خورشد باشا حين أراد الاستيلاء على جزائر البحرين بعد واقعة دلام وهددوه بشنهم الغارة على البلاد الشامية وظهر لمحمد على باشا حين ربط علائق المودة بامام مسكات أن جميع مقاصده كان يعارضه فيها الانكليز الذين استولوا على عدن وكان ظهورهم فى اليمن موجبا التفات انظار الدول الاوروباوية اليهم ويئس محمد على من خلط عرب مصر بعرب جزيرة العرب فرد للدولة حكومة الحرمين بعد ان أنفق فيهما كل سنة نحو ثمانية عشر مليون فرنك ثم توفى كل من محمد على باشا وابراهيم باشا فى سنة ١٨٤٨ ميلادية فضعفت قوة المصريين وساغ خروج الوهابية على الدولة واستقلال الامة العربية بالحكم

﴿ الباب الثانى ﴾

﴿ فى العرب المتوطنين بافريقية وفى عربى أفريقية ﴾
﴿ ووسطها وبلاد مراكش وايالة الجزائر ﴾
﴿ وفيه مبحثان ﴾

﴿ المبحث الاول ﴾

﴿ فى العرب المتوطنين بمصر والممالك البربرية ﴾
﴿ بالمغرب وغربى افريقية ووسطها ﴾

تشمل حكم الدولة العلية ايالات مصر وطرابلس وتونس والجزائر ولم تغير شيا من طباع القبائل العربية من شواطئ النيل الى المحيط الاطلنطيق فانها اذذاك باقية على ما كانت عليه أيام الفتوحات الاولية من ملازمة الفضائل والمثالب البدوية والتأهب لتأدية الخراج السلطانى بشرط بقائهم على ماجبلوا على حبه من المعيشة الاستقلالية وقد شاهدنا ما امتازت به قدماء العرب كل الامتياز من العقل المذعن للقضاء والقدر والكثير التأمل فى المصنوعات لدى المصريين المتأخرين المخبرين لنا أن محمد على باشا لما أراد بعد نصرته على الوهابية أن يظاهر الدولة بدولته المتنشطة باكتساب تمدن أوروبا رغب فى أحياء الفضائل والتمدن لدى المنقادين لحكمه فاكثر من ترجمة الكتب الفرنساوية العلمية الى اللغة العربية وطبع عدة كتب فى مطبعة بولاق الا أن الانكليز سعوا سرا فى نقض مقاصده التى عدمت بعد وفاته ولم تعترف عرب الديار المصرية والايالات البربرية فى المغرب بحكم الدولة الا اسما ورسما وظهر تحكم العرب بشمال افريقية وسواحلها الشرقية وجال أهل القرآن ونشروه فى ابتداء القرن السابع عشر ببلاد السودان والامام السياسى والدينى اذ ذاك رجل من العباسية يسمى صالح ساح بالوادى الذى أسلم سكانه واستولى أيضا فى هذا العصر السلطان صابون الحاكم الآن فى السودان على بلاد بجيرمة وأدخل أهلها فى الدين المحمدى

وتقدم حتى بلغ بحيرة شاد وقد شاهد نشر الدين والحكم العربى فى وسط افريقية سياحوا الفرنج المكلفون أنفسهم مالا تطيق من الجولان فى وسط افريقية باسترشادهم العرب ومرورهم من كردفان ودارفور أو بحولتهم من طرابلس فى الصحراء الكبرى وبالجملة كان العرب مجددين للدين فى السودان حين تجديد الوهابية له فى بحث جزيرة العرب

﴿ المبحث الثانى ﴾

﴿ فيما يتعلق ببلاد مراكش وايالة الجزائر ﴾

اكتسب غربى افريقية بعض التمدن من مملكة مراكش التى بقيت خالية من تسليط الاجانب فحق لها أن ترفع لواء ظهور الامة العربية واستقلالها بالحكم الا أن الفشل بين العائلة المتسلطنة عليها عجل انحطاطها وسلطانها الآن عبد الرحمن الجالس على سرير السلطنة سنة ١٨٢٢ ولم تزل مكناسة وفاس ومراكش مشتملة على طرف من العز والجلالة لاسيما فاس المعتبرة آخر مأوى ثوت فيه المعلومات المشرقية واشتمل على مدارس كثيرة وكتبخانة مشحونة بانفس الكتب المكتوبة بخط اليد ولم تبح علماؤها لاحد من الفرنج ان يطلع عليها ويمكن أن يكون أهالى مملكة مراكش ستة ملايين من البربر والعرب واليهود والزنج وغيرهم وقد انتشر البربر على سلسلة أطلس الممتدة من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وبقرب سواحل البحر جبال الريف التى يحمى حماها قبائل مستقلة لانعرف أسماءها

وتنقسم أرض تلك الجهات الى تل وصحراء فطول التل خمسة وسبعون ميريا مترا وعرضه ثلاثون أو أربعون ميريا مترا وسطحه ثلاثة آلاف ومائتان وخمسة وعشرون ميريا مترا مربعا وهو ضعف تل الجزائر والصحراء كصحراء الجزائر فى السعة وبجنوبهما وشرقهما مملكة صغيرة معروفة بمملكة سيدى هشام انشئت سنة ١٨١٠ وأهلوه عرب وشيلوق وكرسيها طالان مركز قوافل التجارة بين تمبكتوا ومراكش

وجبال تلك الجهة من افريقية شامخة ومصادرها على صورة واحدة وانهارها أكبر من أنهار الجهة الشرقية ويجرى من هذه الانهر الى جهة الشمال ملويه ولقوص والعورا والاصبو وأم الربية والبورغراز والى جهة الجنوب الغوير والزيز ووادى دراعة وتلك البلاد فاخرة ناضرة لاتعرف بجميع وسائل قوتها وغناها

وكان ملوك أوروبا متشوقين لامتلاك بقاع مهمة من ساحل شمال افريقية وتأسيس مراكز تجارية أو الزام أهل تلك الاقطار احترام بيارقهم الفرنجية وكان بينهم وبين حكام مراكش والجزائر وطرابلس وتونس علائق نتج منها منفعة تبعية ثم عادت الفرنساوية الى الجزائر من سنة ١٨٢٧ حتى أخذوا الجزائر سنة ١٨٣٠ فتغير شمال افريقية تغيرا كليا وزال عنه علائق الحكومة التركية ومنع الفرنساوية من توسعة دائرة حكومتها بالاقطار المغربية ماحصل لديها من الانقلاب فى شهر يوليو سنة ١٨٣٠ وما كان عليه الترك والعرب من شدة البغضاء للنصارى وان كانت المعادات حربية بين رؤسائهم كالحاج أحمد وابن عيسى وابن زامون فى الجهات الشرقية وعلى مبارك والبرقانى وابى مزراق وأمثالهم فى الجهات الغربية وتنقسم ايالة الجزائر الى أربعة أقاليم عران وقسطنطينية وتيترى والجزائر وكان القائم بتدبير الحكومة بالاقاليم الثلاثة الاول وكيل عن الوالى الكبير وبتدبير اقليم الجزائر اغا العرب الداخل فى حكومته بليدة وسهل حمزة حتى أبواب الحديد وبغربى هذا الاقليم اقليم عران المحصور بجبل أطلس الصغير والمتصل بحدود مملكة مراكش ويشمل اقليم القسطنطينية مافى شرقه من حوض البلاد المروية بنهر وادى الرمل وبجنوب هذا الاقليم اقليم تيترى المبتدئ من شواطئ نهر الشليف والممتد طولا على جوانب جبل أطلس الكبير

وقد زال حكم الوالى الكبير فنفذ حكم الحاج عبد الرحمن فى القسطنطينية بلا تعرض من الفرنساوية له وأراد مشايخ العرب باقليمى عران وتيترى ان يأخذوا ما كان لهم من علو الشأن ونفوذ الحكم لكن مال بعضهم الى معاهدة عبد الرحمن سلطان مراكش الذى بعث كاتب الى مسقرة وتلمسان وبعض أخر الى أن يكونوا

تحت

تحت حماية الفرنساوية اللابثين بمدينتى بونةوالمرسى الكبيرة ثم جاء السرعسكر (كلوزيل Clausel) الفرنساوى الى مدينة الجزائر فى سبتمبر سنة ١٨٣٠ فاجتهد فى الاستيلاء على ايالة الجزائر وشد أزره بمشايخ العرب ذوى البأس واتبع الفرنساوية رأيه من ذلك الزمن ثم علموا ما فعله أبو مزراق المنفرد بالقوة فى جهة مدية من اقليم تيترى من اظهاره الانقياد اليهم مع تحريضه العرب وأهل مراكش سرا على قتالهم فقاتلوه وأسروه وولوا بدله مصطفى بن عمر الذى عاهدهم على الصداقة والطاعة

وكانت طائفة كولة موكلين من الحكومة العثمانية المزالة بالمدافعة عن الحصون الحصينة فحصرهم العرب واستغاث حسن بيك بالفرنساوية فبعث (كلوزيل) عساكر الى مدينة المرسى الكبيرة وآخرين الى مدينة عران ثم أخذ والى تونس مدينة عران بعد اتفاق بينه وبين الفرنساوية الذين أخذوها بعد ذلك فى ثامن عشر أغسطس سنة ١٨٣١ التى تولى فيها قيادة الجيش الفرنساوى السرعسكر (برتزين Berthesène) وعساكره لاتبلغ تسعة آلاف مع اضطراب العرب بسائر الجهات ومحاصرتهم بلدة مدية ونفاد ما عند مصطفى بن عمر من الاقوات والوسائل ولذا أخذ العرب هذه البلدة من الفرنساوية فى الخامس والعشرين من يونيه وظنوا أن الفرنساوية يخرجون عما قليل من أرض الجزائر

وكانت أحزاب العرب تتعاقب على مدينتى تلمسان ومستغانم ومحيى الدين المرابط يمهد طريق الظهور لابنه عبد القادر فى بلدة مسكرة التى كانت مركز الحرب بعد ذبح الجنود التركية الغير المنتظمة فغلب السرعسكر (بواير Boyer) هؤلاء العرب وادى (ارزوا) المتعاهد مع الفرنساوية الى العساكر المحافظة على مدينتى عران والمرسى الكبيرة جميع الاقوات الضرورية وفى أثناء ذلك كان بضواحى مدينة الجزائر تحزب عظيم دخل فيه أهل بليدة وقولية ودخل أهل مدية فى حكومة سلطان مراكش فنصر على هؤلاء الجموع السرعسكر (برتزين) وجعل على مبارك أغا العرب لحفظ عدوهم فى السهل لما التزم لذلك القائد

وجاء الدوق (دى رويجو Le duc de Rovigo) الى مدينة الجزائر فى نوفمبر سنة ١٨٣١ وشرع الفرنساوية بعد أشهر قليلة فى تجديد المكالفات الحربية بجيوش أكثر من الاول ففتح الشيخ فرحات عدو بيك القسطنطينية أبواب مصادمة الفرنساوية وبعث سفراء قبض عليهم الفرنساوية فى أرض قبيلة عوفية وقتلوهم فى عاشر ابريل فتعصب العرب على الفرنساوية وعضدهم كراهية على مبارك للفرنساوية لكنهم مزقوا كل ممزق فى اكتوبر سنة ١٨٣٢

وكان ذلك الزمن حوادث مهمة شرق ايالة الجزائر فان مدينة بونه التى حلها الفرنساوية يسيرا من الزمن خرجت عن طاعة الحاج أحمد بيك القسطنطينية الذى دهمها بعد ذلك فى خامس مارث سنة ١٨٣٢ لاحتياجه الى مينا واستولى عليها وأفرط فى ذبح من قاومه فيها فحاز بذلك صيتا كبيرا ثم أخذتها الفرنساوية فى شهر مايو وبذل عزائم لم تفد فى استنقاذها منهم وقد استولى ضابط عساكر (ارمندى Armandy) على القصبة بمساعدة ذوى الجراءة وفى سنة ١٨٣٣ ميلادية انقادت مدينة الجزائر وضواحيها والاراضى التى بين نهر العراش ونهر متيجه ومازفران والبحر الملح للفرنساوية الذين كانوا يحلون فى مدينة عران وقلعة المرسى الكبيرة وتعاهد معهم حزب الكولة فى تلمسان ومستغانم وأحس سلطان مراكش بضعف شوكته فاعرض عن توسيع مملكته وسلك الحاج أحمد بيك مدينة بونه فطمع فى مدينة بجاية وحاصر مدينة مدية بلا طائل ثم قاومته مدينة بونة وأخذ الجنرال (تريزيل Trézel) مدينة بجاية فى التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٨٣٣ وعاقب القبائل التى امتلكها من سنة ١٨٣١ وطردت سفن الفرنساوية من الساحل مرات وجاءت قبائل أخرى أبدت تعضيدا لذلك الجنرال

وتولى عبد القادر مشيخة العرب بعد وفاة والده محيى الدين فاستنفر العرب فى سائر الجهات وأضرم على حين غفلة نار جهاد الفرنساوية ولم يوقف سيره المتزايد قصرات للفرنج واشتهر أنه بيك اقليم تلمسان واستولى على مدينة ارزوا وقطع رأس قاضيها لتحالفه مع الفرنساوية وهدد مدينة مستغانم بالاستيلاء عليها فاحاط

بها الفرنساوية وهزموه بمساعدة قبائل الدوير وذميلة وطردوه من ارزوا غرة اكتوبر فى العين البيضاء وثالث دسمبر فى تلمسان وألزموه فى السادس والعشرين من فبراير سنة ١٨٣٤ ان يعقد معهم شروطا انتهت بها المكافحات الحربية وأصلحت الفرنساوية فى سهول مدينة الجزائر قناطر بوفاريق وأسسوا معسكر الدويره وانضم اليهم سرا أهل مدينتى مدية وبليده فلم يخشوا بأس قبائل متيجة وعينوا جمعا للنظر فى وسائل بقاء مافتحوه من البلاد على السلم وصدر لهم فى الثانى والعشرين من يوليه سنة ١٨٣٤ أمر عال باجراء السياسة بايالة الجزائر على نظام جديد فجعل بها قائد الجنود ورؤساء فى وظائف أخرى ووكيل عام النفوذ وجميعها تحت يد الجنرال (درويت درلون Drouet d'Erlon) المقلد بالادارة العليا لصالح الذى نقض مصاريف الفرنساوية المقيمين بتلك البلاد واتخذ جمعا من العساكر البلدية وأعاد منصب الاغا الملغى منذ نكث على مبارك عن محالفة الفرنساوية التى احتمى رجالها فى المحطة العسكرية الجديدة المسماة حوش جاويش بقرب بوفاريق وهادنهم الامير عبد القادر سنة قوى فيها شوكته وأنفذ حكمه فى جميع البلاد التى لم يحكمها الفرنساوية وكثرت خلفاءه فى اقليمى عران وتيترى واعتبر وكيلا عن الامة العربيـة فى تلك البلاد ووقعت له حادثة تقضى بضعف قوته فكانت تقوية له وهى أن موسى الدرقاوى ذا التعصب الدينى هجم بنحو ألفى مسلم على مدينة مدية المعرضة عن الحرب مع عبد القادر ثم حاصر مدينة مليانه فكافحه عبد القادر وأخذ منه مدية ثم ولى قوادا على متيجة وغيرها من العرب بجميع الجهات ورجع من مدينة مسغرة فاستعد للحرب وأتته ذخرات من بلاد أجنبية بواسطة مصب نهر التفنه وأراد عقاب الدويره والزميلة لمخالفتهم الفرنساوية فسار بالعسكر الجنرال (تريزيل) الذى خلف الجنرال (دسميشل Desmichels) من أول فبراير سنة ١٨٣٥ ونزل امام أرض تلك القبائل فى أوائل يونيه فقاتل المسلمين عدة مقاتلات خالية عن النتائج المهمة ثم دهمه المسلمون وهزموه على شواطئ نهر المقطة فعاد الى ارزوا بغاية المشقة وكان لهم بذلك فرح اعترفوا فيه بالمشيخة

لعبد القادر حتى اقتدت مدينة بليدة بغيرها وقبلت حاكما من قبل عبد القادر وبقيت مدينة قولية على طاعته بسبب معسكر عناديست امام قبيلة الدويره وغربها والفرنساوية اذ ذاك فى غاية الضيق فجهز بالعزم على التوجه لمحاربة عبد القادر فى بلدة مسكرة مركز شوكته الجنرال (كلوزيل) المتولى الحكم العام فى أغسطس سنة ١٨٣٥ وأنزل عساكره فى جزيرة حشجون المحكمة على مصب نهر التفنة والمساوى ارتفاعها لارتفاع تلمسان وتمت استعداداته الحربية فى السادس والعشرين من نوفمبر فسار بجيشه ومعه الدوق (ارليان Le Duc d'Orléan) ولم يؤمل عبد القادر مقاومة الفرنساوية فنقل ماله من قاعدة حكومته وأحرقها فدخلها الفرنساوية فى خامس دسمبر فأعدموا من فيها من الطوبجية وعادوا الى محطتهم الاصلية وبذلك بطل ما لعبد القادر من الشعوذة الآخذة بعقول العرب فانضم منهم قبائل الى الفرنساوية ثم هم عبد القادر ان يدهم مشوار تلمسان فهزمه الفرنساوية واقتفوا أثره فنجا بجواده وزالت شوكته فخلفته قبائل بالشاطئ الايسر لنهر التفنه وأهل مراكش فابدوا موئلا جديدا لعبد القادر فدهم أعداءه حين عودتهم الى تلمسان وعران

وطلب رؤساء العرب من حاكم الفرنساوية الاكبر أن يقلدهم المشيخة وكانوا كثيرين فتجدد الانتظام والهدو فى ضواحى مدينة الجزائر وزرع خارج التحصينات وأخذت أحوال جهة الشرق فى التحسن كل يوم وكان بين قبائل بجاية شقاق انتهز فيه الفرنساوية الفرصة بالزامهم السكوت واتقاء صولتهم كما كان بين قبائل بونة من التباغض الذى وصل الفرنساوية الى مآربهم فانهم اتخذوا من أشياخها خلفاء فنحوا للجيوش الفرنساوية طريقا الى القسطنطينية فجدد الامير عبد القادر فى أوائل سنة ١٨٣٦ دهمات على الفرنساوية مرت بها حركة الاضطراب فى الجهة الجنوبية ففعل الفرنساوية غزوة ثالثة لمدينة مدية فأخذوها ثم أشيعت أقاويل كاذبة حين حازت عساكرهم مدينة الجزائر فعصت العرب وشهروا السلاح وتولى شيخ العرب على مبارك مدينة مدية فى شهر مايو

وأراد

وأراد الفرنساوية اغاثة القبائل الدويرية والزميلة من دهمات الحرب فنزل الجنرال (بريجو Perregaux) على نهر هبرة وفى وادى شليف والجنرال (درلنج) على نهر التفنه ودهمه عرب مراكش ثم دخل متاريسه فى خامس عشر ابريل واستنجد بنجاة الجنرال (بوجود Bugeaud) وقام فى أوائل يونيه بقيادة المقيمين فى عران وصد جيوش عبد القادر مرتين وهزمها فى سادس يوليه فى مقتلة سقاه فعاد عبد القادر الى مدينة معسكرة فالتزم سلطان مراكش أن يمنع امام حدود مملكته قبائل همت بنجدة عبد القادر فأملت الفرنساوية ظفرهم بالحاج أحمد بيك القسطنطينية وتقدم يوسف الذى جعله كلوزيل بيكا على الاقليم برجاله الى مدينة دريان فى جنوب بونه على ستة فراسخ وضم اليه عدة مشايخ يكرهون الحاج أحمد ثم أقام فى الساحل بمحطة كالة التى كانت مع الفرنساوية من سنة ١٥٣٠ الى سنة ١٧٩٩ ثم تركوها للانكليز سنة ١٨٠٧ ثم أخذوها سنة ١٨١٦ ثم هدمها والى الجزائر سنة ١٨٢٧ وتم استعداد الفرنساوية لمحاربة يوسف فى ثامن نوفمبر فسار المارشال والدوق (نمور Nemours) بسبعة آلاف ووصلوا مدينة غلمة فى الخامس عشر من هذا الشهر وكانوا أمام القسطنطينية فى الحادى والعشرين فكان من البرد والمطر ماعطل حركتهم ويئسوا من أخذها بعد هجمات كثيرة فعادوا الى مدينة بونه وقاوموا يوسف وألجؤه الى بعض المدن ثم استعدوا سنة ١٨٣٧ وتدبروا فيما يبقى العرب على الطاعة ويبعدهم عن الخروج العام الذى تحدثت به نفس عبد القادر فسافر من بلدة بوفاريق الجنرال (دمرعون Damrémont) ثالث من قلد الحكم العام على مافتح من بلاد الجزائر بسبعة آلاف فى السابع والعشرين من ابريل ونزل فى بليدة وقولية ثم سار من بلدة مليانه ووادى شليف وغزا العرب غزوة أذعنوا فيها بالعجز عن مقاومة الفرنساوية وعقد الجنرال (بوجود) فى واقعة التفنة شروطا تكفلت باعادة الهدو فى جميع ايالة الجزائر

وأفادت هذه الشروط شعوذة عبد القادر واعتراف الفرنساوية له بالامارة على

العرب وتوجه فكرتهم الى الاستعداد لاخذ القسطنطينية التى توجه اليها العساكر الفرنساوية و بلغوا المجاز الاحمر فى يوليه وعرفوا طريق القسطنطينية فى ثانى عشر سبتمبر تجاوزوا رأس العقبة وقاتلوا فى السهل الرحب الذى بنهايته نهير الوادى الزناتى سرية قليلة من فرسان العرب ورجعوا فى الثالث عشر الى المجاز الاحمر فدهمهم العرب عدة دهمات بذلوا فيها العزيمة من الحادى والعشرين الى الثالث والعشرين ونزل الدوق (نمور) المعسكر فى الثامن والعشرين وسار الجنرال (دمريمون) برجاله فى غرة اكتوبر ونزل بهم امام القسطنطينية فى اليوم السادس وأخذ يحاصرها وابن عيسى قائد رجال الحاج أحمد يدافع عنها مع ما كان فى اليوم السابع الى التاسع من انسكاب المطر الذى خشيت به الفرنساوية ان يحل بهم عليهم من الوبال ماحل بهم فى المرة السالفة ثم اعتدل وذهب المطر فنقبوا فرجة فى اسوار المدينة يوم مات الجنرال (دمريمون) الذى خلفه الجنرال (فاله Valée) وآثار موته فيهم حمية أخذوا بها المدينة عنوة فى صبيحة الغد ففر واليها أحمد الى الجنوب واجتهد فى عوده اليه فلم يفد ثم انقاد اليهم فى شهر مايو سنة ١٨٤٨ فنصب الفرنساوية بيرقهم على اسوار الثلاثة مدن الكبار بايالة الجزائر وهى مدينة الجزائر وعران وقسطنطينية وجعلوا بقسطنطينية ثلاثة خلفاء وثلاثة قواد وسلموها لحاكم وقلدوا ابن غانة مشيخة العرب وقد أبى عبد القادر تجيز الاتفاق الواقع فى رابع يوليه وانتظر بالشروط المعقودة بعد واقعة التفنه فرصة لقتال الفرنساوية ثم ظهر برجاله فى ديسمبر سنة ١٨٣٧ بحدود اقليم قسطنطينية وفى ابريل سنة ١٨٣٨ بجهة مدية وفى شهر مايو بجهة تجدمت ثم سار حتى بعد عن ساحل البحر الملح بمائة فرسخ ليدهم فى عين ماضى المرابط المسمى تجينى الذى انقاد للفرنساوية فى خامس عشر يناير سنة ١٨٣٩ وقرب بعد ستة أشهر من مملكة مراكش وجال فى أرض الزواوة فأوقد سعير الاضطراب بجميع جهاتها

وفتح الفرنساوية طريقا من بلدة جيلة الى ستيف فأخذوا فى مايو سنة ١٨٣٩

ثلاث

ثلاث مدن ميلة وجيجلى وجيلة وانقاد لهم سهل مجانة الذى صد أهله احزاب الحاج أحمد ووجهوا من بجاية أناسا يستكشفون مضيق تيزى ورأوافى آخرسنة ١٨٣٩ ان يلزموا العرب عدم القيام مع عبدالقادر فوجهوا لغزو ابواب الحديد (الدوق ارليان من سنيف) فى ستمبر لجاز ذلك المضيق المخوف وعاد الى مدينة الجزائر بواسطة بلاد حمزة فظهرت قبائل هاجوط المحالفة لعبد القادر وقاتلوا الفرنساوية فى واقعتى نهر الشفا والوادى العالج ثم قام جميع القبائل فى طول تلك الجهات وهجموا على مدينة بليدة الحصينة فانهزموا عنها مرات

وفى سنة ١٨٤٠ أكثر الجنرال (لاموريسير Lamoricière) من النهب والسبى وأظهر العساكر الفرنساوية بمدافعة مازجران الحصينة فى ثانى فبراير وملكوا بلدة شرشل فى سادس عشر مارث بعد واقعة مزرغين وغلب ابن غانة قائدا من قواد عبد القادر بمعركة سلسول فى الرابع والعشرين من هذا الشهر وعاقبوا بنى هراقطه وقبائل بنى موسى فى الثانى والعشرين من ابريل وحصنوا غلمة ورباط سيدي طمطم خلف الوادى الزناتى وأنشؤا معسكر عين ترك على سبعة فراسخ من سنيف وأخذوا مدينة مدية فى سابع عشر مايو ومدينة مليانه فى ثامن يونيه ولم يكن من عبدالقادر بعد ذلك الاحزب اتلاف ونهب وهجمات على محال قاصية الا أنه نظم جنودا ظهر فيهم بمظهر الجلال ثم تولى الجنرال (بوجود) بدل الجنرال (قاله) فى الثانى والعشرين من فبراير سنة ١٨٤١ فتوجه لاعدام المركز الاكبر لشوكة عبد القادر وتبعه الدوق (غور) فى مايو لمساعدته فتوجه بعساكره جهة الغرب واستولى على بلدة تجدمت فى الخامس والعشرين من هذا الشهر وعلى مسكرة فى غايته ونصر غرة يونية فى معركة عقبة جدة فبقى مستوليا على مافتحه من تلك البلاد ووضع الفرنساوية فى مدينة مدية ومليانه عددا حربية لفتح مسيلة البعيدة من بلدة سنيف بثمانية وعشرين فرسخا وهدموا كلا من بوغارة وتعازه وعملوا فى سنتى ١٨٤٢ و ١٨٤٣ محاربات مكنت فى ايالة الجزائر تحكمهم الذى امتد الى حدود الصحراء الكبرى وأخذ عبد القادر فى غاية

سنة ١٨٤١ يدافع عن أقوامه بسائر الجهات وضم اليه أهل مراكش ثم أخذ منه الدوق (أومال Le duc d'Aumale) فى رابع عشر مايو سنة ١٨٤٣ مدينة سمالة التى فى ضواحى مدينة تغلين وأخذت الدولة الفرنساوية فى التقدم بايالة الجزائر من ابتداء سنة ١٨٤٤ رتبت ادارة القبائل بطريق منتظمة واتسعت فتوحاتها من جهة الشرق باخذ مدينة مسكرة وانقياد بنى زيبان وقبيله بلازمة وعريس ومن جهة الغرب بأخذ مدينة سبدو وغور واللامغنية ودية والفارة والقصور وغير ذلك وفى اقليم الجزائر بغزو قبائل لاغوة وعين ماضى وقوم سباعوا وأخذ مدينة دليس وانشاء محطة أومال العسكرية وعرف الدوق (أومال) حاكم قسطنطينية خط التحديد بين ايالتى الجزائر وتونس وبعدت الفرنساوية عن مدينة الجزائر الى جهة الجنوب بمائة وعشرين فرسخا وعاقبوا سلطان مراكش لنقضه شروطهم ومحاماته عن عبد القادر وعارضوا أهل مراكش بعسكر اللامغنية فى آخر مايو وملكوا مدينة اشده وأطلقوا المدافع على طنجة فى سادس أغسطس ونصر الجنرال (بوجود) فى واقعة أسلى رابع عشر هذا الشهر وأطلق فى ذلك اليوم أمير يونويل مدافع هدمت اسوار مقدور فرجاه مولاى عبد الرحمن ان يعفوا عنها وصالح الفرنساوية فى ثامن عشر مارث وفى سنة ١٨٤٥ اتقد نار العصيان بقيام رجل آخر يسمى أبا معزة جاء من مراكش مستنفرا لعدة قبائل فغلبة الفرنساوية فى عين مران فسار ليأخذ مدينة اورليانويل فهزموه عدة مرات وأخذ يتنقل من مكان الى آخر حتى سلم نفسه اليهم فى ثالث عشر ابريل سنة ١٨٤٧

وأما عبد القادر فلم توافقه العرب على القيام لقوة شوكة الفرنساوية الذين هزموه فى سابع مارث سنة ١٨٤٦ ففر الى جهة الغرب وذبح فى تاسع مارث الفرنساوية المأسورين فى واقعة ديره فدهمه جيش فرنساوى ففر الى مملكة مراكش فأعلن سلطانها عبد الرحمن بمعاداته ودهم من سائر الجهات فانهزم فى معركة سيدى ابراهيم وسلم نفسه للجنرال (لاموريسير) فبعثه الى فرانسا وبقى

بها

بها أسيرا حتى أطلقه نابليون الثالث سنة ١٨٥٣ فسكن فى مدينة البرصه احدى قرا تركية آسيا منعزلا عن الامور السياسية وقد انقاد سائر ايالة الجزائر للفرنساوية منذ زالت شوكته ودعيت القبائل بغزو الجنرال (بوجود Bugeaud) للقبيلة الكبرى فى مايو سنة ١٨٤٧ ولم يكن بعدها الا وقائع جزئية كوثوب الزعاطشة على الفرنساوية فى سادس عشر يوليه سنة ١٨٤٩ وانتقام الفرنساوية منهم فى سادس اكتوبر وقع العسكر ببعض قبائل وسبى قبيلة مزاور المراكشية سنة ١٨٥٠ وغزوة الجنرال (سنت أرنود Saint-Arnaud) للقبيلة الكبرى فى الجزائر وانقياد بنى فليسه للجنرال (بيليسيه Pélissier) سنة ١٨٥١ وكان ولاة الحكم العام بعد المارشال (بوجود Bugeaud) مشتغلين باصلاح الحال وهم الدوق (أومال Aumale) المتولى فى سابع عشر أغسطس سنة ١٨٤٧ (وكافنياك Cavaignac) فى الخامس والعشرين من فبراير سنة ١٨٤٨ (وشنجرنيه Changarnier) فى رابع عشر يونيه (وشارون Charon) فى تاسع سبتمبر (وهوتبول d'Hautpoul) فى الثانى والعشرين من اكتوبر سنة ١٨٥٠ (وبيليسيه Pélissier) فى عاشر مايو سنة ١٨٥١ (ورندون Randon) فى حادى عشر ديسمبر ونظموا ادارة البلاد وتكفلت القبائل بما يكون من الجنايات فى أرضها وتحدد مقدار غرامات الجنح وأبقيت الغابات بقوانين نظامية وتحددت الاقاليم الثلاث وهى أقاليم مدينة الجزائر وقسطنطينية وعران وقسم اقليم مدينة الجزائر ستة أقسام عسكرية صغيرة قواعدها مدن الجزائر وبليدة ومدية واومال ومليانة واورليانسويل وشرشل وبوغار وطناس وبجاية ودليس وفوليه ونحوها وقسم اقليم عران خمسة أقسام صغيرة عران ومسكره ومستغنم وسيدى أبو العباس وتلمسان وبنادرها ارزو وغورس وطياره وسيدة ومسرجين ومازجران ودبة واللامغنية وسبدو واقليم قسطنطينية أربعة أقسام قسطنطينية وبونه وستيف وبطنه وبنادرها بسكره وفيليبس وغلمة وجيجلى وكالة وطبسة ونحوها

وايالة الجزائر محدودة من الشمال بالبحر الابيض المتوسط والغرب بمملكة مراكش

والشرق الى الجنوب بباشوية تونس وتمتد هذه الايالة الى غربية بواحة وادى مزاب وأما أرض القبيلة الكبرى التى يصعب دائما فعها فمائة وستة وأربعون كيلومتر بساحل البحر الملح بين مدينتى دليس وبجاية وتمتد من جهة الارض القادة الى أبواب الحديد فى الجنوب الغربى والى ستيف فى الجنوب الشرقى وسكان هذه الارض من نسل الماسولان والكنكيجنطيين الذين بارزوا الامة الرومانية فى القرون الاول بعد الميلاد وكانت تسمى بالجبل المدرع بالحديد حتى أظهر العرب الاسلام فسموها أرض العدوة المحاربة وأدخلوا فيها الاسلام بلا حرب بل بواسطة ما ظهر فيها من المرابطين من أهل التصوف ولم يطل حكمهم فيها وكذا كان وضع الترك أيديهم عليها ولا يستطيع احد أن يدرك ببصيرته ان الفرنساوية المحكمة عليها الآن أمهر من العرب والترك وأسعد منها خطا أولا

وقد أخذت ايالة الجزائر فى التقدم بمخالطة الفرنساوية أهل التمدن ولا يبين لنا حقيقة ما يصير اليه هذا الحكم الافرنجى على عرب افريقية الا مستقبل الزمان

تم بعناية الله وقوته طبع هذا الكتاب المستطاب الموسوم بخلاصة
تاريخ العرب ترجمة العالم سيديو الشهير وذلك بالمطبعة البهية
الكائنة بحوش قدم بمصر المحمية فى أواخر شهر ذى الحجة
سنة ١٣٠٩ من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل
الصلاة وأزكى التحية

فهرست خلاصة تاريخ العرب تهذيب ترجمة العالم سيديو

صحيفة

صحيفة

غزوة

صحيفة

صحيفة

المبحث

صحيفة

صحيفة

المبحث

صحيفة

صحيفة

المبحث

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

المبحث

صحيفة

صحيفة

المبحث

صحيفة

صحيفة